

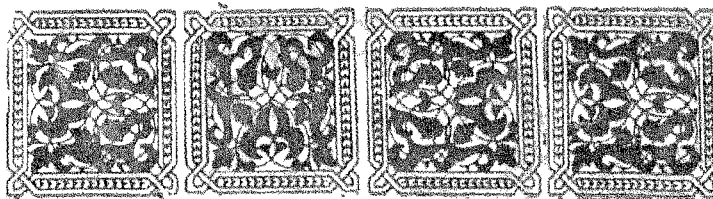
بَيِّنَاتُ الْإِسْلَامِ وَالْمَسِيحِيَّةِ

كتاب أبي عبيدة الخرجي

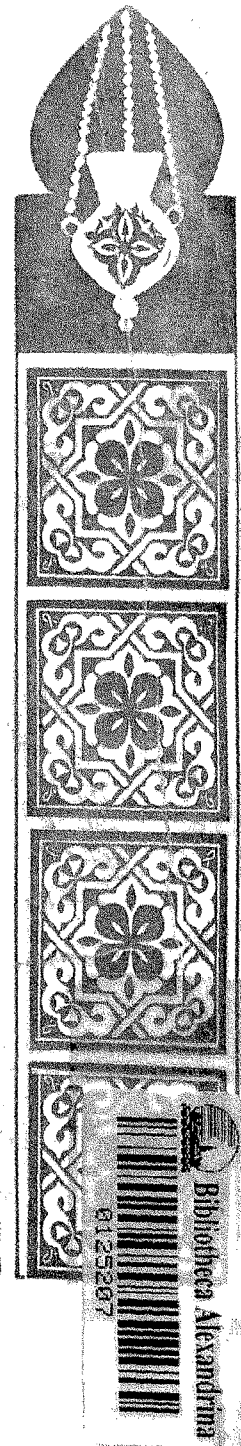
المتوفى ٥٨٢ هـ هجري

مقتنه وضم له زعلقا عليه

الدكتور محمد شامة



يطلب من
مكتبة وهبة
١٤ شارع الجمهورية - القاهرة



بَيِّنَاتُ الْإِسْلَامِ وَالْمَسِيحِيَّةِ

كُتَابُ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْخَزْجِي

المتوفى ٥٨٢ هـ هجرية

محققه وضم له رِغْلَانِ عَلَيْهِ

الدكتور محمد شامه



General Organization Of the Alexandria Library (GOAL)

Bibliotheca Alexandrina

يطلب من

مكتبة وهبة

١٤ شارع الجمهورية - عابدين

تليفون ٩٣٧٤٧٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ
أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا
بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ ^ج فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا
مُسْلِمُونَ ۝

(صدق الله العظيم)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة الطبعة الأولى

تتخذ مظاهر الصراع البشرى منذ بدء الخليقة اسلوبين :

— صراع فكري :

— وآخر يغلب عليه الطابع العضلى .

وما يعرف الآن في ميدان القتال بحرب التكنولوجيا ، فلا زالت العضلات تلعب فيه دورا رئيسيا .

ولا يخلو عصر من الصراع الفكرى ، فاختلف الآراء — وهو نوع منه — علامة على حيوية المجتمع ، ومقدمة حتمية لتطوره ، اذا اراد كل طرف الوصول الى الحق حيثما كان .

أما التقليد — وكذلك حمل الناس على أن يعتقدوا بقدسية رأى بشرى، عن طريق كبت المعارضة بقوة الحديد والنار — فهو نذير بانتهاء المجتمع ، لأنه يقضى على البراعم الفكرية فيه ، ويوقف قلبه النابض بالحياة .

وغالبا ما ينحو الصراع الأيديولوجى بين الطوائف — وبين الشعوب — المختلفة فى عقائدها ، ومذاهبها الدينية والسياسية ، منحى التعصب للمبدأ ، فيلجأ المفكرون الى ما يدعم رأيهم ، وان كان منافيا للمسلمات الأولية ، وحينئذ يشتد الجدل ، وتكثر المحاورات، التى قد تؤدى الى صدام مسلح .

وعندما تضع الحرب أوزارها ، يتجه الحوار وجهة أخرى ، اذ يتساعل المهزوم عن أسباب هزيمته :

هل يرجع ذلك الى ضعف أيديولوجيته عن الصمود أمام العدو ؟

بل يتسرب الشك فى صحة العقيدة الى شعاف النفوس ، والمترددین فى قبولها .

بينما ينشط المنتصر — فى ظل هدى الانتصار — ليكسب أتباعا عن طريق القاء الشبه أمام العامة ، الذين لا يدركون أن أسباب النصر — أو الهزيمة — لا ترجع كلها الى طهيعة الأيديولوجية من حيث هى ، بل تدخل فيها عوامل أخرى ، لا يستطيع رؤيتها الا الخاصة .

والتدليل على هذا يكفى المرء أن يتصفح تاريخ البشرية ، فسيجد أمثلة لا حصر لها ، من بينها ماوقع في « طليطلة » ، فقد احتفظت تلك المدينة القوطية القديمة بين أسوارها بالجم الغفير من أبنائها المسيحيين ، الذين لم يخلوا الأذعان ، والخضوع للحكم الأموي ، إلا بعد وقت طويل . ولم يكن هذا الأذعان إلا ظاهريا فقط ، إذ عندما سقطت في أيدي « الفونس » السادس ، ملك « قشتالة » ، أرندت إلى النصرانية . حظيرتها القديمة ، وأعقب ذلك صراع فكري ، بين المسيحيين ، ومن بقى فيها من المسلمين ، واتخذ ذلك صورة حوار حول المقارنة ، بين مبادئ العقيدتين : المسيحية والاسلام .

والكتاب الذى نقدم له . هو احدى مظاهر هذا الصراع ، وقع اختيارنا عليه لأنه يتناول مسائل ذات أهمية كبرى ، لن يهتمون بدراسة علم مقارنة الأديان . وليس أمامنا الآن سوى مخطوطة واحدة ، عثرنا عليها مصوره في مكتبة الجامعة العربية وهى تحت رقم ٢٢٥ توحيد . وانشئة الأصلية في مكتبة أحمد الثالث باستانبول تحت رقم ١٨٦٣ .

ونظرا لضيق الوقت ، رأينا أن نخرج الكتاب ، معتمدين على هذه النسخة فقط ، آملين أن يهدينا البحث — بتوفيق الله — الى العثور على نسخ أخرى ، نرجع اليها — ان شاء الله — فى الطبعة الثانية ، اننى سنضمها أيضا نبذة عن الاسلام فى الأندلس ، ودراسة لحياة مؤلف الكتاب .

وقد آثرنا فى تخريج فقرات الكتاب المقدس ، أن نثبتها كاملة ، حتى لا يضطر القارئ الى الكشف عليها ، لأن فى ذلك مشقة عليه . وكذلك الأمر فى الآيات القرآنية ، التى أشار اليها النص ، أما التى ذكرت كاملة فيه ، فقد اكتفينا بتخريجها فقط .

ونحن اذ نقدم الكتاب ، فى صورته الراهنة ، لطلبة جامعة الأزهر ، ندعو الله أن يوفقنا الى المزيد من دراسة المواضيع ، التى اشتمل عليها فى الطبعة الثانية .

أنه سميع مجيب ،

محمد عبد الغنى شامة

القاهرة فى ٤ أكتوبر سنة ١٩٧٢

مقدمة الطبعة الثانية

(١)

اشتبك المسلمون مع المسيحيين في معارك كثيرة ، ومن أهم المناطق التي التحم فيها الصراع عسكريا ، وفكريا ، (١) أسبانيا التي أطلق عليها المسلمون « الأندلس » (٢) ،

(١) والكتاب الذي نقدم له يبين لنا احدى ظواهر الصراع الفكري ، ولكن تلقى ضوءا على الظروف والملابسات التي أحاطت — وسبقت في الزمن — المؤلف ، رأينا أن نعرض هنا موجزا لتاريخ الدولة الاسلامية في أسبانيا ، ليستحضر القارئ في ذهنه — أثناء قراءة هذا الكتاب — صورة الصراع السياسي الذي ابتلى به المسلمون منذ الفتح في عام ٩٢ هـ (٧١١ م) حتى طردوا من أسبانيا نهائيا في عام ٨٩٧ هـ (١٤٩٢ م) وليس الغرض تقديم صورة كاملة للأحداث ، لأن هذا في كتب التاريخ ، بل عرض الخطوط العريضة لها ، مع بيان أهم الأسباب التي أدت الى انهيار الدولة الاسلامية في تلك البقاع ، ومن أراد تفصيلا فليرجع الى المراجع التاريخية .

(٢) يطلق المؤرخون والجغرافيون العرب كلمة « الأندلس » على شبه جزيرة « ايبيريا » المكونة من أسبانيا والبرتغال (ياقوت في معجم البلدان تحت كلمة الأندلس . والروض المعطار ص ١) . وتطلق في الرواية العربية أيضا على أسبانيا المسلمة ، التي كانت عقب الفتح تشمل كل أسبانيا ما عدا « جليقة » ، ولايات جبال « البرنية » . ولكن « الأندلس » تطلق في العصور المتأخرة ، وفي الجغرافيا الحديثة على ولايات الأندلس الواقعة في جنوب أسبانيا ، بين نهر الوادي الكبير والبحر وبين ولاية « مرسية » و « أشبيلية » ، وما زالت « الأندلس » (Andalusia) تحتل في تقسيم أسبانيا الإداري الحاضر نفس هذه المنطقة . والرواية العربية تعطل هذه التسمية بصور مختلفة ، فتقول مثلا أنها سميت أندلس باسم أول من سكنها من قديم الزمان ، وهم قوم من الأعاجم يقال لهم أندلوس (نفح الطيب ج ١ ص ٦٧) . ويقول ابن الأثير : ان النصراني يسمون الأندلس « اشبانية » باسم « اشبانس » أحد ملوكها ، وهذا هو اسمها عند « بطليموس » (ج ٤ ص ١٢١) . ولكن ابن خلدون يقدم لنا تعليقا أدق فيقول انها سميت « الأندلس » باسم « قندلس »

عبرت الجيوش الإسلامية المضيق الغربى للبحر الأبيض المتوسط
— المعروف اليوم بمضيق جبل طارق — (١) ولم يكن الدافع الأول للمسلمين
الرغبة فى التوسع الاستعماري ، بل كان ذلك تلبية لنداء وجهه سكان
البلاد الأصليين الى المسلمين ليخلصوهم من نير القوط (٢) ، فقد كان المجتمع

ولعلها « فندلس » ومن الواضح انه يقصد « الفندال » أى « الوندال »
(ج ٢ ص ٢٣٥ فى تاريخ القوط) . ويقدم لنا البكرى خلاصة دقيقة لهذه
المسميات الجغرافية التاريخية فيقول فى وصفه لجزيرة الأندلس : ان اسمها
القديم « إباريه » (Iberia) من وادى « أبرة » ، ثم سميت بعد ذلك
« باطقة » (Baetica) من وادى بيطسى وهو نهر قرطبة . ثم سميت
« أشبانية » من اسم رجل ملكها فى القديم كان اسمه « أشبان » ، وقيل
سميت باسم « الأشبان » الذين سكنوها فى أول الزمان على جرية النهر
وما والا . وقال قوم : ان اسمها فى الحقيقة « اشبارية » (Hisperia)
من « أسبرس » وهو الكوكب المعروف بالأحمر . وسميت بعد ذلك بالأندلس
من أسماء « الأندليس » من الذين سكنوها « والأندلس » هم « الوندال »
(Vandals) وهذا هو التعليل الذى يأخذ به « دانفيل » (Danville) ، إذ
يقول : ان الاشتقاق مأخوذ من كلمة « فاندالوسيا » (Vandalusia)
أو بلد « الوندال » ، (نقله « جيبون » عن كتاب ممالك أوروبا فى هامش
الفصل الحادى والخمسين) . وهذا ما يقرره الفزيرى أيضا فى معجم مخطوطات
الاسكوريال (Biblu. Arabico-Hispana Esenrialensis II p. 237 Casiri)
من عنان : دولة الاسلام فى الأندلس ، هامش ص ٥٠

(١) نسبة الى طارق بن زياد الليثى الذى اختاره موسى بن نصير —
وهو والى أفريقيا يومئذ — لقيادة جيش الفتح ، ذلك الجندى العظيم الذى
ضرب المثل فى الشجاعة ، والاقدام . أجمع المؤرخون على وصفه بـ « فاتح
الأندلس » ، غير أنهم اختلفوا فى أصله ونسبته ، فقيل هو فارسى من همدان ،
كان مولى لموسى بن نصير ، وقيل انه من سبى البربر ، وقيل أخيرا بربرى
من بطن من بطون نفزة ، وهذه فيما يظن أرجح رواية ، ويبدو منها ان طارقا
تلقى الاسلام عن أبيه زياد عن جده عبد الله ، وهو أول اسم عربى اسلامى
فى نسبته ، ثم ينحدر مساق النسبة بعد ذلك خلال أسماء بربرية محضة
حتى ينتهى الى نفزة ، وهى القبيلة التى ينتمى اليها .

(٢) هم احدى القبائل أو الشعوب البربرية التى هبطت من شمال

أوروبا ، وقوضت صروح الامبراطورية الرومانية ، وتقول الاساطير القديمة انهم نزلوا من « اسكندناوة » بعد أن تحرروا من « الجوتارة » في جنوب السويد ، ويذكر المؤرخ « تاسيتوس » أنهم كانوا منذ ظهور النصرانية الى أواخر القرن الثاني يسكنون شواطئ البلطيق الجنوبية . وفي عهد الامبراطور « اسكندر سيقيوروس » (٢٢٢ — ٢٣٥ م) ظهرت طلائع « القوط » في ولاية « داسيا » (وتشغل مكانها الآن رومانيا والمجر) الرومانية واغارت على بعض مدنها ، وكان هذا نزوحهم الثاني حيث استقروا عندئذ في اقليم « اليوكرين » وفي عهد الامبراطور « ديسيوس » عبروا نهر الدانوب ، وخربوا ولاية « ميزيا » الرومانية (وتشغل مكان بلغاريا الحديثة) ثم تقدموا الى قلب البلقان ، فسار « ديسيوس » لقتالهم ، ولكنه هزم ومزق جيشه (٢٥٠ م) ، وسار « القوط » الى اليونان نعاثوا فيها وخربوها ، ولم ينقطع عبثهم حتى نشط الامبراطور « قسطنطين » الكبير لقتالهم ورد عدوانهم ، فحاربهم في عدة مواقع ، وهزمهم هزيمة شديدة ، وردهم الى اقاصى « داسيا » (سنة ٣٢٢ م) وفرض عليهم شروطا غادحة . ثم حاربهم الامبراطور « فالنس » قيصر قسطنطينية وهزمهم في سنة ٣٦٩ م وفي سنة ٣٧٥ م زحف « الهون » من المشرق على « القوط » ومزقوهم ، فانقسموا الى قسمين ، قوط شرقيون اذعنوا للهون وانخرطوا في جيشهم ، وقوط غربيون فروا تحت ضغط « الهون » الى ضفاف الدانوب ، واستعاثوا بالامبراطور ، وطلبوا الدخول في طاعته فأجابهم الى ذلك . واستقروا حينا في ولاية « تراقية » ، ولكنهم ثاروا مرارا من جراء قسوة الحكام الرومانيين وعسفهم . وفي عهد الامبراطور « هونوريوس » قام « القوط » بثورة أعظم وأبعد أثرا بقيادة زعيمهم « الاريك » وخربوا « تراقية » واليونان ، ثم عبروا الى ايطاليا وافتتحوا روما ونهبوها (٤١٠ م) . ولكن زعيمهم « الاريك » توفى في نفس هذا العام فارتدوا الى الشمال . ثم عقدوا الصلح مع الامبراطور واندمجوا في الجيش الامبراطوري ، وقاموا بقمع الثورات في « غاليا » أو « غاليس » (جنوب فرنسا) وشمالى اسبانيا ، ثم استقروا في أواسط فرنسا وجنوبها ، فيما بين نهري اللوار والجارون ، وانخذوا « تولوز » (تولوشة) عاصمة لهم . وأقطع الامبراطور ملكهم « فاليا » حكم هذا القطر ، وقامت بذلك مملكة قوطية تابعة للدولة الرومانية .

وعاون « القوط » الدولة على محاربة « الوندال » و « الإلان » و « السوابيين » ، وعاونها بالأخص ملكهم « تيودريك » الأول ، ولد

الأسباني يعاني صنوف الشقاء والبؤس ، مزقته عصور طويلة من الظلم والارهاق ، ولم يكن « القوط » في الحقيقة أمة بمعنى الكلمة ، فانهم لم يمتزجوا بسكان الجزيرة ، ذلك الامتزاج الذي يجعل الغالب والمغلوب ، وحاكم والمحكوم أمة واحدة ، بل كان القوط يستأثرون بمزايا الغلبة ، والسيادة ، وينعمون باحراز الاقطاعات والضياع الواسعة ، ومنهم وحدهم الحكام والسادة والأشراف ، يليهم طبقة رجال الدين ، حيث كانوا يتمتعون بأعظم قسط من السلطان والنفوذ ، وساعدهم على بلوغ هذه الدرجة أن انقوط كانوا أنقياء متدينين ، يغلب عليهم الميل الى ارضاء رجال الدين ، وقد تمتع الأقباط والرهبان بمركز مرموق لدى الحكام ، مما جعل لهم تأثيرا مكنهم من توجيه القوانين والنظم ، وصياغة الحياة العقلية والاجتماعية وفقا لاتجاه الكنيسة وغاياتها . وقد استغل رجال الدين هذا النفوذ في احراز الضياع وتكديس الثروات ، واقتناء الزرايع والأرقاء . وهكذا كانت ثروات البلاد كلها تجتمع في أيدي فئة قليلة ممتازة من الأشراف ورجال الدين ، اختصت بترف العيش ومتاع الحياة ، وكل نعم الحرية والكرامة والاعتبار .

أما سواد الشعب فكان يرزح تحت شقاء الحياة وبؤسها وهو يتكون من طبقة متوسطة ، رقيقة الحال ، وزرايع شبة أرقاء يلحقون بالضياع ،

=

« الأريك » على هزيمة « آتيل » التتري وبرابته « الهون » في موقعة « شالون » (٥١٠) . ثم عبر خلفه وأخوه « تيوديريك » الثاني الى اسبانيا ، لانتزاعها من « الوندال » و « السوابيين » المتغلبين عليها ، مشروطا على الدولة أن يحتفظ بما يفتتحه من أسبانيا لنفسه ولعقبه ، وحارب « الوندال » و « السوابيين » وهزمهم (سنة ٤٥٦م) وافتتح أسبانيا ما عدا ركنها الشمالي الغربي « جليقة » ، الذي استعصم به « الوندال » حيناً . ولم تأت نهاية القرن الخامس حتى ملك « القوط » شبه الجزيرة كلها ، وامتد ملكهم من « اللوار » الى شاطئ أسبانيا الجنوبي . ولكن الفرنج هزموهم من الشمال وأجلوهم عن فرنسا في أعوام قلائل ، فاستقروا في أسبانيا ، واتخذوا مدينة « طليطلة » دار ملكهم ، ووضعوا لملكهم الجديدة نظاما وقوانين خاصة تتأثر بروح الحضارة والأنظمة الرومانية ، وكانوا أيضا قد اعتنقوا النصرانية منذ أواخر القرن الرابع ، كما اعتنقها « الوندال » وغيرهم من الشعوب البربرية ، التي تقاسمت تراث رومة وأملكها . ولبث « القوط » زهاء قرنين سادة الأسبانيا حتى الفتح الاسلامي ، وكان آخر ملوكهم « رودريك » « أو رذريق » كما يسميه العرب الذي هزمه القائد المسلم طارق بن زياد عام ٧١١م .

وأرقاء للسيد عليهم حق الحياة والموت ، كان الشعب بطبقاته الثلاث — الطبقة المتوسطة ، والزراع الأرقاء — في حالة يرثى لها من الحرمان والتبؤس ، يتأسى أشنع أنواع الظلم والارهاق ، ويفرض عليه وحده — دون الطبقات الممتازة — دفع الضرائب الفادحة ، ويلزم بتأدية المغارم المرهقة ، ويقسوم بالأعمال الشاقة — يساق إليها سوق العجماوات — في ضياع الأشراف والأخبار ، مفروضا عليه العبودية والرق ، مسلوبا عنه كل شعور بالعزة والكرامة .

وكانت هناك جالية يهودية كبيرة ، لم تكن ننعم بانحياة الهادئة ، اذ كانت موضع البغض والكراهية والتحليل ، فقد كان يهود الجزيرة يعانون أشنع ألوان الجور والاضطهاد ، وكانت الكنيسة منذ قوى نفوذها تحاول تنصيرهم ، وتمارس في سبيل تحقيق ذلك أشد أنواع العنف ، وأقسى طرق المطاردة .

هكذا كان الوضع في أسبانيا ، عندما افتتح المسلمون أفريقيا ، واقتربوا من شواطئ الأندلس ، وكان على عرش أسبانيا يومئذ الملك « وتيزا » ، كان يحكم مملكة مزقها الخلاف وشعبا أضناه العسف والظلم والارهاق ، ويقال : انه حاول ان يقف في وجه طغيان الأشراف بالحد من سلطاتهم ، كما حاول كبح جماح رجال الدين فلم يستطع ، واتفق رجال الدين على بغضه ومحاولة التخلص منه ، كما كانت بقية الشعب غير راضية لما يقع عليها من جور وظلم . فهدبرت ضده المؤامرات ، واستغل الموقف زعيم جرىء هو ردرىك ، فقام بأثورة ضده ونادى بنفسه ملكا ، واستطاع أن يخمد منافسيه ، غير أن العرش بقى مضطربا يهتز في يد القدر ، ذلك أن أعداء « ردرىك » حاولوا الاطاحة به ، ولما لم ينجحوا في ذلك رأوا الاستعانة ، بقوة من خارج الجزيرة ، وكان « الكونت يوليان » حاكم « سبته » محط أنظارهم ومساعدتهم .

وفي الوقت الذى كانت فيه شبه الجزيرة الأسبانية تضطرم فيها هذه الحوادث ، فنفقرتها في أزمات خطيرة ، ومضايق خانقة ، كان المسلمون قد أتموا فتح المغرب الأقصى باستيلائهم على ثغر « طنجة » ، وأشرعوا بذلك على شواطئ الأندلس من الضفة الأخرى من البحر ، ولم يبق لاتهم فتح أفريقية سوى ثغر « سبته » الذى يقع في مقابل طنجة في الطرف الآخر من اللسان المغربى . حاول المسلمون الاستيلاء عليه ، لكنهم لم ينجحوا ، لأن حاكم « سبته » وهو « الكونت يوليان » كان متيقظا ، فأحبط كل محاولة لأخذه ، ويساعده على ذلك مناعة موقعه . ولكن موسى بن نصير لم ينفك لحظة عن التفكير في افتتاح هذا الثغر المنيع ، وتطهير أفريقيا من البقية

الباقية من العدو . وبينما هو يرقب الفرص لتحقيق هذه الأمنية ، اذ وصلته رسالة « الكونت يوليان » نفسه ، يعرض عليه معقله ، ويدعوه الى فتح اسبانيا ، وجرت بينهما مفاوضة في هذا المشروع الخطير . .

وفي شهر رجب سنة ٩٢ هـ (ابريل ٧١١ م) جهز موسى جيشا من العرب والبربر ، بلغ سبعة آلاف مقاتل ، وأسند قيادته الى طارق بن زياد الليثي ، فعبر البحر من « سبتة » بجيشه تباعا في سفن قليلة ، قدمها له « يوليان » ، وعسكر بالبقعة الصخرية المقابلة التي مازالت تحمل اسمه الى اليوم ، أعنى جبل طارق .

ولما اتم استعداداته ، توغل في الجزيرة ، وحين أحس « ردريك » بالخطر — وكان أميرا شجاعا — استطاع أن يجمع حوله معظم الأمراء والأشراف ، والأساقفة ، وحشد هؤلاء رجالهم وأتباعهم ، فاجتمع « للقوط » يومئذ جيش ضخم ، تقدره بعض الروايات بمائة ألف ، غير أنه لم يكن ملتحما ، اذ كان كثير من قواده ورؤسائه خصما « لردريك » ، اضطروا الى الالتفاف حوله لرد الخطر الخارجى ، وهم يتحينون الفرصة للفتك به .

لم تكن الظروف سهلة أمام المسلمين ، « فالقوط » أضعاف المسلمين ، والقتال في أرض العدو في هضاب ومفاوز شاقة ، ولكن قائدهم الجريء — طارق بن زياد — تقدم الى الموقعة الحاسمة بعزم ، دفعه الى ذلك ايمانه وشجاعته ، وثقته بقدرته على اجنياز الحواجز والعقبات ، فكان اللقاء بين الجيشين في سهل « الفرنتيرة » (Frahtera) على ضفاف نهر وادى « لكه » أو وادى « بكه » .

تلاقى العرب و « القوط » ، والاسلام والنصرانية في الثامن والعشرين من شهر رمضان سنة ٩٢ هـ (١٧ يولييه ٧١١ م) في معركة من أهم معارك التاريخ بين الاسلام والنصرانية ، واستمرت هذه المعركة الهائلة مضطربة بين القوى اثنصرائية الضخمة وبين القوة المسلمة المتواضعة نحو أربعة أيام ، كان الجيش الاسلامى يحارب فيها ، وهو قوة واحدة متماسكة ، كالصخرة الصلبة ، أما الجيش القوطى فقد كان — على الرغم من كثرته — مختل النظام ، منحل القوى ، لأن الرباط بين جناحيه وبين قلبه كان واهيا ، اذ كان يقود جناحيه « ايفا » و « سيزون » خصما « ردريك » ، وتتكون صفوفهما من أتباعهم ، وأتباع حلفائهم من الأمراء ، والزعماء النابقيين ، الذين تظاهروا بالاخلاص وقت الخطر ، وكلهم يتحين الفرصة للايقاع بالملك المغتصب ، فكانت الخيانة تمزق جيش القوط شر ممزق ،

وهناك عامل آخر ساعد المسلمين على الفتك بالعدو ، ذلك أن

« يولييان » والأسقف « أوباس » — وكانا في صف المسلمين — استطاعا أن يستميلا كثيرا من جند « القوط » ، وأن ييثا بدعايتهما في الصفوف الموالية « لردريك » كثيرا من عوامل الشقاق والتفرق ، فأخذ كل أمير يسعى لوقاية نفسه هو ، فتمكن الجيش الاسلامي — وهو قليل العدد — بشجاعة أفرادهِ وثباتهم ، واتحاد كلمتهم من جيش « القوط » ، ولم يأت اليوم السابع من اللقاء ، حتى تم النصر لطارق وجنده ، ومزق جيش « القوط » شر ممزق ، ولحقت بهم الهزيمة الساحقة ، وشتتوا في كل صوب ، وغروا في كل اتجاه أما « رديك » آخر ملوك « القوط » ، فقد اختفى بعد المعركة ، ولم يعثر له على أثر .

تعقب طارق بن زيادة فلول المنهزمين ، فواصل زحفه متوغلا في أرض الأندلس يفتح الثغور ، ويستولى على المواقع والحصون ، ونابغ زحفه شمالا ، فعبر جبال « أستوريش » (أستورياش) ، واستمر في سيره حتى أشرف على ثغر « خيخون » الواقع على خليج « بسكونية » (غسقونية) فكان خاتمة زحفه ، ونهاية فتوحاته ، ورده عباب المحيط عن التقدم ، فعاد إلى « طليطلة » ، حيث تلقى أوامر موسى بن نصير بوقف الفتح ، وكان ذلك لعام فقط من عبوره إلى أسبانيا ، وكان لأوامر موسى بن نصير خطرهما . وسنعرض لذلك بعد عرض آراء العلماء في الفتح الاسلامي .

انهار سلطان الطبقات الممتازة بعد الفتح ، فتنفس الشعب الصعداء ، وخف عن كاهله ما كان ينوء به من الأعباء والمغارم ، ذلك أن المسلمين تحروا في فرض الضرائب المساواة الثامة بين الطبقات والتزام العدل والاعتدال في تحصيلها ، وقد كانت من قبل تفرض حسب الهوى ، وبدافع الجشع والاستغلال . كذلك أمن الناس على حياتهم وحرّياتهم وأموالهم إذ ترك الفاتحون لهم حق تطبيق قوانينهم ، واتباع تقاليدهم ، والخضوع لقضائهم وقضائهم ، بل عينوا أيضا عليهم — في معظم الأحوال — حكما من أبناء جنسهم ، وعهد إلى هؤلاء الحكام سن الضرائب المطلوبة ، والإشراف على النظام والأمن . أما مسألة الدين والعقيدة ، فقد ترك الناس فيها أحرارا يعتقدون ما شاعوا ويؤمنون بعقيدتهم — من غير إكراه ولا اضطهاد — التي يختارونها ، وقد ضربت السياسة الاسلامية بهذا مثلا أعلى للتسامح الديني ، فلم يظلم أحد أو يرهق أو يضطهد بسبب الدين أو الاعتقاد .

أشاد العلماء بالفتح الاسلامي الأسبانيا ، واليك طائفة من أقوالهم . يقول العلامة المستشرق « دوزي » :

« لم يكن حال النصارى في ظل الحكم الاسلامي مما يدعو الى كثير من الشكوى بالنسبة لما كانت عليه من قبل . أضف إلى ذلك أن العرب

كأولاً يتحلون بكثير من التسامح . فلم يرهقوا أحداً في شئون الدين » .
ويقول « دوزي » عن آثار الفتح الاجتماعية :

« كان الفتح العربي من بعض الوجوه نعمة لأسبانيا ، فقد أحدث فيها ثورة اجتماعية هامة ، وقضى على كثير من الأدواء التي كانت تعانيها البلاد منذ قرون وحطمت سلطة الأشراف والطبقات الممتازة أو كادت تمحى ، ووزعت الأراضي توزيعاً كبيراً ، فكان ذلك حسنة سابقة ، وعاملاً في ازدهار الزراعة إبان الحكم العربي ، ثم كان الفتح عاملاً في تحسين أحوال الطبقات المستعبدة ، إذ كان الإسلام أكثر تعظيماً لنحري الرقيق من النصرانية ، كما فهمها أخبار المملكة القوطية ، وكذا حسنت أحوال أرقاء النسياع ، إذ غدوا من الزراع تقريباً ، وتمتعوا بشيء من الاستقلال والحرية » .

ويقول الأستاذ « لابن بول » :

« أنشأ العرب حكومة قرطبة التي كانت أعجوبة القرون الوسطى بينما كانت أوروبا تختبط في ظلمات الجهل ، فلم يكن سوى المسلمين من أقام بها منائر العلم والمدنية » .

ويقول المستشرق الأسباني « جاينجوس » :

« لقد سطعت في أسبانيا (الأندلس) أول أشعة لهذه المدنية التي نذرت ضوءها فيما بعد على جميع الأمم النصرانية ، وفي مدارس قرطبة وطليطلة العربية ، جمعت الجذوات الأخيرة للعلوم اليونانية بعد أن أشرنت على الانطفاء ، وحفظت بعناية . وإلى حكمة العرب وذكائهم ، ونشاطهم ، يرجع الفضل في كثير من أهم المخترعات الحديثة وأنفعها » .

أمر موسى بن نصير ، طارق بن زياد بوقف الفتح ، ويختلف المؤرخون في تعليل البواعث على إصدار هذا الأمر ، فقيل : أن موسى لم يكن يتوقع هذا الفوز لقائده ومبعوثه ، فلما وقف على مبلغ فوزه وتقدمه ، تحول أعجابه إلى حسد وغيرة ، وخشى أن ينسب ذلك الفتح العظيم إليه دونه ، وقيل : أن موسى غضب على طارق عندما خالف الأوامر الصادرة إليه ، بالاجاوز « قرطبة » ، خوفاً من أن يصاب الجيش الإسلامي بنكبة ، قد تفقده روحه المعنوية ، إذا توغل في أراضي ، ومسالك مجهولة ، لا يحسن فيها القتال . وعلى أي حال ، فقد لحق موسى بطارق بعد أن استولى على بعض المدن في طريقه ، ووصل إلى أقصى شمال أسبانيا ، وهناك فكر

في أن يخرق بجيشه جميع أوربا غازيا فاتحا ، وأن يصل الى الشام من طريق قسطنطينية ، وكان يمكنه ذلك ، الآن الاسلام يومئذ كان في ذروة الفتوة ، والقوة ، والبأس ، وكانت أمم الغرب من جهة أخرى يسودها الضعف والانحلال ، ولكن تطور الأحداث حال دون تحقيق هذا المشروع ، ذلك انه عندما التقى بطارق عفته على مخالفة الأوامر ، وزج به في السجن ، ويقال أنه أراد قتله ، لكنه أطلقه بعد ذلك ، واشترك معه في تدبير خطط الفتح ، الا أن الخليفة في دمشق عندما علم بالخلاف استدعاهما الى دمشق ، وكان ذلك خسارة كبيرة للإسلام ودولته ، اذ توقف الفتح — تقريبا — عند هذا الحد ، وانشغل المسلمون بخلافاتهم التي نشأت في الأندلس بعد الفتح ، ولكي نلقى ضوعا على هذه الخلافات التي كانت مرضا أصيبت به الدولة الاسلامية الجديدة يوم مولدها ، وعاقها عن الانطلاق المنشود ، ينبغي أن نبين عناصر المجتمع الاسلامي في الأندلس بعد الفتح .

لقد ولدت الدولة الجديدة التي أنشأها الاسلام في أسبانيا حاملة معها منذ البداية جراثيمة الخلاف الخطر ، وكان هذا المجتمع الذي جمع الاسلام شمله ، ومزج عناصره ، يجيش بمختلف الأهواء والنزعات ، وتمزقه الانعصبيات القبلية ، اذ ظهر التنافس القديم بين القبائل العربية من جانب ، وبين العرب والبربر من جانب آخر ، ذلك أن البربر — وكان معظم الجيش منهم — كانوا يبغضون قادتهم ، ورؤساءهم العرب ، ويحقدون عليهم لاستئثارهم بالسلطة ، واستيلائهم على أكبر نصيب من الغنائم ، واحتلالهم لمعظم القواعد والوديان الخصبة . وكثيرا ما رفع هؤلاء البربر لواء العصيان والثورة ، أو أيدوا فريقا من العرب ضد آخر في الصراع على السلطة . أما المسلمون الأسبان — وهم العنصر الثالث في تكوين المجتمع الاسلامي في أسبانيا — فكانوا محدثين في الاسلام ، يعترفهم الشعور بأنهم — رغم اسلامهم — أحط من الوجهة الاجتماعية من ساداتهم العرب ، وذلك أن العرب ، رغم ما تعلموه من أن الاسلام يسوى بين المسلمين جميعا في الحقوق والواجبات ، ويقضى على كل فوارق الجنس والطبقات ، كانوا يشكون في ولاء المسلمين الجدد ، فضنوا عليهم بمناصب الثقة والنفوذ ، أضف الى ذلك أن العرب في الاقطار النائية التي فتحتها بسيفه ، كان يشعر بالغرور ، وتعاوده النعرة القديمة ، فكان يظن أنه أشرف الخليقة .

لو اقتصر الأمر على الخلاف بين العرب والبربر ، وبينهم وبين المسلمين الجدد لكان الخطب ، ولكن الخلاف بين القبائل العربية ، كان أخطر ما في هذا المجتمع من عوامل التفكك والانحلال ، فقد ظهرت عصبية القبائل والبطون من جديد ، فتنافس الزعماء والقادة على السلطان والرياسة ، فمزقت صفوفهم ، ووهنت وحدة الدولة الاسلامية في الأندلس . وظل هذا

هو المرض العضال الذي أعاق الدولة في كثير من الأحيان عن تأمين حدودها الشمالية ، حيث تكونت الممالك النصرانية التي قادت عملية طرد المسلمين من الأندلس .

لعبت هذه الخلافات دورا رئيسيا في تولية الولاة ، وقيام دولة بنى أمية ، وسقوطها ، وقيام دول الطوائف ، وأخيرا اشتدت وطأتها ، فتهاوت الدولة أمام هجمات النصرانية في عام ٨٩٧ هـ = ١٤٩٢ م (١) .

(١) اعتبرت الأندلس في مبدأ أمرها ولاية تابعة لأفريقية ، فكان واليها يعين من قبل والي أفريقية ، ثم يصدق الخليفة على ذلك . ثم استقلت بعد ذلك عن أفريقية ، فأصبح واليها يعين رأسا من الخليفة في دمشق . وأول وال للأندلس ، هو عبد العزيز بن موسى بن نصير ، وآخرهم يوسف ابن عبد العزيز الفهري ، الذي هزمه عبد الرحمن الداخل في ١٠ ذي الحجة سنة ١٣٨ هـ (١٣ مايو سنة ٧٥٦ م) ، وبذلك انتهى عصر الولاة ، وبدأ عصر إمارة بنى أمية .

قامت دولة بنى أمية في الأندلس على يد عبد الرحمن بن معاوية بن هشام ابن عبد الملك بن مروان الذي نجا من مذبحة أهله في مجلس السفاح سنة ١٣٢ هـ ، فهرب من العراق يطلب بلاد المغرب ، بمساعدة مولى له اسمه بدر ، لم يدخر وسعا في انقاذه وحمايته في أثناء ذلك الفرار ، فلما وصل به الى المغرب ، سعى له في جمع الأحزاب ، فقطع مضيق جبل طارق الى الأندلس ، وفيها من موالى بنى أمية خصماتة رجل ، فأخبرهم بقدم مولاه ، وحرصهم على نصرته لاستبقاء هذه الدولة هناك ، فنصروه وجمعوا كلمة المضرة والبيئية ، وبعد حروب كثيرة ، مهدوا له الطريق الى الحكم ، واستقدموه اليهم فدخل الأندلس ، وتولى أمورها سنة ١٣٨ هـ (٧٥٦ م) ، ولذلك سموه الداخل .

لم يجسر عبد الرحمن في بادئ الأمر على انشاء خلافة أخرى ، مع وجود الخلافة العباسية ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم واحد ، وخليفته واحد . استمر الأمويون يحكمون تحت اسم « الامارة » زهاء قرن ونصف حتى تولى عبد الرحمن الناصر ، فرأى أن يتسم بسمه الخلافة ، وكان ذلك في مستهل ذي الحجة سنة ٣١٦ هـ ، وشجعه على ذلك قيام الخلافة الفاطمية في الضفة الأخرى من البحر وانسياب دعوتها الى المغرب الأقصى ، على مقربة من شواطئ الأندلس .

=

بلغت الأندلس أبان مجدها في عهد عبد الرحمن الناصر ، وفي عهد ابنه الحكم المستنصر ، ثم أخذت الأمور بعدهما في الاضمحلال ، فضعفت شوكة الخلفاء ، واستبد الوزراء والجنود ، وهم من موالى الأمويين من البربر والصقالبة ، وكان العرب في مقدمة رجال الدولة ، وأهل العصبية ، ولهم المقام الرفيع ، فلما استبد الصقالبة والبربر بالمناصب ، أخذت شوكة العرب في الضعف تدريجيا ، حتى غلب ابن أبي عامر على أمر الدولة في أيام هشام بن الحكم ، ومكر بأهل الدولة ، وضرب بين رجالها ، وقتل بعضهم ببعض ، فانكسرت شوكة العرب من ذلك الحين .

ومازالت الدولة آنذاك آخذة في الانحلال اقتسمها الولاة البربر وغيرهم فانقسمت مملكة الأندلس في أوائل القرن الخامس الهجري الى امارات تولاهها أصحاب الاطراف والرؤساء ، وفيهم العرب والبربر والموالى ، فنقلب كل انسان على ما في يده ، فصاروا دولا صغيرة متفرقة ، ولذلك سموا ملوك الطوائف وهاك أشهرهم مع أسماء اماراتهم :

اسم الدولة	اسم الملكة	مدة الحكم
بنو حمود	مالقة والجزيرة	٤٠٧ — ٤٤٩ هـ
بنو عباد	أشبيلية	٤١٤ — ٤٨٤ هـ
بنو زيري	غرناطة	٤٠٣ — ٤٨٣ هـ
بنو جهور	قرطبة	٤٢٢ — ٤٦١ هـ
بنو ذي النون	طليطلة	٤٢٧ — ٤٧٨ هـ
العامريون	بلنسية	٤١٢ — ٤٧٨ هـ
بنو هود التجيبون	سرقسطة	٤١٠ — ٥٣٦ هـ

ولم تطل سيادة هذه الدولة ، اذ غلبت عليهم دولة المرابطين ، ثم الموحدين ، وظل الانقسام متتابعاً بين تلك الممالك ، والخصام متواليا ، والافرنج يغتتمون ضعفهم وانقسامهم ، ويسترجعون اماراتهم واحدة بعد واحدة ، وبلدا بعد بلد ، حتى جلبوا على المسلمين ، وأخرجوهم من الأندلس ، وآخر مدينة افتتحها الافرنج من تلك الملكة غرناطة ، وكانت في حوزة بنى نصر — نسبة الى يوسف بن نصر — من سنة ٦٢٩ هـ ، نوالى عليها منهم بضعة وعشرون ملكا آخرهم أبو عبد الله محمد بن علي ، فاستخرجها الافرنج من يده سنة ٨٩٧ هـ (١٤٩٢ م) وفر أبو عبد الله ، وكان ذلك آخر عهد المسلمين بالأندلس ،

اشتغلت الدولة الإسلامية بخلافاتها ، التي استنفدت معظم طاقاتها ، وصرفتها عن توجيه همتها لاتقاء خطر آخر ، ذلك أن شرادم قليلة من « القوط » لجأت عقب الفتح إلى الجبال الشمالية ، وامتعت في مفاوز جبال « اشتوريش » فقامت إمارتان نصرانيتان صغيرتان في « كانتابريا » ، « جليقة » ، غير أن الأولى كانت عرضة لاقتحام الجيش الإسلامي حين سار إلى فرنسا ، ولكن إمارة « جليقة » كانت تقع في أعماق جبال « اشتوريس » الوعرة ، بعيدا عن غزوات الفاتحين ، ولم يعن المسلمون لأول عهد الفتح بأمر هذه الشرادم الممزقة عناية كافية ، وكان فاتحا الأندلس موسى وطارق قد قاد كل منهما حملة إلى « جليقة » لسحق البقية الباقية من « القوط » ولكنهما لم يتمكنوا من تحقيق غايتها لاستدعائهما إلى دمشق . وكان اغفال هذه النفول الباقية بعد ذلك من أعظم أخطاء الفاتحين .

ومن أهم العوامل التي أعاققت تقدم الفتح الإسلامي في أوروبا — وبالتالي ساعدت الإمارات المسيحية في شمال أسبانيا على التمرکز ، وبناء قوة أخرجت المسلمين من الأندلس — النتيجة التي انتهت إليها معركة « بواتيه » في سهل فرنسا . أجل ! كان اللقاء حاسما بين الإسلام والنصرانية في تلك المعركة ، وكانت له آثار بعيدة المدى على تاريخ العالم كله ، وتتلخص وقائع المعركة في أن الجيش الإسلامي اجتاح جنوب فرنسا ، بقيادة عبد الرحمن الغافقي ، مستوليا على ما وقع في يده من مغانم ، وكانت كثيرة جدا ، حتى وصل إلى السهل الممتد بين مدينة « بواتيه » ، و « نور » ، فاستولى المسلمون على « بواتيه » ونهبوها وأحرقوا كنيسنها (١) الشهيرة ، ثم هجموا على مدينة « تور » الواقعة على ضفة « اللوار » اليسرى ، واستولوا عليها ، وخربوا كنيستها أيضا . وفي ذلك الحين كان جيش الفرنج قد انتهى إلى اللوار بقيادة « كارل مارتن » ، دون أن يشعر المسلمون بمقدمة بادئ بدء ، وأخطأت الطلائع الإسلامية تقدير عدده وعدته . فلما أراد عبد الرحمن أن يقتحم « اللوار » ، للاقاة العدو على ضفته اليمنى ، فاجأه كارل مارتن بجموعه الجرارة ، وألفى عبد الرحمن جيش الفرنجة يفوقه في الكثرة ، فارتد من ضفاف النهر نائبة إلى السهل الواقع بين « تور » و « بواتيه » ، وعبر « كارل » اللوار غربى « تور » ، وعسكر بجيشه إلى يسار الجيش الإسلامي ، بأمال قليلة بين نهر « كلين » « وفين » فرعى « اللوار » .

ثم بدأ القتال في اليوم الثانى عشر من أكتوبر ٧٣٢ م (أواخر شعبان ١١٤ هـ) فنشبت بين الجيشين معارك محلية مدى سبعة أيام أو ثمانية ،

(١) مخالفين بذلك روح الإسلام وتعاليمه ، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يوصى المقاتلين دائما ألا يهدموا الكنائس والمعابد .

احتفظ فيها كل بمركزه ، وفي اليوم التاسع نشبت بينهما معركة عارمة ، فانتحلتا بشدة وتعادلا حتى دخول الليل ، واستأنفا القتال في اليوم التالي ، وأبدى كلاهما منتهى الشجاعة والجلد ، حتى بدا الاعياء على الفرنج ، ولاح النصر في جانب المسلمين . ولكن حدث حينئذ أن افتتح الفرنج ثغرة الى معسكر الغنائم الاسلامي فارتفعت صيحة مجهول في المراكز الاسلامية بأن معسكر الغنائم سوف يقع في أيدي العدو ، فارتدت قوة كبيرة من الفرسان من قلب المعركة الى ما وراء الصفوف لحماية الغنائم ، وتوالت كثير من الجند للدفاع عن غنائمهم ، فذب الخلل الى صفوف المسلمين ، وعبنا حاول عبد الرحمن أن يعيد انظام ، وأن يهدى روع الجند ، وبينما هو ينتقل أمام الصفوف يقودها ويجمع شتاتها ، اذ أصابه من جانب الأعداء سهم أودى بحياته فسقط قتيلاً من فوق جواده ، وعم الذعر والاضطراب في الجيش الاسلامي ، واشتدت وطأة الفرنج على المسلمين وكثر القتل في صفوفهم . ولكنهم صمدوا للعدو حتى جن الليل ، وافترق الجيشان دون فصل .

وكان ذلك في اليوم الحادي والعشرين من اكتوبر ٧٣٢ م (أوائل رمضان ١١٤ هـ) .

وهنا اضطرم انجدل والنزاع بين قادة الجيش الاسلامي ، واختلف الرأي وهاجت الخواطر ، وسرى التوجس والفرع . ورأى الزعماء أن كل أمل في النصر قد غاض ، فقرروا الانسحاب ، وفي الحال غادر المسلمون مراكزهم ، وارتدوا في جوف الليل ، وتحت جنح الظلام ، تاركين أثقالهم ، ومعظم أسلابهم غنماً للعدو .

ومن الأسباب التي عاقت الجيش الاسلامي عن احراز نصر حاسم في تلك الموقعة ، حالة القلق التي أصابته ، بسبب الشقاق الذي كان يضطرم بين قبائل البربر التي يتألف منها معظم الجيش ، وكان الكثير منهم يتوق الى الانسحاب مؤثرا النجاة بغنائمه الكثيرة ، ذلك أن المسلمين قد استصفوا ثروات فرنسا الجنوبية أثناء سيرهم المظفر ، ونهبوا جميع كنائسها ، وأديارها الغنية ، وأثقلوا بما لا يقدر ، ولا يحصى من الذخائر ، والغنائم ، والسبي .

فكانت هذه الاثقال النفيسة تحدث الخلل في صفوفهم ، وتثير بينهم ضروب الخلاف والنزاع ، وكانت من الأسباب الرئيسية في تغيير سير المعركة (١) ،

(١) تظهر روح الصليبية واضحة من تعليق المؤرخين على نتيجة هذه

اشتد ساعد نصارى الشمال بعد هذه المعركة ، وحذوا حذو الفرنج في الاستفادة من تمزق الاسلام في الأندلس . ونصارى الشمال هم تلك البقية انباقية من « القوط » الذين ارتدوا أمام الفتح الاسلامى الى ناحية الشمال ، واعتصموا « بجبال اشتوريش » وكان من أعظم أخطاء الفاتحين أنهم لم يعنوا بالقضاء على تلك الفلول ، الى أن استفحل أمرها ، فكانت امارات ، ما لبثت ان اشتد ساعدها ، وأخذت تناهض الاسلام ، وتغالبه . وتعمل بكل ما وسعت لاسترداد الوطن القديم .

* * *

ويبدو للباحث أن المسلمين ارتكبوا عدة أخطاء في سياستهم في الأندلس ، كان لها اثر بعيد المدى على انتشار الاسلام في أوروبا ، واليهما يرجع السبب في ذهاب دولتهم من أسبانيا :

١ - شيوع الأنانية ، وحب الذات بين القادة والأمراء ، والحرص على الدنيا بين كثير من المسلمين . وظهر ذلك في أول عهدهم بالأندلس ، تلمس ذلك حينما أمر موسى بن نصير طارق بن زياد بالتوقف عن الفتح ، لكى لا ينسب الفتح كله الى طارق .

وكذلك فيما تلى ذلك من أحداث ، منها على سبيل المثال ، أن موسى أراد فيما بعد أن يخوض بجيشه سهول أوروبا وجبالها فاتحا ، حتى يصل الى دمشق من الطرف الآخر للقارة الأوروبية ، ولكن حال دون ذلك ، استدعاء الخليفة له ولطارق اثر الوشاية بهما فى بلاط دمشق ، وبذلك أسدل الستار على هذا المشروع الخطير . واذا أردت المزيد من هذه الأحداث التى أثرت على الاسلام والمسلمين فى الأندلس ، فاقرا كتب التاريخ تنبئك عن خلافات أدت الى قتل وصلب بين المسلمين أنفسهم ، ارضاء للنفس الأمارة بالسوء ، واشباعا لشهوة الحكم .

المعركة ، واليك نموذجا منها يقول « السير ادوارد كريسى » : « ان النصر العظيم الذى ناله « كارل مارتل » على العرب سنة ٧٣٢ م وضع حدا حاسما لفتوح العرب فى غرب أوروبا ، وأنقذ النصرانية من الاسلام » ويقول : « ادوارد جيبون » متصورا النتائج لو انتصر العرب فى معركة « بواتيه » : « بل ربما كانت أحكام القرآن تدرس الآن فى معاهد « اكسفورد » ، وربما كانت منابرهما نؤيد لحمد صدق الوحي والرسالة » . ويقول : « ان هذه المعركة أنقذت آباءنا البريطانيين وجيراننا الغالين (الفرنسيين) من نير القرآن المدنى والدينى ، وحفظت جلال رومة ، وأخرت استعباد « قسطنطينية » ، وشدت بازر النصرانية ، وأوقعت بأعدائها بذور التفرق والفشل » .

٢ - نشب الخلاف بين القبائل العربية التي الفت رحلها في الأندلس ، فعادت الى ما كانت عليه قبل الاسلام من التناحر ، والتناحر ، والتقاتل ، زاد عليه ما وقع من خلاف بين العرب والبربر ، فكان المجتمع الأندلسي يموج بخلافات عميقة ، واضطرابات عنصرية ، أدت الى قيام ثورات امتدت عبر تاريخ المسلمين في الأندلس بين الأمراء والحكام وبينهم وبين النصارى عليهم ، حتى قضى عليهم جميعا ، وبالتالي على الاسلام نهائيا في أسبانيا . وليس غريبا أن تهزم النصرانية الاسلام في الأندلس ، بل انغريب أن يصمد أمامها ثمانية قرون ، الآن الخلافات التي نشأت بين أبنائه من يوم قيام دولته في الأندلس ، كانت كفيلا بأن تعجل بهزيمته في فترة اقصر من ذلك بكثير !

٣ - شغلت هذه الخلافات المسلمين عن التفرغ النهائي للقلول القوطية التي فرت أمام الفتح ، واعتصمت بالجبال الشمالية ، وكونت الامارات النصرانية ، اذ لم يجرّد المسلمون لها حملة للقضاء عليها نهائيا ، بل كانت الحرب بينهم ، وبين هذه الامارات ، لا تخرج عن كونها حملات تأديبية فقط ، ردا على عدوانهم على الثغور والحصون الاسلامية المتقدمة ، ثم تطور فيما بعد الى توازن بين الفريقين ، ينتصر المسلمون في بعضها ، وينهزمون في البعض الآخر : ولما دب الضعف في أوصال المسلمين في الأندلس رجحت كفة الفصاري ، وأصبحوا يقتطعون الثغور ، ويستولون على المدن واحدة بعد الأخرى ، ولولا النجيدات التي عبرت من شمال أفريقيا الى الأندلس لانتهدت دولة الاسلام هنالك قبل سقوط غرناطة بقرنين على الأقل .

وقعت معارك كثيرة بين المسلمين والنصارى ، ولكننا سنكتفى بعرض موجز لثلاث فقط :

أولها : تتعلق « بطليطة » المدينة التي كان سقوطها بداية استرداد الأندلس من أيدي المسلمين ، وهي أيضا مسرح المناقشات التي أدت الى ظهور هذا الكتاب الذي نقدم له .

ثانيها : معركة « الزلاقة » ، لأنها دفعت الى اندم الاسلام في الأندلس جرعة جديدة أحييت شبابها ، فساعدته على الصمود بضعة قرون أخرى .

ثالثها : قرطبة لأنها آخر المعامل الاسلامية في الأندلس .

سقوط طليطة :

اشتد النزاع بين ملوك الطوائف ، فصار كل منهم يتربص بالآخر ، للاستيلاء على ماتحت يده ، ويبذل كل ما في وسعه للنغلب عليه وسحقه ،

ولو كان ذلك عن طريق محالفة ملوك النصارى أعدائهم جميعا ، فكانت النتيجة أن ضعفوا جميعا ، وعجزوا عن حماية أنفسهم . واستغل ملك « جليقة » و « قشتالة » النصارى ضعفهم ، ورأى أن الفرصة سانحة لاقتلاك بلدانهم ، وبسط سلطانه عليهم ، فأخذ يهاجم النغور الإسلامية ، وينتزع المدن والحصون من أمرائها ، ويفرض عليهم الجزية . وكان ممن أخضعه وألزمه على دفع الجزية أمير « طليطلة » المأمون يحيى بن ذى النون .

واستمرت « طليطلة » تؤدى الجزية « لفرديناند » الأول ملك « قشتالة » حتى مات فقطعها أمير طليطلة مستغلا النزاع الذى حدث بين أولاد « فرديناند » ووقع الحرب الأهلية بينهم .

هرب أحد أولاد « فرديناند » — وهو ألفونس — الى « طليطلة » مستجيرا بأمرها المأمون ، فأكرم وفادته وأنزله عنده عزيزا مكرما ، وعندما قتل أخوه ، غادر « طليطلة » الى بلاده ، فاعتلى عرشها . واستغل « ألفونس » الصداقة التى قامت بينه وبين المأمون ، فعقد حلفا معه ، تعاهدا فيه على الصداقة ، والتعاون المشترك .

واعتمد المأمون على هذه الصداقة ، فوجه حملة ضد خصمه المسلم ابن عباد فى قرطبة ، وكان جيشه يضم جنودا من القشتاليين النصارى ، فاستولى على قرطبة ، ولكنه لم يتمتع بالنصر طويلا ، إذ كان كبير السن ، فداهمه المرض ، ولم يكن له ابن ، فأوصى بالملك لحفيده القادر بن يحيى بن اسماعيل ، وكان قاصرا ، فأقام له مجلس وصاية ، من صديقه ألفونس ، والحارس بن الحكم وبعض الولاة . ولكن هذه الثقة بحليفه لم تقع موضعها ، فنسى ملك قشتالة أبواء « طليطلة » له يوم أن كان طريدا ، وعطفها عليه ، ونسى صديقه المأمون يوم آمنه من خوف ، ولم يذكر العهد الذى أعطاه لصديقه ، بأن يرعى الأمير القاصر ، ويحميه ، وأبت نفسه إلا أن تشعر بشعور العرش ، ومصلحة وطنه ، ضاربا بكل العهد والمواثيق عرض الحائط ، فنجحت عنده مساعى ابن عمار وزير المعتمد ، شارضى أن يحالف صاحب أشبيلية عدو الملك الذى هو وصى عليه ، وأن يعده بالمساعدة فى توسعه ، ومحاربة أمراء المسلمين ، ورضى ابن عباد أن يساومه على أبناء ملته ، فترك يده حرة تتصرف فى طليطلة ، ثم يؤدى له الجزية صاغرا ، لا يجد بها غضاضة فى سبيل مطامعه .

وبينما ابن عباد يزحف بجيشه الى غرناطة ، ليخضع صاحبها ابن باديس ، إذ « ألفونس » يتهاى لغزو « طليطلة » ، واحتلالها عام ١٧٩ م وكانت قد ثارت على أمريها القادر بن ذى النون ، لاكثره فى فرض الضرائب ، ارضاء لشهوانه وترفة . أو اشباعا لمطامع ملك قشتالة .

فجاء « الفونس » الى « طليطلة » متذرعاً بحجة الدفاع عن حليفه ،
 فعاش في ولايتها مخرباً القرى والحصون ، ثم ارتد عنها عندما وصلته الأنباء ،
 بأن المنصور أمير « بطليوس » خف لنجدتها . ثم عاد « الفونس » في العام
 التالي ينشر الفساد في بسائطها ، ويستولى على زروعها ، ويدق قلاعها .
 ومازال يوالى عليها غاراته في كل عام حتى أضعفها ، وأنهك قواها ،
 وضيق عليها ، حتى أصيبت بالضيق والفاقة ، ثم سار اليها في السنة
 السادسة متوجها الى العاصمة نفسها فحاصرها ، ومنع عنها كل صلة ومدد ،
 فاستغاثت المدينة بأمر « بطليوس » ، فأمدّها بجيش على رأسه ولده المفضل ،
 ولكنه لم يصمد أمام قوات « الفونس » الساحقة ، فانهزم مدحوراً . ولم
 يبق للقادر أمل في النجاة ، وكان الجوع يهدد المدينة ، فخشي أن يثور عليه
 الشعب ويقتله ، فبعث الى « الفونس » يطلب الصلح على أن يؤدي الجزية ،
 ويكون تابعاً له ، فرفض « الفونس » ، وطالبه بفتح أبواب المدينة ،
 وتسليمها ، واعداءه بأن يحافظ على أرواح المسلمين ، ومقتنياتهم ، وأن ينسرك
 لهم المسجد الجامع يصلون فيه ، والا يعارضهم في دينهم وشرائعهم . وخبرهم
 في البقاء أو الهجرة ، فمن أحب البقاء يؤدي الجزية ، كما يؤديها المسيحيون
 في بلاد المسلمين ، ومن أثار الهجرة يسمح له بأن يحمل أمواله حيث يشاء .
 وضمن للقادر أن يدع له إمارة بلنسية يتصرف فيها ، ولا ييخل عليه
 بالمساعدة ، اذا احتاج الى الدفاع عنها .

وفي الخامس والعشرين من مايو ١٠٨٥ م (أول صفر ٤٧٨ هـ) دخل
 « ألفونس » السادس ملك « قشتالة » ، و « لاون » ، و « جليقة » ،
 « طليطلة » ، عاصمة « القوط » القديمة ، تتقدمه مواكب النصر ، وتحيط به
 مظاهر العظمة ، والأبهة والجلال . وبذلك انتزع من المسلمين إحدى قواعد
 الأندلس الكبرى ، التي تتحكم في استراتيجيتها ، إذ كان موقعها على نهر
 « التاجه » ، يعد من أقوى المواقع دفاعياً ، فكانت بذلك حصن الأندلس
 الشمالي ، والسد المنيع الذي يرد عادية النصرانية ، فجاء سقوطها ضربة
 شديدة لمنعة الأندلس وسلامتها .

وانقلب ميزان القوى القديم فبدأت قوى الاسلام تفقد تفوقها في شبه
 الجزيرة ، بعد أن استطاعت أن تحافظ عليها زهاء أربعة قرون ، وأضحى
 تفوق القوى النصرانية أمر لا شك فيه . ومن ذلك الحين تدخل سياسة
 الاسترداد الأسبانية في طور جديد قوى ، وتقاطر الجيوش « القشتالية » لأول
 مرة منذ الفتح الاسلامي ، عبر نهر « التاجه » الى اراضي الأندلس ،
 تحمل اليها أعلام الدمار والموت ، وتقطع أشلاءها تبعاً ، في سلسلة لا تنقطع
 من الغزوات والحروب .

معركة الزلاقة :

اغتر ملك « قشتالة » بعد سقوط « طليطلة » فتوغل في أراضي المسلمين وزحف بجيوشه يضرب ولايات الأندلس ، فاستولى على « قورية » ، من بنى « الأقطس » ، وأغار على بسائط « أشبيلية » فأُخِن فيها ، وأحرق قراها وحقلها ، ثم ارتد إلى قلعة سرقسطة يريد فتحها ، فضرب حولها حصارا شديدا ، وأعمل الحديد والنار في ولايتها فدافعت عاصمة الدولة اليهودية عن نفسها دفاع المستميت المستبسل . ولكن الأسبانيين ضيقوا عليها ، فراحوا تستغيث بجاراتها المسلمة . غير أن ملوك الطوائف كانوا ضعافا متمزقين ، ينظرون إلى المواقف منخلعة قلوبهم هلعا ، لا يستطيعون حراكا ، لأن الخلافات أنهكتهم ، وبددت قواهم .

أضحت الأندلس على وشك الفناء ، ولاح في الأفق أن دول الطوائف المنهكة ، المهزقة ، سوف تسقط تباعا في يد عدوها القوى ، وساد الفزع والتوجس يومئذ جنبات الأندلس كلها ، حتى قال شاعرهم :

يا أهل الأندلس شدوا رحالكم فما المقام بها إلا من الغلط
السلك ينثر من أطرافه وأرى سلك الجزيرة منثورا من الوسط
من جاور الشر لا يأمن بوائقه كيف الحياة مع الحيات في سبط

أدرك ملوك الطوائف أن الموقف خطير ، وأن الدائرة ستنور عليهم جميعا ولا يمكن لأحد منفردا أن يقف أمام هذا العدو ، فلأبد من الانحداد كى يستطيعوا وقف توغله في الأراضي الإسلامية . فتداعوا إلى مؤتمر يعقدونه في مملكة ابن عباد ، أعظمهم دولة ، فاجتمعوا في « أشبيلية » ثم « قرطبة » واتفقوا على ضم جهودهم لدفع المغير ، وانقاذ « سرقسطة » بيد أنهم لم يكونوا واثقين بالنصر ، لما يعلمونه من ضعف قواهم إزاء القوات الأسبانية ، فاتجهوا بأبصارهم إلى ما وراء البحر يستغيثون بالمرابطين ، وهم يومئذ في عنفوان دولتهم ، وأميرهم يوسف بن تاشفين يبسط سلطانه على أهم المغرب من المحيط غربا حتى تونس شرقا ، وكان صاحب شوكة وسلطان ، يسيطر على شعب مخشوشن الأبدان ، يستطيب الحرب والكفاح ، لم ينغمس في الترف والملذات — كاهل الأندلس — لتخور عزائمه ، فيتقاعد عن القتال .

تلقى أمير المرابطين دعوة أمراء الطوائف في الأندلس لنجدتهم ، فحشد جيشا قوامه خمسين ألفا في « سبته » ، ثم اجتاز المضيق إلى الجزيرة الخضراء

في شهر ربيع الآخر سنة ٤٧٩ هـ (أغسطس ١٠٨٦ م) وبعد استقبال الأمراء له ، واستعداد الجيوش للقتال جاءت الأنباء أن « الفونس » زاحف بقواته الى « بطليوس » فنشط المسلمون الى ترتيب صفوفهم ومعسكراتهم ، وتولى امراء الأندلس قيادة جنودهم .

خطب يوسف بن تاشفين وابن عباد في أصحابهما ، وقام الفقهاء يحضونهم على الثبات ، ويحذرونهم من الفشل . ثم جاءت الطلائع تخبر أن العدو مشرف عليهم صبيحة يومهم وهو يوم الأربعاء ، فخرج المسلمون مبكرين ، واخذوا مصافهم وأقبلت الجيوش الأسبانية بخيلها ، ورجلها ، تملأ الفضاء ، فنزلت على بضعة أميال من بطليوس ، في سهل تتخلله الغابات يعرف باسم الزلاقة (Sacratias) وعسكرت تجاهها الكتائب الأندلسية ، يفصل بينهما نهر صغير .

أقام يوسف بن تاشفين معسكره وراء أكمة عالية ، منعزلا عن معسكر الأندلسيين ، فلما أخذت الجنود مواقعها ، أرسل زعيم المرابطين الى « الفونس » ، يعرض عليه الدخول في الاسلام ، أو تأدية الجزية ، أو مباشرة القتال ، ومن جملة ما قاله في كتابه اليه :

« بلغنا يا « الفونس » أنك دعوت الى الاجتماع بنا ، وتمنيت أن يكون لك سفن تعبر فيها البحر إلينا ، فقد عبرنا اليك ، وقد جمع الله في هذه الساحة بيننا وبينك ، وسفرى عاقبة دعائك ، وما دعاء الكافرين الا في ضلال » .

فلما اضطلع « الفونس » على مضمون الكتاب رماه الى الأرض غاضبا وقال للرسول :

« اذهب فقل لمولاي ، اننا سنلتقى في ساحة الحرب » ، ولم يشأ العاهل الأسباني أن يبدأ القتال دون أن يلجأ الى بعض الخدائع المعروفة عنه ، فأرسل الى يوسف بن تاشفين ، مقترحا عليه عدم البدء بالقتال غدا ، يوم الجمعة ، لأنه العيد الأسبوعي للمسلمين ، ولا السبت لأنه يوم اليهود ، وفي كلا المعسكرين كثير منهم ، ولا الأحد لأنه يوم النصرى ، واللقاء في المعركة يكون يوم الاثنين .

استحسن الأمير المغربي هذا الاقتراح ، ولكن ابن عباد شك في الأمر ، لأنه يعرف الكثير من مكائد « الفونس » ، فبعث عيونه بالليل ينجسون حركات الأسبانيين ، فعادوا يخبرونه أنهم سمعوا ضوضاء الجيوش ، ورنين الأسلحة فبعث الى يوسف بن تاشفين يطلعه على الأمر ويستحث نصرته .

قسم « الفونس » جيشه الى قسمين ، ودفع بالقسم الأول ، لباغت الأندلسيين ، واذا بفرسان المرابطين يصدونهم ، ويكسرون هجومهم ، ولم يكن الأسبانيون ينتظرون هذه المفاجأة ، فارتدوا الى خط دفاعهم الثاني ، ثم أصلحوا أمرهم ، وعادوا الكرة على المرابطين ، وحمل معهم « الفونس » بسائر جيشه يخترق فرسانه المدرعون بالحديد الخطوط الأندلسية . وكانت الحملة عنيفة ، لم يصمد أمامها أمراء الأندلس ، ف تراجعوا مهزومين ، ثم ركنوا الى الفرار ، فطاردهم المسيحيون ، الى أسوار « بطليوس » ، ولم يثبت في الميدان الا فرسان « أشبيلية » وأميرهم ابن عباد والفرسان المرابطون ، وقاددهم داود ابن عائشة ، وأظهروا من ضروب البسالة ما يملأ أنفوس اعجابا ، فجاهدا بفرسانهما أروع جهاد ، حتى لم يبق أمل من الدفاع ، ارتدا بأصحابهما الى الأسوار ، ملتحقين بأمراء الأندلس الذين انهزموا في بدء المعركة ، وتتبعهم « الفونس » بالمطاردة ليجعل عليهم ، وظن أن الهزيمة لحقت بالمسلمين ، وأن يوسف بن تاشفين من جملة المنحدرين . وبينما هو غارق في هذا الظن ، اذا بالصرخة تتعالى وراءه في معسكره ، وقرع الطبول يتجاوب في الهواء ، وكان زعيم المرابطين قد خرج بجنوده ، وانقض على معسكر الأسبانيين فأوقع بحاميته ، وأحرق الخيام ، واستولى على ما فيها من الذخائر والأسلحة .

ارتد « الفونس » لينتقد معسكره ، ودارت بينه وبين يوسف بن تاشفين معركة حامية رجحت فيها كفة المسلمين ، فارتد المسلمون الذين انهزموا في بدء المعركة وفيهم ابن عباد ، وداود ابن عائشة بفرسانهما ، فاشتدت عزائم المسلمين حين لاحت بوادر النصر لهم . وأطبقوا على الأسبانيين ، فحصرهم بين فكي انجيوش الإسلامية — يوسف بن تاشفين في قواته من جانب ، والأمراء الأندلسيين من الجانب الآخر — وبدأت سيوف الاسلام تحصدهم من الأمام والوراء ، حتى دنت ساعة الغروب ، وكره يوسف بن تاشفين أن يأتي الظلام ، ويفصل بينه وبين النصارى دون أن يجهز عليهم ، فأمر فرقة من رجاله — وعدتهم أربعة آلاف — فترجلوا عن مطاياهم ، بأيديهم السيوف ، والدرق ، ومزاريق الزان ، فاقترحموا خيول الأسبانيين ، وأعملوا الطعن في بطونها ، وصدورها ، فازورت بفرسانها ، وفرت من الميدان من ألم الجراح . وحملت جيوش المسلمين حملة صادقة ، فانهزم الأسبانيون ، واستمر القتل فيهم ، فلم يفلت منهم غير طويل العمر .

خسر الأسبانيون أكثر جيوشهم في هذه الموقعة ، وكذلك كانت خسارة المسلمين جسيمة ، لأن الضائقة لزمته معظم النهار ، بيد أنهم وجدوا تعزية في النصر البهيج ، فأتقوا مهرجان الفرح مساء يومهم ، وبعث المعتمد ابن عباد حملة الى عاصمته تحمل رسالة البشرى لولده الرشيد ، فقرئت

على الناس في المسجد الجامع ، واحتفلت « أشبيلية » بالنصر في اليوم نفسه ، على ما بينها وبين « بظليوس » من البعد . وبات الجيش ثيلته في ميدان القتال حتى تنفس الصبح فصلوا صلاة الشكر لله العلى الجليل ، على ما وهبهم من النصر المبين .

وانتهت معركة « الزلاقة » بيوم واحد ، هو الجمعة ٢٣ ديسمبر ٨٦٠م ، فدونت حدثا عظيما في تاريخ الاسلام ، ولكنها لم تجتث الداء الذي سرى في أوصال الأمة الاسلامية في الأندلس ، فأضعفها ، وأنهك قواها ، ألا وهو الاختلاف على السلطة ، فقد كان الخلاف بين أبناء هذه الأمة في تلك الظروف العصبية يذهب الى حد التضحية بأقدس المبادئ وأسمى الاعتبارات ، وكانت وثنائج القومية والدين ، والخطر المشترك ، كلها تغيض أمام الأطماع الشخصية الوضيعة . ذلك أن ملوك الطوائف توجسوا خيفة من أطماع يوسف ابن تاشفين في الأندلس ، إذ كانوا يعتقدون أنه جاء لنجدتهم فقط ، فإذا انتهت هذه المهمة ، شد رحاله راجعا الى بلاده ، ولكنه أظهر بعد المعركة أنه لا يريد ترك الأندلس لهم فنشبت الخلافات بينهم وبينه ، فحال ذلك دون استرداد ما استولى عليه النصاري قبل ذلك ، ومنها « طليطلة » التي سبق الكلام عنها . غير أن دولة الاسلام بقيت في الأندلس بقيادة المرابطين حتى عام ٥٤٠ هـ (١١٤٦ م) عندما انهارت دولتهم في أفريقيا أمام الموحيدين ، الذي جازوا على الأندلس ، وأخذوا يستولون على ثغورها ومدنها من المرابطين .

حافظ المسلمون على قوتهم في الأندلس في عصر الموحيدين ، الى أن قضى بنو مرين على دولتهم في أواخر عام ٦٦٧ هـ (١٢٦٩ م) ، فانتهت دولة الموحيدين في المغرب ، كما انتهت في الأندلس ، بعد أن عاشت زهاء قرن وثلاث ، وقامت مكانها دولة بنو مرين تسيطر على أنحاء المغرب الأقصى كله ، وتستقبل عهدا جديدا من القوة والسلطان .

انهارت قوى المسلمين في الأندلس بعد ذهاب دولة الموحيدين ، بل قبل ذلك ، عندما دب الضعف في أوصالها ، بالذات بعد احراز أسبانيا النصرانية لفوزها الحاسم على الموحيدين في موقعة العقاب عام ٦٠٩ هـ . ومنذ ذلك الحين تجتاح أسبانيا المسلمة موجة عاتية من الغزو النصراني ، وتستقطق قواعد الأندلس الثالثة شرقا وغربا في يد النصاري ، فسقطت جزيرة « ميورقة » (٦٢٧ هـ - ١٢٢٩ م) ، « وأبدنة » (٦٣١ هـ - ١٢٣٣ م) ، ثم « قرطبة » (٦٣٣ هـ - ١٢٣٦ م) ، « وبياسة » « وأستجة » « والحورة » (٦٣٤ هـ - ١٢٢٧ م) ، « وبلنسية » (٦٣٦ هـ - ١٢٣٨ م) « وشاطبة » « ودانية » (٦٣٨ هـ - ١٢٤٠ م) « ولقنت » « وأريولة » « وقرطاجنة »

(٦٤٠ هـ - ١٢٤٢ م) ، « ومرسية » (٦٤١ هـ - ١٢٤٣ م) ، « وجيان » (٦٤٤ هـ - ١٢٤٦ م) ثم « أشبيلية » (٦٤٦ هـ - ١٢٤٨ م) ، واجتاحت غرب الأندلس في الوقت نفسه موجة مماثلة من الغزو النصراني ، فسقطت « بطليوس » (٦٢٦ هـ - ١٢٢٨ م) « ومادة » (٦٢٨ هـ - ١٢٣٠ م) « وشلب » (٦٤٠ هـ - ١٢٤٢ م) ، « وشنتمرية » الغرب (٦٤٧ هـ - ١٢٤٩ م) « وولبة » (٦٥٥ هـ - ١٢٥٧ م) ، ثم سقطت « قادس » في سنة ١٢٦٢ م وتلتها « ثريش » في سنة ١٢٦٤ م ، وهكذا لم يأت منتصف القرن السابع الهجري (القرن الثالث عشر الميلادي) حتى كانت ولايات الأندلس الشرقية والوسطى كلها ، قد سقطت في يد أسبانيا النصرانية ، ولم يبق من تراث الدولة الإسلامية بالأندلس سوى بعض ولايات صغيرة في طرف أسبانيا الجنوبي .

وأخذت الأندلس عندئذ ، تواجه شبح الفناء مرة أخرى ، وطافت بالامة الأندلسية التي احتشدت يؤمئذ في الجنوب في بسيتها الضيق ، ربح من اننوجس والفرع ، وعاد النذير يهيب بالمسلمين ، أن يغادروا ذلك الوطن الخطر الذي يتخاطف العدو أشلاءه الدامية ، وسرى الى الأمة الأندلسية شعور عميق بمصيرهم المحنوم .

ولكن شاء القدر أن يرجيء هذا المصير بضعة أجيال أخرى ، وشاء أن يسبغ على الدولة الإسلامية بالأندلس ، حياة جديدة في ظل مملكة « غرناطة » ، تلك المملكة التي استطاعت أن تحافظ على قوة المسلمين نوعاً ما في الأندلس ، حتى تكالبت عليها قوى النصرانية ، واستغاثت بالمسلمين في الطرف الآخر ، ولكنهم لم يلبوا استغاثتها ، لضعفهم ، وانشغالهم عنها بأمورهم الداخلية ، فسقطت تحت سنانك خيل المعتدين .



سقوط غرناطة :

لم يبق في أيدي المسلمين من الأندلس العربية بعد انهيار دولة الموحدين وسقوط « قرطبة » ، « وبلنسية » ، « وأشبيلية » ، وسواها من المدن والقلاع ، الا مملكة « غرناطة » . ويشمل حكمها « كورة البيرة » (Elvire) ومنها قطر « لوثة » (Loja) على نهر « غرناطة » ، المعروف بنهر « شنيل » (Xcinuecar) ، وجبال « البشرات » (Alpujarras) « وبسطة » (Baza) ، وأشهر مدنها التجارية على ساحل البحر « مالقة » (Malaqu) « والمرية » (Aiméria) .

نشأت هذه الدولة في ظل ظروف صعبة ، اذ كانت الحرب الأهلية قد مزقت الأندلس عقب انهيار دولة الموحدين ، فعمت الفوضى ، وكثر الفساد ولكن عزيمة محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد بن خميس بن نصر بن قيس الخزرجي ، الملقب بابن الأحمر ، استطاعت أن تتغلب على كل عقبة في تكوين تلك الدولة . ولعب موقعها الجغرافي ، والأحداث التي وقعت في ذلك العصر دورا كبيرا في قيامها وبقائها مدة مائتين وخمسين عاما أخرى بعد أن سقطت ولايات الأندلس في يد النصارى ، ويمكن أن نلخص العوامل التي ساعدتها على الحياة هذه المدة فيما يلي :

١ - الموقع الجغرافي ، ذلك أن القواعد والثغور الجنوبية التي تقع فيما وراء نهر الوادي الكبير ، آخر الحواجز الطبيعية بين أسبانيا النصرانية ، وبين الأندلس المسلمة ، كانت أبعد المناطق عن مناول العدو ، وأمنها ، وكانت في الوقت نفسه أقربها إلى الضفة الأخرى من البحر ، إلى عدوة المغرب ، وشمال أفريقيا ، حيث تقوم دول إسلامية شقيقة ، وحيث تستطيع الأندلس وقت الخطر انداهم أن تستمد الغوث والعون من اخوانها في الدين ، وقد كان لها في ذلك منذ أيام الطوائف أسوة .

٢ - انشغل الملوك الأسبان عنها بمحاربة بعضهم بعضا ، واستمرت الحرب بينهم حتى منتصف القرن الخامس عشر الميلادي .

٣ - اعتاد الملوك الأسبان على ابتزاز أموال المسلمين ، فكانوا يجدون لذة في ضرب الجزية عليهم ، واعتبارهم من أتباعهم ، فقد عاون ابن الأحمر ، النصارى ، في الاستيلاء على ثغر « شادس » ، وبذل لهم ما استطاع من العون المادي ، والأدبي ، ضد الأمراء المسلمين ، وذلك طبقا لاتفاق عقد بينه وبين ملك « قشتالة » يقضى بأن يترك ابن الأحمر ، يحكم مملكته ، وأراضيه باسم ملك « قشتالة » ، وفي ظله ، على أن يؤدي ابن الأحمر جزية ، سنوية ، قدرها مائة وخمسون ألف قطعة من الذهب ، وأن يعاونه في حروبه ضد أعدائه ! !

٤ - كان المملكة مكتظة - على ضيق مساحتها - بالسكان ، لأن معظم المسلمين الذين هاجروا من الولايات الأندلسية ، التي احتلها النصارى لجأوا إليها ، واتخذوها مقرا ، فاجتمع فيها عدد كبير من المحاربين الشجعان ، كانت تستعين بهم في رد عدوان النصارى ، عندما كانوا ينقضون عهد الأمان ، وكثيرا ما كان يحدث منهم ذلك .

٥ - كانت اذا أحست بالخطر ، وشعرت بالخناق يضيق عليها ، استصرخت سلاطين المغرب ، وفي مقدمتهم بنو مرين ، فيرسلون إليها بالجنود الشجعان ، لرد المعتدين عن أرضها .

كان لهذه العوامل كلها أثر كبير في بقاء مملكة « غرناطة » ، الى أن تغير الوضع الدولي آنذاك ، اذ استطاع البابا « اينوسان » الثالث ، أن يصلح بين الملوك الأسبانيين ، ويؤلف قلوبهم ، ويحثهم على محاربة المسلمين ، ودفع سقوط « قسطنطينية » في الشرق في أيدي العثمانيين سنة ١٤٥٣ م ، النصرارى في أوروبا ، على مساعدة ملوك أسبانيا ، للقضاء على الاسلام في الأندلس .

أضف الى ذلك ما أصاب دولة بنى مرين من ضعف ، أعجزها عن تقديم المساعدة للمستغيثين بها من الأندلسيين ، ورافق ذلك تضعف في أحوال غرناطة من جراء خلافها الداخلي ، وانقسامها أحزابا تحترب ، وتتصارع ، ويفزع بعضها الى النصرارى لمقاومة البعض الآخر ، فمهّدوا السبيل للنيل منهم ، وتغلب العدو على مدنها وقتلهم . وكان من أخطر تلك الخلافات ما وقع في قصر الحمراء من دسائس النساء ومكائدهن ، ذلك أن السلطان أبا الحسن عليا ابن الأحمر ، كان رجل لذات وشهوات ، فأهل رعاية الجيش ، وأقدم على قتل كبار القواد ، ليأمن انتفاضتهم ، ثم سلم زمام الحكم لوزيره ، واحتجب في قصره عن الناس ، ليتفرغ لنسائه وملاهيته ، فأغضب انعامه والخاصة ، وتمخض الأمر عن اندلاع ثورة ، بايعت أخاه أبا عبد الله محمدا . المنقب بالزغل ، ونشبت الفتنة بين الأخوين ، ولكنها انتهت باخضاع الزغل .

غير أنه ما لبث أن نشأ خلاف ، أشد منه وأنكر ، خلاف بين الابن وأبيه ، ومشوّه أن أبا الحسن وقع في غرام جارية أسبانية ، أسلمت ، وتسمت بانثريا ، استولت على ارادته فحلمته على أن يتزوجها ، وتبوّأت عنده المنزلة الأولى ، فجعل ولاية العهد لبعض أولادها ، فاشتعلت الغيرة في صدر زوجته عائشة وهى ابنة عمه السلطان الأيسر . ومازالت الثريا تحرض السلطان أبا الحسن على عائشة ولديها حتى أمر السلطان باعتقالهم . أنار هذا التصرف غضب كثير من الكبراء الذين يؤثرون الأميرة الشرعية ، وولديها بعطفهم ونأييدهم ، فكان نذير الاضطراب في المجتمع الغرناطى ، وانقسم الزعماء الى فريقين خصيمين ، فريق يؤيد الأميرة الشرعية وولديها ، وفريق يؤيد السلطان وحظيته ، واستأثر الفريق الأخير بالنفوذ مدى حين .

عمدت الأميرة عائشة الى الاتصال بعصبيتها وأنصارها ، فساعدوها على الفرار من السجن مع ولديها . اختفى الفارون حيناً حتى قويت دعوتهم ، وانضم اليهم كثير من أهل « غرناطة » ، وكان اسم عائشة ، ورفيع خلالها ، وقصة فرارها الجريء ، تثير أيما عطف وأعجاب .

ظهر ولدها القتي محمد أبو عبد الله في وادى « آش » حيث مجمع عصبته وأنصاره وغلبت دعوته ، فنشبت الثورة في « غرناطة » ، ولم يستطع أبوه

مواجهتها ، لسخط العامة على سياسته الداخلية ، ففر الى « مالقة » ، وكان بها أخوه الزغل .

جلس أبو عبد الله محمد مكان أبيه على عرش « غرناطة » في أواخر عام ٨٨٧ هـ وأطاعته « غرناطة » ووادي « آش » ، وغيرها ، ولم يبق غير « مالقة » والناحية الغربية تحت نفوذ أبيه .

التقى الابن والأب في معارك طاحنة ، واضطربت نار الحرب الأهلية بين المسلمين ، وكان ملك « قشتالة » يرقب الأحداث ، فلاحث له الفرصة للغزو ، ورأى أن الوقت قد حان للقضاء على آخر معقل للإسلام في الأندلس ، تنفيذاً لبعض شروط عقد الزواج المعقود بين « فرديناند » ملك « أرجوان » ، « وايزابلا » ملكة « قشتالة » التي تنص على ادماج مملكتيهما في مملكة واحدة ، لتحارب المسلمين وتخرجهم من أسبانيا .

قصد المسيحيون « مالقة » ، « وبلش » في نحو ثمانية آلاف ، فتاومهم الزغل وأوقع بهم خسائر فادحة ، ولما علم أبو عبد الله أن عمه أحرز نصراً على النصاري ، أحب أن يكون له قسط من الجهاد الوطني والديني — وكان يقاتل قوات أبيه في ذلك الحين وتغلب عليها — فحشد قواته ، وخرج لقتال الأسبانيين ، فاجتمع عليه الأسبان ، فهزموه ، وأخذوه أسيراً .

أجمع أمراء « غرناطة » على إرجاع والده ، وكان قد ذهب بصره ، فرفض أن يقوم بأعباء الملك ، وهو على هذه الحال ، فأشار عليهم أن يبايعوا أخاه الزغل ، فبايعه الأندلسيون ، وقدموا له فروض الطاعة .

خاض المسلمون بقيادة الزغل معارك طاحنة ضد النصاري الذين اغاروا على غرب « مالقة » في عام ٨٩٠ هـ (١٤٨٥ م) وحاصروا « رندة » ، وهدموا أسوارها . وفي أثناء ذلك ، أراد « فرديناند » أن يضرب المسلمين بعضهم ببعض ، ويستفيد من شقاقهم وتحاربهم ، فبعث إلى عبد الله — وهو أسير عنده — فحضر إليه ، واتفق معه على أن يطلق سراحه ، ويساعده على استرداد عرشه من عمه ، وأمدّه بالجنود والمال اللازم ، فثار عبد الله يطلب انعرش ، وانضم إليه أهل « البيازين » ، وهو حى من أقدم أحياء « غرناطة » ، يتفشى الجهل بين سكانه ، وتبعهم بعض أهل « غرناطة » ، بدعوة أنهم يرجون الصلح مع المسيحيين على السلطان الأمير أبي عبد الله ، لما رأوا من عطف القشتاليين عليه ، فوقع الفتنة بين المسلمين .

ثم جاء السلطان أبو عبد الله إلى « لوثة » ، فظن أهلها أنه أتى لمصالحة عمه الزغل ، وإذا صاحب « قشتالة » يدهم « لوثة » بجيش كثيف فيحاصرها ، فخذ أهل « البيازين » إلى نصره السلطان أبي عبد الله ، ولكمهم

ما لبثوا أن تبين لهم أنه كان على اتفاق مع الملك الأسباني ففتحت «لوشة» أبوابها «لفرديناند» عام ٨٩١ هـ ، وهاجر أكثر أهلها الى غرناطة ، أما عبد الله ، فبقى مع الأسبانيين ، فصدقت شائعة تحالفه معهم .

استمر «فرديناند» في محاربة الزغل ، فأخذ منه حصونه وقلاع واحد بعد الأخرى ، وهو يظهر الصداقة الأبى عبد الله ، ويدعى مناصرته على عمه ومنافسه في الملك .

وكان غرضه انريسي عزل «غرناطة» عن جميع المدن والولايات الإسلامية فيسهل عليه امتلاكها اذا حاصرها ، ويحول دون وصول النجادات اليها ، ولا يخفى ما في هذه الخطة من دهاء وحسن تدبير .

وعندما سقطت أمام «فرديناند» جميع الحواجز التي كانت تعوق زحفه الى «غرناطة» كتب الى عبد الله يستنزله عنها ، واعداء اياه بأن يضعه تحت حمايته ، ويعطيه مالا جزيلا ، ولكنه لم ينتظر الجواب ، بل دلف اليه بجنوده لينجز الأمر سريعا .

جمع ابو عبد الله أعيان المدينة وقوادها ، وأطلعهم على كتاب «فرديناند» فأجمعوا رأيهم على الجهاد ، فأرسل عبد الله الى فرديناند يبلغه رفض طلبه واستعداده لقتاله .

نزلت قوات «فرديناند» أمام المدينة ، وضربت الحصار حولها ، وأمرت «ايزابيلا» زوجة «فرديناند» ببناء مدينة مقابلة لها ، لأنها رأت أن الحصار سيطول ، فنبتت المدينة ، وأطلق عليها «سنتفى» (Sante - Fe) أى الإيمان المقدس .

صبرت «غرناطة» على الحصار ، وقصف مدافع العدو ، ولكن المؤونة لم تكن تكفيها سوى مدة قصيرة ، وليس لها باب مفتوح الا من ناحية جبل «شليز» نأنيها منه المؤونة رشحا ، لوعورة المسالك ، فكان الضيق يدفع أهلها حيناً بعد آخر الى ترك الأسوار والحصون ، لئلا يفتقد معارك دامية ، يستبسلون فيها مقاتلين قتال الضواري ، فيسيل مرج «غرناطة» دما ، ويكتسى بالنجث والسهم . ولما اشتد الجوع على المسلمين ، دعا السلطان أبو عبد الله رجال الدولة وأهل المشورة يستطلع آراءهم فيما ينبغى عمله ، فاتفقوا على اسلام البلد حفاظا على النفوس أن تهلك حيث لا يجدى الهلاك ، فاختاروا وفدا من رؤساء الجند للمفاوضة ، فخرجوا الى معسكر الأسبانيين ، فاستقبلهم «فرديناند» و «ايزابيلا» بحفاوة ، فعرضوا عليهما اسلام العاصمة ، على شروط الأمان للمسلمين ، فقبل العاهلان دون تردد ، أن

تفتح المدينة أبوابها صلحا ، ووضعت معاهدة الاستسلام ، وهى تتضمن سبعة وستين شرط منها :

لا يجوز للجنود المسيحيين أن يدخلوا المساجد ، الا باذن من الفقهاء وتبقى المساجد والأوقاف كما كانت ، ولا يمنع مؤذن ، ولا مصل ، ولا صائم عن أموره الدينية ، وكل مسيحى يضحك منهم فى أثناء إقامة شعائهم يعاقب . لا يقسر من أسلم من النصارى على الرجوع الى دينة ، أما من تنصر من المسلمين ، فانه يوقف أياما ، حتى يظهر حالة ، ويحضر له حاكم من المسلمين وآخر من النصارى ، فان أبى الرجوع الى الاسلام يترك على ما أراد ... الخ ..

وقع « فرديناند » و « ايزابيلا » على هذه الشروط ، ثم وقع على التسليم أبو عبد الله فتوقفت الأعمال الحربية فى ديسمبر سنة ١٤٩١ م (صفر ٨٩٧ هـ) وفى ٢ يناير سنة ١٤٩٢ م (٢ ربيع الأول ٨٩٧ هـ) فتحت « غرناطة » أبوابها ، ودخلها الملك الكاثوليكيان فى موكب حافل ، فساروا الى الحمراء ، بعد أن غادر قلعتهما أبو عبد الله ، مجتازا ساحة الأسود ، كسيرا ، مختلعا الفؤاد ، يسير مطرقا الى منفاه وبجانبه أمه عائشة صامئة ، قاطبة ، والناس وقوف فى الشوارع والشرف ، يشيعونه بأنظارهم منقبضين ، ما بين راحم ، وناقم ، حتى اذا انعطف به الطريق ، وكادت الحمراء تتوارى عنه ، أرسل اليها النظرة الأخيرة ، وهطلت عيناه بالدموع ، فالتفت اليه أمه ، وقالت له بحرارة الشامت المثلّم :

ابك مثل النساء ملكا مضاعا لم تحافظ عليه مثل الرجال

وهكذا سقط آخر معقل من معازل الإسلام فى الأندلس ، وضاعت دولة المسلمين هناك الى الأبد ، ولم يبق الا تاريخها ، عبر لمن تدبر ، وتعلم ، وأنات الشعراء انذين رثوها ، تهيج مشاعر المسلمين ، وتذكرهم بما حدث لآخوانهم فى الأندلس ، فيأخذون حذرهم ، حتى لا يلقوا نفس المصير ، واليك أبيات من هذا الرثاء :

فواحسرتا كم من مساجد حولت	وكانت الى البيت الحرام شطورها
ووالأسفا كم من صوامع أوحشت	وقد كان معتاد الأذان يزورها
فمحرابها يشكو لمنبرها الجوى	وآياتها تشكو الفراق وسورها
وكم طفلة حسناء فيها مصونة	اذا أسفرت يسبى العقول سفورها
فأضحت بأيدي الكافرين رهينة	وقد هتكت بالرغم من ستورها

وكم فيهم من مهجة ذات ضجة تود لو انضمت عليها قبورها
لها روعة من وقعة البين دائم أساها وعين لا يكف هديرها
وكم من صغير في حجر امه فأكبادها حراء لفح هجيرها
وكم من صغير بدل الدهر دينه وهل يتبع الشيطان الا صغيرها

(٢.)

نشبت معارك كلامية — بجانب المعارك العسكرية — حول الاسلام والمسيحية وتعاليم كل من الدينين ، وكانت تشدد في المدن التي يسيطر عليها المسيحيون ، وفيها بعض المسلمين الذين اختاروا البقاء في الوطن الذي نشأوا فيه . فكانت ، هذه الطائفة هدفا لهجوم منظم من جانب رجال الدين المسيحي ، طبقا لخطة وضعت لتنصيرهم ، فكانت تعاليم الاسلام موضوع المحاورات ، والمناقشات التي تدور بين القسيس وبينهم .

ومن مظاهر ذلك النقاش الكتاب الذي نقدم له ، فقد اعتاد قسيس من الأسبان ، أن يلقى أسئلة على بعض المسلمين في مدينة « طليطلة » — بعد سقوطها في يد النصارى — كي يضعف من عقيدتهم ويخلخل ايمانهم ، ولم يكن هؤلاء المسلمون على قدر من الثقافة الدينية ، تمكنهم من الرد عليه ، ولكن غيرتهم على الدين دفعتهم الى البحث عن يستطيع مدهم باجابة ، تفحم هذا القسيس ، فوجدوا أبا عبيدة الخزرجي (١) . وكان شابا كثير الاطلاع ، فكان يمدهم بالاجابة التي يردون بها أسئلة القسيس .

(١) هو أبو جعفر أحمد بن عبد الصمد بن أبي عبيدة (بفتح العين المهلهة ، وكسر الباء الموحدة بعدها ياء مثناة) بن محمد بن أحمد بن عبد الرحمن ابن محمد بن عبد الحق الأنصارى الخزرجي الساعدي (نسبة الى سعد بن عبادة الصحابي) ، فقيه أندلسي .

ولد في قرطبة عام ٥١٩ هـ (١١٢٥ م) كان مشهورا في شبابه بالذكاء والنبيل ، حافظا للحديث ، ملما بالتواريخ والقصص متينا في الأدب .

تذكر المصادر أنه شارك بوجه ما في الفتن التي انتابت قرطبة في عامي ٥٤٠/٣٩ هـ (١١٤٦/٤٥ م) وأسر سنة ٥٤٠ هـ (١١٤٦ م) ،

=

وبقى أسيرا في طليطة الى سنة ٥٤٢ هـ (١١٤٧ م) . وفي هذه الفترة ألف هذا الكتاب ، وهو ابن اثنتين وعشرين أو ثلاث وعشرين سنة . ولا نعلم شيئا عنه بعد هذا التاريخ سوى أنه عاش حياة متقلبة ، فسكن غرناطة مدة ، وبجاية أخرى ، ثم استوطن مدينة فاس ، وأنه كف بصره في آخر عمره ، وتوفي بفاس عام ٥٨٢ هـ (١١٨٧ م) .

وله غير هذا الكتاب :

- « آفاق الشمس وأعلاق النفوس » .
- « أشراق الشمس » وهو مختصر لـ « آفاق الشمس » .
- « نفس الصباح » في غريب القرآن وناسخه ومنسوخه .
- « حسن المرتقى في بيان ما عليه المتفق فيما بين الفجر وقبل الشفق » .
- « قصد السبيل في معرفة آيات الرسول » .
- « مقام المدرك في افحام المشرک » .

لكن لم يصلنا منها سوى هذا الكتاب الذى نقدم له .

وينسب إليه البعض الى قرطبة ، مسقط رأسه ، فيقولون : القرطبي وقد ظهرت الطبعة الأولى من هذا الكتاب بهذا الاسم ، فظن الدارسون أنه القرطبي المفسر المتوفى (٦٧١ هـ — ١٢٧٣ م) ، ولم يعرفوا أن هناك أكثر من عالم ، اشتهر باسم القرطبي : منهم :

القرطبي : البيهقي ، المتوفى في عام ٢٧٦ هـ — ٨٩٠ م ، وهو من أعلام الفقهاء والمحدثين .

والقرطبي : محمد بن أحمد ، المتوفى عام ٣٨٠ هـ — ٩٩٠ م ، وهو قاض محدث .

والقرطبي : عبد الرحمن بن حسن ، المتوفى عام ٤٤٦ هـ — ١٠٥٤ م ، وكان عالما بالقراءات .

والقرطبي : عبد الوهاب بن محمد ، المتوفى عام ٤٦١ هـ — ١٠٦٩ م ، وكان عجباً في تهرير القراءات .

=

أدرك القسيس ذلك ، فكتب الى أبى عبيدة كتابا ، يدعو فيه الى اعتناق المسيحية ، مينا له — من وجهة نظره — فضائلها ، ومساوىء الاسلام — كما يدعى — فرد عليه أبو عبيدة بكتاب ، رد فيه على مزاعمه ، شارحا ما حرفوه من دين الله .

ومن الموضوعات التى دار حولها النقاش :

- التثليث عند النصارى .
- صلب المسيح .
- مشكلة الخطيئة الأولى .
- معجزات عيسى عليه السلام .
- معجزات الحواريين .
- طبيعة المسيح .
- خوارق العادات التى تظهر فى الكنائس .
- الشرائع فى التوراة والانجيل .
- الطلاق فى المسيحية .
- تعدد الزوجات فى اليهودية ، والمسيحية ، والاسلام .
- القتال فى الأدب الثلاثة .
- تحريف التوراة والانجيل .
- الجراء الأخرى فى الأديان الثلاثة .

=

والقرطبي : ابن عبد البر ، المتوفى عام ٤٦٣ هـ — ١٠٧١ م ، وكان من كبار حفاظ الحديث ، مؤرخا وأديبا ، وله مؤلفات كثيرة فى مختلف الفنون من تاريخ ، وفقه ، وحديث وغيرها .

والقرطبي : أحمد بن عمر ، المتوفى عام ٦٥٦ هـ — ١٢٥٨ م ، فقيه مالكي ، من رجال الحديث .

وغيرهم : ولذا حذفت النسب الى قرطبة من أبى عبيدة ، حتى لا يختلط الأمر على القارىء .

وأورد أبو عبيدة في رده على القسيس كثيراً من نصوص الكتاب المقدس الذى يقسمه المسيحيون الى قسمين :

قسم منها : يدعون أنه وصل اليهم بواسطة الانبياء الذين كانوا قبل عيسى عليه السلام ، والآخر يزعمون أنه كتب بالالهام بعد عيسى عليه السلام ، ومجموع الكتب من القسم الأول يطلقون عليها اسم : العهد القديم ، والقسم الثانى يسمونه : العهد الجديد ، ومجموع القسمين يطلقون عليه « ببيل » ، وهو لفظ يونانى بمعنى الكتاب ، وهو الاسم المعروف به الكتاب المقدس فى اللغات اللاتينية .

يضم العهد القديم تسعة وثلاثين كتابا :

- ١ — سفر التكوين ، ويسمى : سفر الخليقة أيضا .
- ٢ — سفر الخروج ٣ — سفر الأحبار ، ويسمى : سفر اللاويين أيضا .
- ٤ — سفر العدد ٥ — سفر التثنية ، ويسمى : سفر الاستثناء أيضا .
- ومجموع هذه الكتب الخمسة يسمى بالتوراة ، وهو لفظ عبرانى بمعنى التعليم والشريعة . وقد يطلق اسم التوراة على مجموع كتب العهد القديم كلها مجازا .
- ٦ — كتاب يشوع (يوشع) بن نون ٧ — كتاب القضاة .
- ٨ — كتاب راعوث . ٩ — سفر صموئيل الأول .
- ١٠ — سفر صموئيل الثانى . ١١ — سفر الملوك الأول .
- ١٢ — سفر الملوك الثانى . ١٣ — السفر الأول من أخبار الأيام .
- ١٤ — السفر الثانى من أخبار الأيام . ١٥ — سفر عزرا .
- ١٦ — سفر نحميا . ١٧ — كتاب أستير .
- ١٨ — كتاب أيوب . ١٩ — المزامير (الزبور) .
- ٢٠ — أمثال سليمان . ٢١ — كتاب الجامعة .
- ٢٢ — كتاب نشيد الانشاد . ٢٣ — كتاب أشعيا .
- ٢٤ — كتاب أرمياء . ٢٥ — مراثى أرمياء .
- ٢٦ — كتاب حزقيال . ٢٧ — كتاب دانيال .

- ٢٨ — كتاب هوشع .
 ٢٩ — كتاب يوثيل .
 ٣٠ — كتاب عاموس (أو عاموص) — كتاب عوبديا .
 ٣١ — كتاب ميخا .
 ٣٢ — كتاب يونا .
 ٣٣ — كتاب حبقوق .
 ٣٤ — كتاب ناحوم .
 ٣٥ — كتاب صفنيا .
 ٣٦ — كتاب زكريا .
 ٣٧ — كتاب ملاخي .

وكان ملاخي النبي ، قبل ميلاد المسيح بنحو أربعمئة وعشرين سنة .
 وهذه الكتب كانت مسلمة عند جمهور القدماء المسيحيين ما عدا كتاب
 استير ، والسامريون لا يسلمون منها إلا سبعة كتب :

الكتب الخمسة المنسوبة الى موسى عليه السلام ، وهى المعروفة باسم
 التوراة ، وكتاب يوشع بن نون ، وكتاب القضاة . وتخالف النسخة توراتهم
 نسخة توراة اليهود .

وهناك كتب أخرى لم يعترف بها ، واستبعدت من نسخة العهد
 القديم الموجودة بين أيدينا ، وهذه الكتب هى :

- ١ — كتاب باروخ ٢ — كتاب طوبيا ٣ — كتاب يهوديت
 ٤ — كتاب وزدم ٥ — كتاب ايكليزيا ستكيس ٦ — كتاب المقايين الاول
 ٧ — كتاب المقايين الثانى .

أما العهد الجديد ، فاعترفوا بكتبها :

- ١ — انجيل متى . ٢ — انجيل مرقس .
 ٣ — انجيل لوقا . ٤ — انجيل يوحنا .

ويقال لهذه الأربعة الانجيل . ولفظ الانجيل مختص بكتب هؤلاء
 الأربعة ، وقد يطلق مجازا على مجموع كتب العهد الجديد ، وهذا اللفظ
 معرب كان فى الأصل اليونانى (انكليون) بمعنى البشارة والتعليم (١) .

(١) وهذه هى الانجيل الأربعة التى اعترفت بها الكنيسة ، بعد ان
 اختارتها من عدد كبير من الانجيل ، وأصدرت قرارا بإعدام ما عداها واتخذت
 إجراءات صارمة فى تنفيذ هذا القرار ، حتى لم يبق منها سوى انجيل برنابا .

- ٥ — كتاب أعمال الرسل (الحواريون) ٦ — رسالة بولس الى اهل رومية .
- ٧ — رسالته الاولى الى اهل كورنثوس ٨ — رسالته الثانية اليهم .
- ٩ — رسالته الى اهل غلاطية . ١٠ — رسالته الى اهل افسس .
- ١١ — رسالته الى اهل فليبي . ١٢ — رسالته الى اهل كولوسي .
- ١٣ — رسالته الاولى الى اهل تسالونيكي ١٤ — رسالته الثانية اليهم .
- ١٥ — رسالته الاولى الى تيموثاوس ١٦ — رسالته الثانية اليه .
- ١٧ — رسالته الى تيطس . ١٨ — رسالته الى فليمون .
- ١٩ — رسالته الى العبرانيين . ٢٠ — رسالة يعقوب .
- ٢١ — رسالة بطرس الاولى . ٢٢ — رسالة بطرس الثانية .
- ٢٣ — رسالة يوحنا الاولى . ٢٤ — رسالته الثانية .
- ٢٥ — رسالته الثالثة . ٢٦ — رسالة يهوذا .
- ٢٧ — رؤيا يوحنا (١) ١٠:

(١) شك المسيحيون في صحة بعض كتب العهدين ، ثم اعترفت مجالسهم بها ، ثم عادت بعض الفرق ونقضت هذا الاعتراف ، فقد انعقد مجلس علماء المسيحية في عهد « قسطنطين » في بلدة « نائس » عام ٣٢٥ م لبحث مسألة الكتب المشكوك فيها فقرروا بعد المشاورة : أن كتاب « يهوديت » واجب التسليم ، وأبقوا سائر الكتب المختلفة مشكوكا فيها كما كانت . ثم بعد ذلك انعقد مجلس آخر يسمى مجلس « لوديسيا » في عام ٣٦٤ م ، فأبقى حكم المجلس الاولى في كتاب « يهوديت » على حاله ، وزاد عليه سبعة كتب أخرى ، وجعلها واجبة ، وهي هذه :

- ١ — كتاب الأسستير .
- ٢ — رسالة يعقوب .
- ٣ — الرسالة الثانية لبطرس .
- ٤ — الرسالة الثانية ليوحنا .
- ٥ — الرسالة الثالثة ليوحنا .
- ٦ — رسالة يهوذا .

=

اعتمدنا في التحقيق على ثلاث نسخ :

الأولى : مخطوطة مكتبة أحمد الثالث ، باستانبول تحت رقم ١٨٦٣ ، وعدد أوراقها ٩٢ ، بكل ورقة صفحتان وعدد سطور الصفحة ١٥ ، ومتوسط

=

٧ - رسالة بولس الى العبرانيين .

بقى كتاب مشاهدات « يوحنا » في هذين المجلسين خارجا مشكوكا فيه كما كان . ثم انعقد بعد ذلك مجلس آخر في عام ٣٩٧ م وكان عدد المجتبعين ١٢٧ من العلماء المشهورين فأبقوا حكم المجلسين الأولين بحاله ، وزادوا على حكمهما هذه الكتب :

١ - كتاب وزدم .

٢ - كتاب طوبيا .

٣ - كتاب باروخ .

٤ - كتاب ايكليزيا ستيكس .

٥ ، ٦ - كتابا المقايين .

٧ - رؤيا يوحنا .

لكن أهل هذا المجلس جعلوا كتاب « باروخ » بمنزلة جزء من كتاب « أرميا » لأن « باروخ » كان بمنزلة النائب والخليفة « الأرميا » ، ثم انعقدت بعد ذلك ثلاثة مجالس : مجلس « ترلو » ، ومجلس « فلورنس » ، ومجلس « ترنت » وعلماء هذا المجلس الأول أبقوا حكم المجلس المنعقد في عام ٣٩٧ م ، على حاله ، لكن أهل المجلسين الآخرين كتبوا اسم كتاب « باروخ » في فهرست أسماء الكتب على حدة . فبعد انعقاد هذه المجالس ، صارت هذه الكتب المشكوك فيها ، مسلمة بين جمهور المسيحيين ، وبقيت هكذا حتى ظهرت فرقة (البروتستانت) في القرن السادس عشر الميلادي ، فرد علمهاؤها حكم هؤلاء الأسلاف في :

كتاب « باروخ » ، وكتاب « طوبيا » ، وكتاب « يهوديت » ، وكتاب « وزدم » ، وكتاب « ايكليزيا ستيكس » ، وكتابي المقايين ، وقالوا : ان هذه الكتب واجبة الرد وغير مسلمة .

(راجع : رحمة الله الهندي ج ١ ص ٥١ - ٥٥) .

عدد كلمات السطر سبع وهى بخط جيد ، إلا أن بعض كلماتها غير واضحة ، عجزت عن قراءتها ، ولم يسعنى الاهتداء اليها إلا النسختين الأخيرين . وقد حصلنا على نسخة مصورة لها ، من معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية بالقاهرة . وعنوان الكتاب فى هذه المخطوطة : « مقامع هامات الصليبان ، ومراتع روضات الايمان » .

وتاريخ نسخها القرن التاسع الهجرى ، ولم يذكر ناسخها شيئا عن نفسه ، ولا عن النسخة التى نقل عنها ، بل أضاف تذييلا بدأه بقوله : قال المراجع : ليعلم كل بصيرة . . . الخ . وقد رمزنا لها بالحرف « ج » .

الثانية : المخطوطة الموجودة فى المكتبة الأحمدية بتونس تحت رقم ٢٠٦٣ وهى بخط مغربى ، صعب القراءة ، وتقع فى ٦٦ ورقة تضم الورقة صفحتان ، وعدد سطور الصفحة ٢٣ سطرا متوسط عدد كلماته تسع كلمات وعنوان الكتاب فى هذه المخطوطة :

« كتاب مقامع الصليبان فى الرد على عبدة الاوثان » .

غير أنه ذكر فى هامشها أنه سعى أيضا بروضات الايمان ، وبهذا يتفق مع نسخة « ج » وقد ذكر ناسخها اسمه ، وتاريخ النسخ قال :

« انتهت الرسالة المباركة بحمد الله ، وحسن عونه ، وتوفيقه ، وتأييده يوم الأربعاء للسابع والعشرين خلون من ذى الحجة الحرام ، متمم شهور سنة ١٢٨٠ ، ثمانين ومائتين وألف . على يد العبد الفقير ، المقر بالمعجز والنقص ، الراجى من مولاه الحليم الستار ، تخفيف الذنوب ، والأوزار ، عبده وأقل عبده ، محمد بن على عمار (١) التونسى الدار ، التميمى ، غفر الله له ولوالديه ، ولمشايعه ، ولجميع المسلمين والمسلمات ، الأحياء منهم والأموات ، بجاه صاحب المعجزات ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأزواجه وسلم تسليما » .

(١) هو عالم من أهل تونس ، قدم الى مصر ، وجعل ناظرا لمسجد أبى الذهب ، وأوقفه ، واتصل بابراهيم باشا ، فكان يعلم أولاده العربية ، وكان عالما ذكيا درس فى الأزهر ، وحسنت حاله ، ولما مات ابراهيم باشا نفاه الخديوى عباس ، فذهب الى الحجاز ، ثم رحل الى القسطنطينية ، فمات فيها عام ١٢٨٦ هـ (١٨٦٩ م) .

من كتبه : « تعديل المرقاة وجلاء المرأة - خ » ، « وحاشية على مرآة الأصول لملا خسرو » . (الزركلى - الاعلام) .

وقد رمزنا لها بالحرف « ت » ،
الثالثة : نسخة طبعت بمصر عام ١٣١٦ هـ بدون تعليقات ، وهى
بعنوان :

« الفاصل بين الحق والباطل » .
ولم تنسب الى أبى عبيدة ، بل ذكر ناشرها تحت العنوان :

يتضمن

« حجة عز الدين المهدى على حنا مقار العيسوك » .
ونصه هو نص النسختين السابقتين ، غير أنه يختلف عنهما فى بعض
الأشياء .

أولاً : اختلفت مقدمته عن مقدمتها اذ جاء فيها :
« اننى فى سنة الف وثلثمائة من الهجرة ، كنت رأيت كتاباً عربياً طبع
ببلاد أوروبا اسمه « رسائل الكندى » يقول طابعه أنه وجد فى أحد المساجد
القديمة (١) . وهذا الكتاب يشتمل على رسالتين :

(١) ليس من المحتمل أن يكون قصده « رسائل الكندى الفلسفية » التى
احتوت على :

- رسالة فى أنه لا تنال الفلسفة الا بعلم الرياضيات .
- رسالة فى مدخل المنطق .
- رسالة فى المقولات العشر .
- رسالة فى المناظر الفلكية .
- رسالة فى الغذاء والدواء المهلك .
- رسالة فى أن النفس جوهر بسيط .
- رسالة فى ما للنفس ذكره ، وهى فى عالم العقل قبل كونها فى
عالم الحس .
- رسالة فى الأخلاق .

لأنه لا يوجد بينها ما أشار اليه ناشر كتاب « الفاصل بين الحق والباطل »
من تبادل رسالتين بين مسيحي ومسلم .

=

الأولى من مسلم يدعو صاحبه المسيحي إلى دين الاسلام..

والثانية رسالة من المسيحي يرد فيها على رسالة المسلم ردا مطولا . وبعد اطلاعى على ذلك الكتاب ، وفهم مبادئه وغاياته ، كنت عزمت على أن ارد عليه ، وان كنت لست من رجال هذا الميدان ، ولكن الصدفة أحيانا تفعل ما لا يفعله القاصد ، فأتى عثرت على كتاب قديم في أحد المعابد القديمة اسمه « الفاصل بين الحق والباطل » فأخذته ، وبعد اطلاعى عليه مع التأمل ، أعجبني ، واكتفيت به عما كنت عزمت عليه ، لأننى وجدتة عكس رسائل الكندى . أعنى يحتوى على رسالتين :

الأولى : من مسيحي اسمه « حنا مقار » يدعو صاحبه المحمدى واسمه : « عز الدين » الى النصرانية .

والثانية : من المحمدى يرد فيها على المسيحي ردا شافيا . وذلك قد صرفت فراغى في اصلاح ما أفسده الزمان من ذلك الكتاب ، وتصحيح ما فعله تقادم العهد عليه . وما أنذا الآن أنشره لآخوانى ذوى العقول من نوع الانسان على العموم ، ليس في ذلك غاية ، سوى ما في الزوايا من الخبايا ، ولكل مقام مقال .

قال عز الدين المحمدى :

« دخلت مصر في أمر عرض على ، فاتفق اجتماعى « بحنا مقار » وهو أحد مشاهير النصارى ، وأوائل أفاضلها ، فتحدثت معه ، واستحسن حديثى . فتصاحب معى ، وتردد الى ، وقصد ترغيبى في دينه ، فتباحث معى يوما في أمر دين النصرانية ، فقلت له بحضرة جماعة من العدول : أنا لا اكف النصارى اقامة دليل على صحة دينهم ، بل أطالبهم كلهم أن يصوروا دينهم تصويرا يقبله العقل فاذا صوروه ، اكتفيت بذلك من غير مطالبتهم بدليل على صحته . فحاول هو في نفسه تصوير دينهم ، فعجز عنه . فلما عجز ،

أما ما عرف باسم : « رسالة الهاشمى ورد الكندى عليها » وهى رسالة عبد الله اسماعيل الهاشمى الى عبد المسيح بن اسحق الكندى ، يدعو فيها الى الاسلام ، ورسالة عبد المسيح الى الهاشمى يرد بها عليه ويدعوه الى النصرانية ، فقد أثبت البكرى — في مقال نشر في العدد الأول من مجلة كنية الآداب سنة ١٩٤٧ م — أنهما رسالتان موضوعتان ، وضعهما السريان في عصر متأخر ، وزعموا وقوع هذه المساجلة في عصر المأمون . (الرد الجبيل ص ٦٤) .

قال : ما كلفنا بالتصوير ، بل كلفنا السيد المسيح بالاعتقاد ، فلا نلتزم ما لا يلزمنا ، وما نيس من ديننا ، وجنح الى القول بالتقليد ، وعدم النظر فيما يصح ويفسد .

« فقلت له : الاعتقاد لا بد فيه من أن نثبت شيئاً لشيء ، أو تنفيه ، فهو مركب من تصورين : تصور المحكوم عليه ، وتصور المحكوم به ، وأنتم على ما تلتزم مكلفون بالاعتقاد . ومن كلف بمركب كلف بمفرداته ، فمن كلف بالاعتقاد كلف بالتصور . فأنتم حينئذ مكلفون بالتصور ، فصور لى دينك .

« فانقطع عن الكلام ، ورأى أنه قد أصيب من مأمنه ، ولزمه السؤال من قوله . فقال : أمهلنى ثلاثة أيام ، حتى أجتمع على « ابن العسال » وهو أحد أئمة اللاهوت — فأستحضر ما يلزم من البراهين القاطعة .

« فذهب ، ولم أره ، ولم يرجع ، ثم بعد ما مضى أكثر من شهر ، أرسل الى كتابا مطولا يدعونى فيه الى النصرانية ، التى عجز عن تصويرها فضلا عن اقامة الدليل عليها ، فقرأته وتأملتة ، فوجدت أن القوم ليس لهم حظ من انظر القديم ولا العقل المستقيم ، بل وجدوا آباءهم على الضلال عاكفين ، فهم على آثارهم يهرعون ، قد غرهم الجهل ، وغمهم العماء . فلذلك نويت عدم مخاطبة هؤلاء ومراجعتهم فى الخرافات ، ولكن قد ألح على بعض الاخوان على مراجعته والرد عليه ، فامتثلت لأمرهم وكتبت هذا الجواب ردا على تلك الرسالة من نصوص كتبهم وسميته :

« الفاصل بين الحق والباطل » .

ولما حان وقت سفرى أتممته وأرسلته الى « حنا مثار » ومضيت الى حيث أتيت طالبا من الله أن يجعل هذا الكتاب تنبيها للغافلين ، ودليلا للحائرين ، فيستيقظوا من غفلتهم ، وينظروا الى هذه المساوىء القبيحة ، والفضائح الفظيعة » .

ثم يسير النص مع المخطوطتين السابقتين ،

ثانيا : زاد فى كتاب المسيحى ، بعد بيان كيفية الصلاة عند المسيحيين ، أركان الدين المسيحى الخمسة ، وهى : التغطيس ، والإيمان بالتثليث ، والاعتقاد بالالتحام بين أقنوم الابن وعيسى فى بطن مريم ، والإيمان بالقربان . ثم الاعتراف بالذنوب أمام القسيس . وهى أمور لم تذكر فى المخطوطتين . ولذا لم نوردتها فى النص . بل أشرنا الى مضمونها فى الهامش .

ثالثا : أضاف زيادات طفيفة فى رسالة أبى عبيدة وحذف منها بعض الفقرات وقد أشرنا الى كل ذلك فى مواضعها .

ولم يذكر الناشر عن نفسه شيئاً ، سوى أنه ليس من أهل هذا الفن ، ولهذا نرى أن من المحتمل أنه عثر على مخطوطة للرسالتين فقط (١) ، ونيس عليهما ما يدل على كاتبيهما ، فزاد عليهما شيئاً من عنده ، ووضع لكل منهما اسماً يناسبه وقدم لهما وقد استنتجنا هذا الرأي مما يلي :

١ - مقدمة المخطوطتين أقرب الى القبول منطقياً وعقلياً من المقدمة التى وضعها ، فالقسيس فى « طليطلة » ينال من الدين الاسلامى ، وهو دين اقلية ، ليس فى يدها سلطة ، فيهرع المسلمون الى أبى عبيدة للرد على هذا الهجوم ، فيمددهم بما يفهم القسيس ثم يعلم القسيس ذلك فيكتب اليه خطاباً يعرض عليه فيه الدخول فى المسيحية ، وذلك هو هدف المسيحيين فى « طليطلة » ، بعد أن سقطت فى يد المسيحيين . ثم يكتب أبو عبيدة رداً عليه ويخشى أن يرسله اليه خوفاً على نفسه من أن يبطش به المسيحيون والسلطة فى أيديهم . فينظر حتى يحين موعد رحيله ، فيعطيه لمن أوصله الى القسيس .

تسلسل منطقى ، وعقلى لا غبار عليه ، أما مقدمة ناشر « الفاصل بين الحق والباطل » فإرد عليها اعتراضات :

(١) يبدو الانتحال على الاسمين اللذين زعم أنهما كتبا الرسالتين : « حنا مثار » و « عز الدين الحمدي » إذ أن كلمة « الحمدي » يطلقها الأوروبيون على المسلم ، نسبة الى محمد فى مقابل نسبة المسيح الى المسيح ، والمسلمون يرفضون هذه النسبة . كذلك لم أجد أثراً لهذا الاسم بين علماء الاسلام . أضف الى ذلك أن العلماء والمؤلفين فى تلك العصور ، اعتادوا أن يكتبوا أسماءهم مطولة على مؤلفاتهم ، تصل أحياناً الى الجد السادس .

(ب) ذكر فى مقدمته أن عز الدين أفحم « حنا » فى مناظرة عامة ، ثم بعد مدة أرسل حنا اليه يدعوه الى اعتناق المسيحية ، ولا يعقل أن يصدر هذا من « حنا » لأنه هزم أمامه ، وإنما المعقول ، أن يتواري عقه ، ولا يفتاحه فى مسائل العقيدة أطلاقاً .

كيف يطلب المهزوم من المنتصر أن يعتنق المبادئ التى لم يستطع إقامة الدليل على صحتها ؟ لو انتصر « حنا » فى مناظرته ، لقبّلت هذه الرواية !! .

(١) يحتمل أن يكون من النسخة التى نسخها التميمي ، ويقوى هذا الاحتمال أن التميمي كان بمصر فى عهد محمد على ، وكان يدرس فى الأزهر ، فلعل طالباً من طلابه نسخ الرسالتين فقط ، ثم وقعت النسخة فى يد ناشر « الفاصل بين الحق والباطل » الذى حضر الى مصر بعد موت التميمي بأربعة عشر عاماً فقط .

(ج) لماذا انتظر عز الدين — على فرض صحة هذه الرواية — حتى يحين موعد سفره ، ثم أرسل رسالته الى « حنا » ؟

أكان يخشى على نفسه من المسيحيين ؟

هذا غير صحيح ، لأن السلطة في مصر ، في يد المسلمين منذ أن غتحتها عمرو بن العاص حتى الآن ، ولم يخش العلماء في أى عصر انجر بأرائهم الدينية ، مادامت لا تناهض السلطة الحاكمة ، والرد على المسيحي في هذا الكتاب ديني بحت ، لا يهاجم السلطة المدنية ، ولا يتعرض لها بنقد اطلاقا .

ولهذا اعتمدنا — أساسا — على المخطوطتين ، وما زاد عنهما في نسخة عز الدين ، وضعنا له قوسين معقوفين بينهما نقط ، هكذا [.] ، ثم ذكرنا الزيادة في الهامش ، إما نصا أو تلخيصا ان كان النص طويلا . ولا فائدة من ذكره كله .

والنسخ الثلاث خالية من التبويب ، ومن هنا وضعنا لكل مسألة عنوانا بين قوسين معقوفين [] ، كذلك كل كلمة من عندنا اقتضاها النص .

اعترض القسيس على تعاليم الاسلام في تسع مسائل ، ذكرناها تحت عنوان الشبه ، فقلنا : الشبهة الاولى ، الشبهة الثانية . . الخ ، وذكرنا رد أبى عبيدة ، عليها تحت عنوان : الرد على الشبهة الاولى ، والرد على الشبهة الثانية . . الخ ، وتناولنا في تعليقنا عليها الجوانب التى لم ترد في رد أبى عبيدة ولهذا ينبغي على القارئ أن يقرأ الشبهة ، والتعليق ، ورد أبى عبيدة معا — ويفعل ذلك أيضا في المسائل التى تناولت عقيدة المسيحيين من تثليث ، وصلب . . الخ . لأن المحافظة على ترتيب النص ، كما هو ، حالت دون جمع رد أبى عبيدة عقب كل شبهة .

وقد رد أبو عبيدة على جميع ما أورده القسيس من شبهات كل على حدة ، الا الشبهتين الثالثة ، والسادسة : اختلاف حكم رد المطلقة الى زوجها ، في التوراة عنها في القرآن ، ومسألة طرد ابليس من الجنة التى وردت في رؤيا « يوحنا » ، فقد جاء الرد عليهما ضمنا في بيان ما في التوراة والانجيل من تحريف وقد بينا المنبع الذى استقى منه « يوحنا » ، ما نسخه من خيال حول مسألة طرد ابليس من الجنة .



(٣)

تنتشر اليوم في المجتمعات الإسلامية نفمة تدعو الى عدم التعصب ضد اتباع الاديان الأخرى ، مع أن المسلمين لم يكونوا في يوم من الأيام ، متعصبين بالمعنى المفهوم من هذه الكلمة لدى أصحاب هذه الدعوة . ولا يقصد من هذا سوى توهين العلاقة بين المسلمين ودينهم ، وفصل المسلم عن عاداته ، وتقاليده الدينية ، تحت ستار مسامرة العصر ، والا كان رجعيا ومتخلفا ، ويعيش بعقلية القرون الوسطى . وقد انزلق كثير من أرباب الفكر في العالم الإسلامي في هذا المجال ، فطفقوا يدعون الى التنازل عن الأفكار الدينية في الحياة الاجتماعية والسياسية ، ويستند المعتدلون منهم الى أن الظروف الدولية تستدعي منا أن ننهج هذا السبيل ، والا كنا شواذ في المجتمع الدولي ، لا نستطيع أن نتحرك بحرية ، فنفسل ، وتضيع حقوقنا بين انتيارات السياسية المعاصرة ، ويدللون على ذلك بأن الساسة الغربيين — وهم مسيحيون — طرحوا مسألة الدين جانبا ، وتصرفوا — ولا زالوا — على أساس علماني بحت .

ونسى هؤلاء أن تصريحات السياسيين العلنية في تلك البلاد ، تختلف الى حد ما عما يرسمونه من خطط تهدف الى السيطرة — بل القضاء — على العقائد والمذاهب التي تقف عقبة في سبيل ما يتخذونه عقيدة ومذهبا ، والا فهل يستطيع هؤلاء أن يفسروا لنا مغزى زيارة رؤساء الدول الكبرى للبابا ، ويبيّنون لنا مضمون الأحاديث التي تدور بينة وبينهم في الاجتماعات التي تستمر أحيانا وقتا طويلا ؟ !

وما هو السبب في أن الأحزاب المسيحية ، لازال لها السيطرة في معظم بلاد الغرب ولم تستطع الأحزاب الليبرالية أن تحرز نصرا في مواجهتها ، الا بعد أن أظهرت عطفها على الكنيسة ، وتأييدها لها ؟ ؟ !

ومن الافتراء على الحقائق ، ما تردده الصحافة في الدول الإسلامية ، من أن قيام دولة في هذا العصر على أساس ديني ، كما هو الحال في دولة اسرائيل — وكذلك الصراع الديني بين الكاثوليك والبروتستانت في ايرلندا — من الأمور الاستثنائية ، لأن الصراع في كثير من بقاع العالم يحمل — في صور متعددة ، وأشكال مختلفة — طابعا أيديولوجيا — دينيا أو مذهبيا — ويظهر ذلك واضحا في الأمثلة الآتية :

— اتفاق روسيا مع الهند على ضرب الجيش الباكستاني ، للقضاء على واحدة من أكبر الدول الإسلامية في آسيا .

— تجرى دماء المسلمين في الفلبين على يد المسيحيين ، دون أن تغطي وسائل الاعلام العالمية هذه الأحداث ، ولو كان الأمر بالعكس ، لملئت الدنيا صياحا وعويلا .

— محت روسيا معالم الاسلام من المناطق التي احتلتها ، مثل طشقند وبخارى ، والقرم ، وغيرها ، فقد حولت مساجدها الى مسارح ، ويجرى الآن — بطريقة منظمة وشاملة — استئصال العقيدة من الأجيال الناشئة ، وسوف ينترض ما تبقى من الاسلام في هذه المناطق بانتقراض الجيل القديم . ونفس الأسلوب يجرى في البانيا — ومعظم سكانها مسلمون — ومع جميع الطوائف الاسلامية في البلاد الشيوعية .

— قضت العلمانية على الطابع الاسلامي في تركيا التي كانت مركزا للخلافة الاسلامية في القرون الماضية ، وصار الطابع الديني في البلاد التي نشأت فيها العلمانية أكثر ظهورا منه في تركيا . ولا يوجد تفسير لهذه الظاهرة ، سوى تصميم المعسكر الغربي على محو المظاهر الاسلامية في تركيا .

— تتسم الحرب الدائرة بين « ارتيريا » والسلطات الاثيوبية بطابع ديني .

— ذبح كثير من المسلمين في احدى دول شرق افريقيا في ستينات هذا القرن ، وكان الدافع الرئيسى لهذه المذابح نزعة عنصرية دينية .

— عندما قامت حركة انفصالية في احدى دول غرب افريقيا ، تلقت مساعدات من « الفاتيكان » ، ومن معظم الدول الأوروبية المسيحية ، لأن معظم سكان المنطقة التي أعلنت الانفصال مسيحيون ، ولم تخف وسائل الاعلام الغربية وجهها ، عندما كانت تدعو مواطنيها الى التبرع « للدولة المسيحية » الناشئة ، رغم أنها لم تكن سوى مجموعة تمردت على السلطة الشرعية ، كذلك اعترفت بعض الدول المسيحية في افريقيا بدولة الانفصاليين .

وهناك الكثير من الأحداث العالمية التي تأخذ الطابع الديني ، وتحركها وتوجهها عواطف العقيدة — دينا أو مذهبا — وتلقى التأييد من سياسة الدول الأخرى على أساس علماني بحت . ولو رمت حصر ما يقع منها في العالم . لطالت هذه المقدمة عن المؤلف .

وينبغي ألا يفهم من هذا ، أن على زعماء الدول الاسلامية أن يكونوا جامدين في تحركاتهم السياسية . ويقطعوا كل صلة بتلك الأمم التي تنهج هذا السبيل . بل عليهم — طبقا لما نفهمه من روح التشريع الاسلامي — أن يسايروا العصر في مجال السياسة . ولا يالوا جهدا في بناء دولهم على أسس حديثة

عصرية لتتقدم عليها ، وفنيا وعسكريا ، وفي الوقت نفسه لا يكونوا سذجاً ،
يُتبرأون من الدين ويتنكرون لمن ينادى بالنمسك به ، بحجة أنهم يتقدميون ، والا
دارت عليهم الدائرة ، كما حدثت للأمراء المسلمين في الأندلس ، ولن يشفع لهم
يومئذ كفرهم بكل ما يمت الى الاسلام بصلة .



يواجه المسلمون المعركة في مجالين : سياسى ، وفكرى . وقد خسروا
جولات في كليهما . ففي المجال السياسى ضاعت الأندلس . ودول البلقان
والقرم . وبخارى وطشقند وغيرها .

وفي المجال الفكرى ، سيطر الفكر العلمانى على القادة ، فتنكر بعضهم
للالسلام وتجاهله آخرون . وتعرض كثير من الشباب — وخاصة بعض الذين
درسوا في الخارج — لحملة التشكيك في صلاحية الاسلام للمجتمع المعاصر .
اذ يحاول المبشرون — ومن يسلكون دروبهم — تشويه المبادئ الاسلامية لهم ،
زاعمين تارة أنها متخلفة عن العصر ، وبالتالي كانت سببا في تخلف الشعوب
الاسلامية ، وأخرى بالهجوم مباشرة على عقائد الاسلام وتعاليمه ، فاهتزت
عقيدة الشباب نتيجة لهذه الحملات ، وضعفت العلاقة بينهم وبين الاسلام ،
فصاروا لقمة سائغة للتيارات الالحادية والموجات الصليبية .

كان هذا هو الدافع الرئيسى الآن أقدم هذا الكتاب للقارىء — عارضا
في مقدمته جزءا من تاريخ الصراع بين المسلمين والنصارى في الأندلس ،
ليكون سهما في ميدان الدفاع عن الاسلام فكريا ، وصونا يذكر المسلمين
— حكاما ومحكومين — بما أصاب اخوانهم بالأمس البعيد في الأندلس ،
ليأخذوا حذرهم ، ويعتصموا بحبل الله ، اخوانا متحابين ، غير متحاربين .
يساعد بعضهم بعضا على النهوض بمجتمعاتهم في النواحي الثقافية ، والفنية .
والعسكرية . ويهدوا يد العون لمن يتعرض منهم للخطر ، حتى لا يؤكلوا كما
اكل المسلمون في الأندلس ، ولن يقيهم من عدوهم ساعتئذ ، ادراكهم لخطئهم
وندمهم على ما فاتهم ولن يملكوا الا أن يرددوا المثل القائل :
« أكلت يوم أن أكل الثور الأبيض »

الا هل بلغت ، اللهم فاشهد .

كانو — نيجيريا في ٢٧ رمضان ١٣٩٥ هـ
٢ أكتوبر ١٩٧٥ م

محمد عبد الفنى شامة



بَيِّنَاتُ الْإِسْلَامِ وَالْمَسِيحِيَّةِ
كتاب أبي عبيدة الخزرجي
المتوفى ٥٨٢ هـ بمصر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[مقدمة الكتاب]

وبه ثققتي ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله ، وسلم تسليما
لما نفذ القضاء من الله تعالى على قرطبة^(١) ، باندثار ملكها ،
وتفرق أهلها عنها ، لتتابع ضنكها ، ألحق منهم « بطليلة » ،
صبيا من آل عبد الحق الخزرجي ، يوصف بالذكاء^(٢) ، وكان بها قسيس
من القوط^(٣) يكثر الاعتراض في الدين على نفر كانوا تابعين له^(٤) من
المسلمين ، فجعلوا يرفعون أسئلتهم^(٥) الى الصبي فيجيبهم^(٦) الصبي
عليها ، فيرجعون بذلك الى القسيس ، فأنكر اجابتهم^(٧) لعلمه أنهم
ليسوا من أهل الذكاء ، فاستفهمهم ، فأعلموه بذلك ، فكتب القوطي^(٨)
اليه كتابا ، وسألهم أن يوصلوه اليه ، ويأتوا منه بجواب .

(١) هي مدينة في أسبانيا ، أسسها الفينيقيون ، واسنعمرها الرومان ،
ثم صارت عاصمة الخلفاء الأمويين في الأندلس ، فازدهرت على أيامهم ،
اذ شيدوا فيها المباني الفخمة ، منها قصر الزهراء ، وهي مسقط رأس
ابن رشد .

(٢) في ج : « بذكر » .

(٣) في ج : « القرط » وهو خطأ ، اذ أن القرط بطون من بنى كلاب
يقال لهم القروط وقد أطلق لفظ قرط على رجل من سننيس كما أطلق على قبيلة
من مهرة بن حيدان ، وهذا كله بعيد الصلة عن المقصود في النص ، خاصة اذا
عرفنا أن القوط (بالوالو) قبائل أوروبية كما سبق الكلام عنها .

(٤) في ج : « يألونه » . (٥) في ج : « سولاتهم » ،

(٦) في ج ، ت : « فيجاوبهم » .

(٧) في ج ، ت : « جوابهم » .

(٨) في ج : « القرطبي » وهو واضح التحريف .

[رسالة القسيس الى أبى عبيدة]

— هذا كتابه :

[قصة التثليث]

من فلان الى فلان^(١) باسم الأب ، والابن ، والروح القدس ، الله واحد^(٢) سلام عليك أيها الفتى ، الاسماعيلى ، المحمدى ، ورحمة الله وبركاته .

(١) من ت وفي ع : « من حنا مقل العيسوى انى عز الدين المحمدى » ، ولم تذكر فى ج .

(٢) قضية نسبة البنوة الى الله عز وجل ، ليست غريبة على العقل البشرى ، ولا هى بالمستحدثة فى تفكيره ، فقد كان فراعنة مصر يعتقدون أنهم آلهة وأبناء آلهة ، وكذلك كان الشأن عند قياصرة الرومان ، وأكاسرة الفرس ، وغيرهم من أصحاب الملك والسلطان . انهم كانوا ينظرون الى الناس من سموات عالية ، كما كان ينظر اليهم الناس من هذه الأرض على أنهم آلهة ، نزلوا من السماء ، فقدسوهم وعبدوهم .

وكان أتباع الفيلسوف اليونانى « فيثاغورس » يعتقدون انه الاله « أبولون » ، وأنه لم يمت ، وسيبعث بعد حين ، ويؤمن أتباعه بعد موته بأنه يلهمهم الكشوف العلمية ، ويلقنهم عظات الحكم ، والأخلاق الحسنة .

وعلى هذا فاذا قال دعاة المسيحية ، بأن المسيح ابن الله ، فانهم لم يقولوا بدعا من القول ، لم يعرفه العقل البشرى ، وان كان بدعا وتحريفا فى الشرائع السماوية كلها .

فاذا كانت نسبة البنوة الى الله ، لها سابقة فى الفكر الانسانى ، فمن أين استقى المسيحيون عقيدة التثليث ؟

لم ترد كلمات :

الأب ، الابن ، الروح القدس فى الانجيل ، الا فى عبارات ، وتراكيب مختلفة ولا نجد عبارة واحدة تجمع بينها فى سياق واحد ، وذلك باستثناء ما نسب الى المسيح فى انجيل منى حيث قال لتلاميذه :

=

« فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس »^{١٠} (متى ٢٨ : ١٩)

ولو استعرضنا جميع أعمال الرسل ، ورسائلهم التي ألحقت بالإنجيل ، وصارت جزءاً متماهاً لها ، لوجدنا أنها لم تحدث عن شيء مما أصبح عقيدة مقررة عند المسيحيين ، بعد مؤتمر « نيقية » الذي قرر أن المسيح هو أبنى الابن في الله ذي الثلاثة أقانيم .

غير أننا رأينا أن رسائل « بولس » الرسول ، تحتوي على عبارات لاهوتية غامضة يمكن أن تحمل على محاميل شتى ، من بينها أن يكون المسيح ابن الله ، بمعنى لاهوتي : هو الولادة العقلية !!

يقول « ول ديورانت » في موسوعته قصة الحضارة :

وأضاف « بولس » إلى اللاهوت الشعبي لموسى ، بعض آراء صوفية غامضة ، كانت قد ذاعت بين الناس ، بعد انتشار « سفر الحكمة » ، و « فلسفة فيلمون » .. من ذلك قول « بولس » : أن المسيح هو حكمة الله وابن الله الأول .. ويكر كل خليفة .. فان فيه الكل .. الكل به ، وله قد خلق .. الذي هو قبل كل شيء ، وفيه يقول الكل .. وليس هو المسيح المنتظر ، « المسيا » اليهودي الذي سينجي إسرائيل من الأسر .. بل هو الكلمة ، التي ستنجي الناس كلهم بموته (قصة الحضارة ج ١١ ص ٢٦٦) .

لقد عزل « بولس » المسيح من اليهود ، وجعله مسيحاً ، غير « المسيا » الذي ينتظرونه لخلاصهم ! وذلك ليستطيع أن يجعل منه إله ، الذي تجسد ، ثم صلب من أجل خلاص العالم ، لا من أجل خلاص اليهود وحدهم ! وبهذا يضمن لدعوته مجالا ، يتحرك بها فيه في الإمبراطورية الرومانية ، بين الرومان والشعوب الخاضعة لدولتهم ، وبهذا أيضا ، يفسح المجال للأمل اليهود في مسيح ينتظر بعد يسوع الذي « صلبوه » .

اعتمد المؤتمرون في « نيقية » ، على أقوال « بولس » الغامضة ، في اتخاذ قرارهم في طبيعة المسيح ، وتتلخص قصة هذا المؤتمر فيما يلي :

في سنة ٣٢٥ م اجتمع المؤتمر المسكوني في « نيقية » ، بأمر الملك قسطنطين الكبير ، وقد حضر هذا المؤتمر ٣١٨ أسقفاً ، من شتى أنحاء العالم ومن مختلف الطوائف المسيحية . وكانت المسألة الأولى ، والوحيدة ، التي

ومنهم من قال بثلاثة آلهة : صالح ، وطالح ، وعدل بينهما ، وهى مقالة « مرقيون » وأشياعه .

ومنهم من يقول : ربنا هو المسيح : تلك هى مقالة « بولس » الرسول ، ومقالة الثلاثمائة والثمانية عشر أسقفًا .

فلما سمع قسطنطين مقالاتهم ، عجب من ذلك ، وأخلى لهم دارا وتقدم لهم بالاكرام والضيافة ، وأمرهم أن يتناظروا فيما بينهم ، لينظر من معه الحق فينبهه ، فاتفق منهم ثلاثمائة وثمانية عشر أسقفًا على دين واحد ، ورأى واحد ، فنظروا بقية الأساقفة فأفلجوا عليهم حججهم ، وأظهروا « الدين المستقيم » .

أما أهم ما قرره المجمع — مجمع الثلاثمائة والثمانية عشر — فهو هذا القرار ، الذى جعل المسيح ربا ، هو ابن الله ، ومساويا له فى جوهره .

وأما صيغة القرار فهى :

« نؤمن برب واحد ، وأب واحد ، ضابط الكل ، خالق السموات والأرض . كل ما يرى وما لا يرى .

نؤمن برب واحد ، يسوع المسيح ابن الله الوحيد ، المولود من الأب قبل كل الدهور من نور . . . اله حق ، من اله حق . . . مولود غير مخلوق ، مساو للأب فى الجوهر . . . الذى به كان كل شيء ، هذا هو الذى من أجلنا نحن البشر ، ومن أجل خلاص نفوسنا ، نزل من السماء ، وتجسد من الروح القدس ومن مريم العذراء ، وتأنس (أى صار انسانا) ، وصلب على عهد « بيلاطس » وتآلم ، وقبر ، وقام من بين الأموات فى اليوم الثالث ، كما كتب فى الكتب ، وصعد الى السماء ، وجلس عن يمين الأب ، وأيضا يأتى فى مجده ، ليدين الأحياء والأموات ، الذى ليس للملكه انتضاء » .

فالإيمان الذى يبشر به هذا القرار ، هو إيمان بالأب ، والابن فقط ، أما الروح القدس ، فلم يتبوا مكانه المعروف الآن ، لدى الكنيسة المسيحية ، وظل هذا الوضع — وهو اغفال الروح القدس — حتى عام ٣٨١ هـ حيث أمر الملك « تيئودوسيوس » الكبير ، بعقد مجمع مقدس ، فى مدينة القسطنطينية للنظر فى مقولة « مكونيوس » بطريرك القسطنطينية ، التى كان ينادى بها ، فى محيط كنيسته ، ويذيعها فى أتباعه ، وهى أن الروح القدس ، مخلوق كسائر المخلوقات .

وقد اجتمع في هذا المؤتمر ، مائة وخمسون أسقفا ، يمثلون جميع الهيئات المسيحية ، كان من بينهم « تيموثاوس » ، بطريرك الاسكندرية الذي أسندت اليه رئاسته .

وانتهى المؤتمر بادانة « مكونيوس » ، ومن كان على رأيه ، من الأساقفة ، ثم خرج المجمع بالمصادقة على قرار مجمع « نيقية » ، ثم اضافة نص جديد في شأن « الروح القدس » .

وكان نصه ما يأتي :

« نعم ، نؤمن بالروح القدس ، الرب ، المحيى ، المنبثق من الأب ، نسجد له ونجده مع الأب والابن ، الناطق في الأنبياء ، وبكنيسة واحدة ، مقدسة جامعة ، رسولية ، ونعترف بمعمودية واحدة ، لمغفرة الخطايا ، وننتظر قيامة الأموات ، وحياة الدهر الآتى آمين » .

(راجع هذا الموضوع عند الشهرستاني : ج ١ ص ٢٢٠ وما بعدها ، وابن تيمية ج ٣ ص ٢٠ وما بعدها ، وابن حزم : الفصل في الملل والنحل ج ١ ص ٣٨ — ٤٠ ، والعقاد : الله ص ١٤٦ — ١٤٧ ، ١٦٦ — ١٧٢ ، والخطيب : المسيح في القرآن والتوراة والانجيل ص ١٣٧ — ٣٠٥ ، Nolle ، ص ٤٧ ، واقرأ تفسير الاتجاه العقلى في العقيدة المسيحية لبنوة الله عند الأستاذ الدكتور محمد البهى : الجانب الإلهى ج ١ ص ١٠١ — ١٠٨ ، ثم راجع بطلان التثليث عند رحمة الله الهندي ج ١ ص ٣٦١ — ٣٩٥ ، و ج ٢ ص ٣ — ٢٧) .

[صلب المسيح]

أما بعد حمد الله الذي هدانا لدينه ، وأيدنا بيمينه ، وخصنا بابنه ، ومحبوبه ، ومد علينا رحمته بصلبه^(١) يسوع^(٢) المسيح الهنا ، الذي خلق السموات والأرض ، وما بينهما ، والذي فدانا بدمه المقدس ، ومن عذاب جهنم^(٣) وقلنا ، ورفع عن أعناقنا الخطيئة^(٤) ، التي كانت في أعناق بني آدم

(١) اقرأ رأى المسيحيين في حادث الصلب في متى : ٢٧ ، مرقس : ١٥ ، لوقا : ٢٣ ، ويوحنا ١٩

ثم قارن معارضة القرآن لهذا الرأى في قوله تعالى : « وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم » (النساء : ١٥٧) .

ثم ارجع الى مناقشة ابن حزم لعقيدة المسيحيين في صلب عيسى عليه السلام : الفصل في الملل والنحل ج ١ ص ٤٦ — ٥١ .

(٢) في ج : « روح المسيح » .

(٣) في ت : « الجحيم » .

(٤) جاء في الانجيل : « ومن اراد ان يصير فيكم أولا يكون للجميع عبدا . لان ابن الانسان ايضا لم يات ليعلم بل ليعلم بل ليعلم نفسه فدية عن كثيرين » (مرقس ١٠ : ٤٤ — ٤٥) .

« لانه هكذا احب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الابدية » (يوحنا ٣ : ١٦) .

وقال بولس : « بر الله بالايه ان ببسوع المسيح الى كل وعلى كل الذين يؤمنون ، لانه لا فرق اذ الجميع اخطأوا واعوزهم مجد الله . متبررين مجانا بنعمته بالفداء الذي ببسوع المسيح الذي قدمه الله كفارة بدمه لاطهار بره من اجل الصفح عن الخطايا السالفة » .

(رسالة بولس الى أهل رومية ٣ : ٢٢ — ٢٥) .

« فانتى نسلمت اليكم في الأول ما قبلته أنا ايضا ان المسيح مات من أجل خطايانا حسب الكتب » .

(رسالة بولس الأولى الى أهل كورنثوس ١٥ : ٣) .

(*) ليعلم بل ليعلم : الأولى بضم الياء وفتح الدال ، والثانية بفتح الياء وضم الدال

بسبب أكله من الشجرة^(١) ، التي نهى عنها ، فخلصنا المسيح بدمه ،
وفدانا^(٢) بدمه ومن عذاب جهنم وقانا .

أهرق^(٣) دمه في مرضات جميع ولد آدم ، اذ كان الذنب باقيا في
أعناق جميعهم^(٤) ،

(١) لو قارنا بين نص التوراة ، في سفر التكوين ، الصحاح الثالث ،
وبين ما أشار اليه القرآن الكريم « البقرة : ٣٦ ، الأعراف : ٢٠ ، طه : ١٢٠)
في تحديد مرتكب الخطيئة الأولى ، لوجدنا أن التوراة تحمل حواء مسئولية
هذه الخطيئة ، فقد جاء في سفر التكوين أن حواء : « أكلت وأعطت رجلها أيضا
معها فأكل ... فقال آدم : المرأة التي جعلتها معي هي أعطتني من الشجرة
فأكلت » (التكوين ٣ : ٦ - ١٢) .

أما القرآن الكريم ، فينسب الخطيئة اليهما معا ، فهما متضامتان في
تحمل المسئولية ، اقرأ قوله تعالى : « فازلهما الشيطان عنهما فأخرجهما مما
كانا فيه » (البقرة : ٣٦) .

بل نصت آية طه ، على أن الشيطان وسوس الى آدم فقط فيقول
تبارك وتعالى : « فوسوس اليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة
الخلد وملك لا يبلى . فأكلا منها فبدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما
من ورق الجنة ، وعصى آدم ربه فغوى » (طه : ١٢٠ ، ١٢١) .

ولا شك أن تبرئة القرآن المرأة ، على هذا النحو ، يرفع عنها لعنة ،
لحقتها عبر القرون ، ويرفع عنها سبة الضعف المطلق ، والانهيار السريع أمام
الغواية ، ولا يخفى أثر هذا الاتجاه على وضعها في المجتمع .

(٢) في ج : « ويرانا » . (٣) في ج : « هرق » .

(٤) يرفض القرآن الكريم أن تفسح خطيئة آدم وحواء على كل الناس
كما يعتقد علماء اللاهوت المسيحيون ، فالمسئولية الدينية في نظر القرآن الكريم
شخصية محضة ، أتزل الله ذلك في آيات عدة ، تذكر مفها على سبيل
المثال :

« لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت » . (البقرة : ٢٨٦) .
« وهن يكسبن أثما فانما يكسبنه على أنفسهن » (النساء : ١١١) .
« من اهتدى فانما يهتدى لنفسه ، ومن ضل فانما يضل عليها ، ولا تزر
وازرة وزر أخرى » (الاسراء : ١٥) .

=

فكلهم تخلص منه ، الا من كفر به ، وشك فيه . [٠٠٠] ^(١) .

* * *

[دعوته الى الايمان بالوهية المسيح]

فاذا أردت أن يتغمذك الله برحمته ، وتفوز بجنته ، فأمن بالله وقل
ان المسيح ابن الله الذي هو الله ، والروح القدس ^(٢) ، ثلاثة أقانيم في
أقنوم واحد ^(٣) فستنجح وترشد .

==
« لا يجزى والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئاً »

• (لقمان : ٣٣)

« اليوم تجزى كل نفس بما كسبت ، لا ظلم اليوم » (غافر : ١٧)

• (الأحقاف : ١٩) « ولكل درجات مما عملوا »

• (النجم : ٣٩) « وأن ليس للإنسان الا ما سعى »

بل ان القرآن ليصور لنا أخذ البريء بالذنب ، لا على أنه مقصد
للشريعة فحسب ، بل هو كذلك غير متوافق مع الفكرة الأساسية للعدالة
الإنسانية :

« قال معاذ الله إن نأخذ الا من وجدنا متاعنا عنده أنا انن لظالمون »

• (يوسف : ٧٩)

(١) زيد في ع : « أما بعد ، فقد أعجبني عقلك ، وتحققت من شدة
نظنتك . وذكائك ولذلك صاحبك ، وجالسك ، وتباحثت معك في أمر ديني .
ورغبت أن أهديك اليه سبيلاً ، لولا تعصبك في دينك السقيم ، ومغالطتك
في البحث ، واني لمتأكد أنه لو تكرر اجتماعنا كنت أقتنع بصحة ديننا ،
فتتهدى اليه ، ولكن أبى الدهر الا أن يمنعني عن وفاء ما وعدتك به لأسباب
انحراف صحي ، ولذلك كتبت اليك هذا الكتاب ، لأخبرك أن أسرار ديننا
وحكمه ، هي أمور لا تدركها العقول الا بعد اعتناقه ، والدخول فيه . . »

(٢) في ت : « القدس الذي هو الله ، وابن ، وروح » .

(٣) يقول عوض سمعان : « الاقنوم » أو « القنوم » كلمة سريانية ،

يطلقها السريان على كل من يتميز عن سواه على شرط أن يكون من شخص ،
وله ظل . . ولذلك فانه يراد بالاقنوم التعيين . . . وقد وردت في اللغة اللاتينية
كلمة تشبه هذه الكلمة في النطق تماماً ، « أقوانيمتس » ، ومعناها الصدارة . .
وقد تعنى أيضاً الانسجام في الفكر ، والشعور ، والصفات الطيبة .

=

ألم تسمع ما في الكتاب ، الذي جاء به صاحب شريعتك : أنه روح الله وكلمته^(١) وأنه كان وجيها في الدنيا والآخرة ، ومن المقربين^(٢) ، وأين [من]^(٣) هو أوجه في الدنيا والآخرة من المسيح ابن الله ؟

* * *

أما القول بأن كلمة « أقنوم » معناها « الأصل » كما وردت في بعض كتب الفلسفة ، فليس بصحيح إذ فضلا عما تقدم من دليل لغوي ، فاننا لا نؤمن بأن الأتانيهم هم أصول العالم ، لأنها تعين الله أو الله معينا ، والله دون سواه ، هو أصل العالم ومبدعه . (سمعان : ص ١٠٢) .

وليس هناك تعارض بين التفسير اللغوي ، الذي ذكره عوض سمعان ، وبين مفهومها لدى الكنيسة المسيحية ، فالأصل مميز عن الفرع ، وما يتميز عن غيره معين ، فالأتانيهم أصل العالم ، فهي مميزة . ويرد ما يرمى إليه بهذا التفسير اللغوي — وهي نفى أن كلمة أقنوم معناها أصل — محاكاة العقيدة المسيحية ، لما ورد في الفلسفة ، فان تحديدها بثلاثة يرجع الى تأثير الفلسفة الاغريقية في علم الكلام المسيحي . يقول الأستاذ الدكتور محمد البهي : « تسمية هذه الأمور بالأتانيهم ، أو الأصول يرجع الى أثر الفلسفة الاغريقية في تفلسف المسيحية ، وتحديدها بثلاثة ، يرجع الى المصدر نفسه أيضا ، لأن ما نراه في المسيحية على هذا الوجه يذكرنا بـ (مثل) افلاطون ، فقد جعلها أصول هذا « الوجود » المشاهد ، واعتبره ظلالها وشببيها بها فقط ، كما يذكرنا « بثالوث » أفلوطين المصري ، الذي يتمثل في الواحد ، والعقل ، ونفس العالم ، ولو فتشنا على الألفاظ الدالة على هذه المعاني الثلاثة في المصدر النصي للمسيحية ، وجدناها : الله ، كلمة الله ، الروح القدس .

(البهي : الجانب الالهي . ج ١ ص ١١٣)

(١) يشير الى قوله تعالى : « يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق ، انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه » (النساء : ١٧١) .

(٢) يشير الى قوله تعالى : « اذ قالت الملائكة يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيها في الدنيا والآخرة ومن المقربين » (آل عمران : ٤٥) .

(٣) في ع : « نعم ! وأين الأوجه في الدنيا والآخرة .. » .

[معجزات عيسى في القرآن]

وفي الكتاب ، الذي جاء به صاحب شريعته ، أنه أحيا الموتى^(١)
وكفى بذلك دليلا على أنه هو الله •

[معجزات الحواريين]

ثم أنه أيد بأحياء الموتى بعض الحواريين^(٢) • فأحيوا الموتى •
كمثل ما فعل المسيح •

(١) يشير الى قوله تعالى : « ورسولا الى بنى اسرائيل انى قد جئكم
بآية من ربكم ، انى اخلق لكم من الطين كهيئة الطير فانفخ فيه فيكون طيرا
بأذن الله ، وابرىء الأكمه والأبرص واحيى الموتى بأذن الله ، وانبتكم بها تأكلون
وما تدخرون فى بيوتكم ، ان فى ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين »
(آل عمران : ٤٩) •

(٢) ورد فى الانجيل فقرات متعددة ، تشير الى أن عيسى عليه السلام ،
أمر حواريينه أن يقوهوا بأفعال خارقة ، كتلك التى أظهرها الله على يديه
تأييدا له وأظهارا لمن أنكر بعثته ، وجحد أنه مؤيد من الله : « وقال لهم :
اذهبوا الى العالم أجمع واكرزوا بالانجيل للخليفة كلها • من آمن واعتمد
خلص • ومن لم يؤمن يدن • وهذه الآيات تتبع المؤمنين • يخرجون الشياطين
باسمى ويتكلمون بالسنة جديدة • يحملون حيات وأن شربوا شينا ميتا
لا يضرهم ويضعون أيديهم على المرضى فيبرأون » (مرقس ١٦ : ١٥ - ١٨) •

« ها أنا اعطيكم سلطانا لتتوسوا الحيات والمقارب وكل قوة العدو
ولا يضركم شيء »
(لوقا ١٠ : ١٩) •

ويبدو من هذه النصوص ، أن عيسى عليه السلام ، لم يشير الى أنهم
يستطيعون احياء الموتى ، بل أن ايمانهم يعطيهم قوة خارقة ، للسيطرة على
الشياطين ، وفى سحق المقارب وهزيمة الأعداء ، وقد يكون ذلك مجازا لما
يستطيع المؤمن القيام به ، نتيجة زيادة الدفع الايماني ، الذى يكمن بين جنباته .

=

[رسالة المسيح بين المحلية والعالمية]

وأرسلهم المسيح الى جميع الأجناس^(١) .

=
غير أن هناك نصا في الانجيل يشير الى أن عيسى أرسل حواريه الاثنى عشر ،
وامرهم — فيما أمرهم به — باحياء الموتى : « هؤلاء الاثنا عشر أرسلهم
يسوع وأوصاهم قائلا : الى طريق أم لا تمضوا والى مدينة للسامريين
لا تدخلوا بل اذهبوا بالحرى الى خراف بيت اسرائيل الضالة . وفيما أنتم
ذاهبون أكرزوا قائلين انه قد اقترب ملكوت السموات . اشفوا مرضى .
طهروا برصا . أقيموا موتى . أخرجوا شياطين » (متى ١٠ : ٥ — ٨) .
فتقول : « أقيموا موتى » يحتمل أن يكون تعبرا مجازيا على حد
قوله تعالى :

« أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشى به في الناس كمن مثله
في الظلمات ليس بخارج منها » . (الانعام : ١٢٢) .

اذن ، ليس هناك في الاناجيل الأربعة ، نص يدل صراحة ، على أن
الحواريين أحيوا الموتى ، ولكن جاء في أعمال الرسل :

« . . . فقام بطرس وجاء معها . فلما وصل صعدوا به الى العلية
فوقفت لديه جميع الأرامل يبكين ويرين أقمصه وثيابا مما كانت تعمل غزالة
وهى معهن فاخرج بطرس الجميع خارجا وجثا على ركبتيه وصلى ثم التفت
الى الجسد وقال يا طيبتا قومي . ففتحت عينيها ، ولما ابصرت بطرس
جلست . فناولها يده واقامها . ثم نادى القديسين والأرامل واحضرها حية »
(أعمال الرسل ٩ : ٣٩ — ٤١) .

ولا يخفى على القارئ أن أعمال الرسل ، تأتي في مرتبة تلى مرتبة
الاناجيل ، فهي ليست وحيا — يتفق في ذلك علماء المسيحية — بل تعبرا
عن رأى كاتبها ولم يتفق علماء العقائد المسيحية ، على حجيتها في التشريع .
(راجع هذا الموضوع عند ابن حزم : الفصل ج ٢ ص ٢٢) .

(١) جاء في انجيل متى : « . . . فتقدم يسوع وكلهم قائلا : دفع الى
كل سلطان في السماء وعلى الأرض » . فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم
باسم الآب والابن والروح القدس » (متى ٢٨ : ١٨ — ١٩) .

=

{8:}

وفي انجيل مرقس : « ... وقال لهم اذهبوا الى العالم اجمع واكرزوا بالانجيل للخليفة كلها »
(مرقس ١٦ : ١٥) .

وفي انجيل لوقا : « ... وقال لهم هكذا هو مكتوب وهكذا كان ينبغي أن المسيح يتألم ويقوم من الأموات في اليوم الثالث . وأن يكرز باسمه بالتوبة ومغفرة الخطايا لجميع الأمم »
(لوقا ٢٤ : ٤٦ — ٤٧) .
ما مدى حجية هذه النصوص :

ان خير اجابة على هذا السؤال ، أن نستعرض بايجاز ، تاريخ تدوين هذه الاناجيل التي اشتملت على هذه النصوص :

متى : أحد تلاميذ المسيح ، الاثنى عشر ، الذين لازموه ، وعاشوا معه .
وتقول المصادر المسيحية ، انه كتب انجيله باللغة العبرية ، لليهود ، وقد ضاعت النسخة الاصلية ، ولم يبق الا ترجمتها اليونانية .

واختلفوا في تاريخ تدوينه ، فقيل : سنة ٣٧ ، او سنة ٣٨ ، او سنة ٤١ ،
او سنة ٤٣ ، او سنة ٤٨ ، او سنة ٦١ ، او سنة ٦٣ ، او سنة ٦٤
من الميلاد .

غير أن النقاد ينكرون نسبة الانجيل الى متى — كما يروى «ول ديورانت»
— ويرون أنه من تأليف أحد أتباعه ، وقد نسبته الى الحواري ، ليقع من الناس موقع الاطمئنان والقبول .

ومما يزيد الشك في صحة هذا الانجيل ، أن المصادر المسيحية . لم تذكر اسم المترجم ، فبين أيدينا كتاب ، لا يعرف على وجه التأكيد اسم مؤلفه ، ثم ضاعت النسخة الاصلية ، ووجدت ترجمتها ، ولا نعرف شيئا عن الشخص الذي ترجمها ، حتى اسمه مجهول لنا . فكيف يعتمد عليه ؟ وهل يعقل أن نصدق بأن كتابه مقدس ؟

مرقس : ليس من الحواريين ، ولم يجتمع بالسيد المسيح ، وان عد من السبعين ويقال : انه بشر بانجيله في الاسكندرية ، باللغة اليونانية .
ويختلفون في تاريخ تدوينه ، فقيل : سنة ٥٦ او ما بعدها الى ٦٥ ، والأغلب أنه ألف سنة ٦٠ ، او سنة ٦٣ من الميلاد . كما اختلفوا أيضا في نسبة هذا الانجيل اليه فقيل : ان بطرس كتبه رواية عن « مرقس » مع أن بطرس هو رئيس الحواريين ، فكيف ينقل عن شخص ، ولم ير المسيح ؟ وبعضهم يشك في نسبة الباب الاخير اليه .

=

كذلك اختلفوا في مولد ، وصناعة مرقس ، فقيل : انه انطاكي ولد
بأنطاكية . قيل : انه روماني ولد بايطاليا . كما قيل : انه كان طبيباً . وقيل :
انه كان مصوراً .

لكنهم اتفقوا على أنه من تلاميذ « بولس » ورفقائه ، ولم يكن من تلاميذ
المسيح ، ولا من تلاميذ حواريه . « ولبولس » هذا شأن خطير في صياغة
المسيحية ، كما سنعرض له ، بعد أن ننتهي من بيان حال الانجيل الأربعة .
لوقا : ليس من الحواريين الاثنى عشر ، وإنما هو من السبعين ،
وقد بشر بانجيله باليونانية . ويعلن لوقا في مقدمة انجيله أنه يهدف بتأليفه
الى هداية الكفار ، لا اليهود .

اختلف في تاريخ تدوينه ، فقيل : سنة ٥٣ ، أو سنة ٦٣ ، أو سنة ٦٤
من الميلاد . ويشك العلماء في نسبة بعض الأبواب اليه ، فيقول « وارد
كانك » : صرح « جيروم » في مكتوبه ، أن بعض القدماء ، كانوا يشكون
في بعض الآيات من الباب الثاني والعشرين ، من انجيل لوقا ، وبعض القدماء
كانوا يشكون في البابين الأولين ، من هذا الانجيل . وما كان هذان البابان
في نسخة فرقة مارسيوني .

واختلفوا في شخصية لوقا ، وفي صناعته ، وفي القوم الذين كتب لهم
هذا الانجيل ، لكنهم اتفقوا على أنه ليس من تلاميذ المسيح ، وأنه كان صديقاً
« لبولس » .

يوحنا : يعتقد جمهور المسيحيين ، أن انجيل يوحنا ، من تأليف
الحواري يوحنا بن زبدي الصياد ، ويختلفون في تاريخ تدوينه . فيقولون :
سنة ٦٨ ، أو سنة ٦٩ ، أو سنة ٧٠ ، أو سنة ٩٧ ، أو سنة ٩٨ من الميلاد .
وينكر المحققون ، نسبة هذا الانجيل « ليوحنا » الحواري ، ويرون أن
كاتبه ، رجل آخر ، ينفق مع الحواري في الاسم فقط . ويدعم هذا الرأي ،
أن علماء المسيحية في القرن الثاني الميلادي ، أنكروا نسبة هذا الانجيل الى
يوحنا الحواري ، وسمع ذلك الانكار « أرينتوس » تلميذ « بوليكراب » الذي
هو تلميذ يوحنا الحواري ، فلم يرد عليهم ، بأنه سمع صحة نسب الانجيل
الى الحواري من « بوليكراب » .

ومن المستبعد ، أن « أرينتوس » لم يسمع ذلك من « بوليكراب » ،
وهو الذي روى عنه أشياء ، أقل أهمية من ذلك بكثير .

ونشقق على الذين يبذلون منتهى جهدهم ، ليربطوا ، ولو بأوهى رابطة ، ذلك الرجل الفلسفى — الذى ألف هذا الكتاب فى القرن الثانى — بالحوارى « يوحنا الصياد الجليل ، فان أعمالهم تضيع عليهم سدى ، لخبطهم على غير هدى .. » ،

٣ — لم يكن « لوقا » — ولا « مرقس » — من الحواريين الاثنى عشر ، وأغلب الظن أنه لم يكن يهوديا ، بل كان صديقا « لبولس » — كما كان « مرقس » أيضا — وهذا يعطى ضوءا على ورود النص السابق فى انجيله ، اذا عرفنا أيضا أن الاناجيل قد حُرِفت ، وبُذلت أكثر من مرة ، وأن « بولس » كان المصدر الرئيسى للتشريع المسيحى ..

وعليه فيكون من الراجح ، أن مصدر هذا النص ، هو « بولس » ، الذى يقول علماء الأديان عنه ، أنه نقل المسيحية من ديانة محلية خاصة باليهود الى ديانة عالمية « لجميع الأمم » انظر :

Nölle, unter Paulus and Anwander , unter Apostél.

والذى دفعه الى ذلك ، أنه كان بحكم نشأته وثقافته ومولده ، مهيأ لأن يلعب هذا الدور ، فقد كان والده مواطنا رومانيا ، ورث عنه ابنه « بولس » ، هذا الحق الثمين ، فكان يعيش بين اليهود ، وفى اليهود بهذا الامتياز ، الذى انتفع به ، فى كثير من مواقفه .

ولا شك أن هذه « الرعوية الرومانية » ، التى كانت ميراثا فى بيته قد أثرت تأثيرا مباشرا ، وغير مباشر ، فى حياة الأسرة المسادية ، والعقلية ، ووثقت الصلة بينها وبين العقلية الرومانية .

لقد عزل بولس المسيح عن اليهود ، وجعله مسيحا غير « المسيا » الذى ينتظرونه لخلاصهم . وذلك ليستطيع أن يجعل منه الاله ، الذى تجسد ، ثم صلب من أجل خلاص العالم ، لا من أجل خلاص اليهود وحدهم ، وبهذا يضمن لدعوته ، مجالا يتحرك بها فيه ، فى الامبراطورية الرومانية بين الرومان ، والشعوب الخاضعة لدولتهم .

(رحمة الله الهى ج ١ ص ٧٦ — ٨٠ ، ول ديورانت : ج ١٢ ص ٢٢٦ ، الخطيب : المسيح .. ص ٨٥ وما بعدها) .

==

وأمرهم بأفشاء أمره • بعد أن كان يشرح^(١) لهم شرائعه بنفسه ،
ورآه الناس بأعينهم • وهو يتواضع • فوجب عليهم^(٢) أن يفعلوا كما
رأوا خالقهم يفعل •



[كيفية الحلول وتعليه]

لأنه عز وجل ، لما كلم العالم على السنة أنبيائه ، الذين جعلهم رسله
ووسائله^(٣) الى خلقه ، ليعلموهم^(٤) الاقرار بربوبيته ، ولينهوهم عن
عبادة الأوثان والأصنام^(٥) الفاشية ضلالتها في جميع الأرض ، ولم يمثلوا
لهم ، نزل هو سبحانه ، بعد ذلك من السماء ، ليكلم الناس بذاته ، لئلا
تكون لهم حجة عليه ، فتنتطح حجتهم حينئذ ، من أجل أن كلمهم بذاته ،
لا بواسطة بينهم وبينه ، فارتفعت المعاذير عن ضيع عهده ، بعد ما كلمه
بذاته ، اتماما لرحمته على الناس •

(١) في ج : « يدل » وفي ت : « بذل » وفي ع : « بعد أن كان هو يدل » .

(٢) في ج : « فيجب لهم » وفي ع : « فيجب عليهم » .

(٣) في ج : « ووسائله » . (٤) في ج : « ليعلمهم » .

(٥) في ج ، ت ، ع : « وشرعوا لهم ترك أوثانهم وأصنامهم » .
اضطرب القاموس في تحديد معنى الوثن والصنم ، ففي باب الوثن
نجد : الفرق بين الوثن والصنم ، أن الوثن : كل ما له جثة معمولة ، من جواهر
الأرض ، أو من الخشب والحجارة كصورة الأدمى ، وتنصب فتعبد .

وتحت باب الصنم نقراً :

الصنم : هو ما اتخذها من دون الله ، وقيل هو ما كان له جسم
أو صورة ، فان لم يكن له جسم أو صورة فهو وثن .

ويحتمل أن يكون سبب هذا الاضطراب ، أن الكلمتين تطلقان على
المعنيين ، كما ذهب بعض العلماء ، إذ لم يفرقوا بينهما وأطلقوها على كلا
المعنيين .

فهبط بذاته من السماء ، والتحم في بطن مريم العذراء^(١)
البتول^(٢) . أم النور فاتخذ^(٣) [لنفسه] منها حجابا كما سبق في حكمته
الأزلية ، لأنه في البدء كانت الكلمة ، والكلمة هو الله ، وهو مخلوق من
طريق الجسم ، وخالق من طريق النفس^(٤) هو خلق جسمه ، وهو خلق

(١) جاء في انجيل متى : « هوذا العذراء تحبل وتلد ابنا ويدعون اسمه
عمانوئيل الذي تفسيره الله معنا » (متى : ١ : ٢٣) .

وفي لوقا : « وفي الشهر السادس ارسل جبرائيل الملاك من الله الى
مدينة من الجليل اسمها ناصرة الى عذراء مخطوبة لرجل من بيت داود اسمه
يوسف . واسم العذراء هزيم » (لوقا : ١ : ٢٦ — ٢٧) .

فما معنى كلمة العذراء ؟

فسر علماء اليهود كلمة العذراء ، التي وردت في كتاب أشعيا .
« ها العذراء تحبل وتلد ابنا وتدعو اسمه عمانوئيل » (أشعيا ٧ : ١٤) .

بأنها المرأة الشابة ، سواء فضت بكارتها أم لا .
وفسر هذا اللفظ بالمرأة الشابة في التراجم اليونانية الثلاثة ، وعليه
فيكون متى مخطئا ، في نقل نص أشعيا ، لأن المسيح عليه السلام ، لم
يدع بعمانوئيل اطلاقا ، والاستدلال به على أن العهد القديم ، قد بشر بالمسيح ،
استدلال باطل .

أما علماء الاسلام فيذهبون الى أن المراد بعذرية مريم ، طهارتها وعفتها
كما قال القرآن الكريم على لسانها : « إني يكون لي غلام ولم يمسسني بشر
ولم اك بغيا » (مريم : ٢٠) .

(٢) البتول من النساء : المنقطعة عن الرجال ، لا أرب لها فيهم ،
وبها سميت مريم أم المسيح . والتبتل : ترك النكاح ، والزهد فيله ،
والانقطاع عنه .

(٣) في ج ، ع : « فآخذ » .

(٤) جاء في انجيل « متى » : « فقال للتلاميذ اجلسوا ههنا حتى امضي
اصلي هناك . ثم آخذ معه بطرس وابني زبدي وابتدا يحزن ويكتئب فقال
لهم : نفسي حزينة جدا حتى الموت » (متى : ٢٦ : ٣٦ — ٣٨) .
وفي انجيل « يوحنا » : « الآن نفسي قد اضطربت » (يوحنا : ١٢ : ٢٧) .

=

أمة ، وأمه كانت من قبله في الناسوت وهو كان من قبلها في اللاهوت ،
وهو الاله القام ، وهو الانسان القام^(١) .

= فهذا يبطل ما جاء في النص « وخالق من طريق النفس » ، اذ نسبة
الحزن والاكئاب ، الى النفس يدل على أنها مخلوقة ، لا خالقة ونسبة الفعل
اليها ، وهو (الحزن) يدل على أنه كان له جسد بشري ، ولا يأتي هذا الا اذا
كانت له نفس مخلوقة ، لها خصائص بشرية ، فصورة الانسان ، وكذلك
أعضاء جسمه ، تكتسب خصائصها من النفس . اذن من الخطأ القول :
بأن هناك فرقاً بين جسد المسيح ، ونفسه ، فلا يوجد أحدهما بدون الآخر .

ذهب الى ذلك بعض الفلاسفة ، فقد رأى أرسطو أن الانسان لديه جوهر
واحد كالتمثال تماماً ، فالجسد مادته ، والنفس صورته ، وغية تتخذ المادة
والصورة اتحاداً جوهرياً كما أنه لا يمكن فصل صورة التمثال عن الحجر
أو الرخام ، الا بتحطيم التمثال نفسه . كذلك لا يمكن فصل النفس عن البدن ،
الا بالقضاء على هذا الأخير . ومعنى ذلك أن أرسطو يجزم بأن المادة والصورة
يكونان جوهرًا واحدًا فلا تنفك أحدهما عن الأخرى بحال ما ، ويترتب على
هذا أنه ليس من الممكن القول باستقلال النفس عن الجسم ، أو بأن لهذا
الأخير وجوداً مستقلاً دونها ، ولذا غالباً جزء من ماهية النفس ، وكيف
يجوز لنا أن نعدّها جوهرًا مستقلاً . وهي لا تؤدي وظائفها المختلفة ، الا اذا
استعانت بالجسم على نحو ما ؟ فهي تستخدم الحواس في الابصار ، والسمع ،
واللمس ، والذوق ، والشم ، وهل لها أن تتخيل ، أو تشتت أو تغضب ،
دون أن تكون على صلة وثيقة بالبدن ؟ (قاسم ص ٦٧ — ٦٨) .

(١) بدأ « يوحنا » انجيله بهذا المقطع : « في البدء كان الكلمة ، والكلمة
كان عند الله . وكان الكلمة الله . . . كل شيء به كان وبغيره لم يكن شيء مما
كان . فيه كانت الحياة ، والحياة كانت نور الناس . . والكلمة صار جسداً
وحل بيننا » .
فهم دعاة المسيحية من هذا النص أن الكلمة هي الله ، وأن الله هو
الكلمة ، وأن الكلمة قد خلق كل شيء ، وأنه صار جسداً ، وحل بيننا في
شخص المسيح .

ويرد القرآن دعواهم هذه فيقول : « لقد كفر الذين قالوا ان الله هو
المسيح ابن مريم ، قل فمن يملك من الله شيئا ان أراد ان يهلك المسيح
ابن مريم وأمه ومن في الأرض جميعا ، والله ملك السموات والأرض وما بينهما ،
يخلق ما يشاء ، والله على كل شيء قدير » (المائدة : ١٧) .

[الصلب كما يراه المسيحيون]

ومن تمام رحمته على الناس ، أنه رضى باراقة^(١) دمه — [ليرفع] عنهم [وزر خطيئة آدم] —^(٢) في خشبة الصليب ، فمكن اليهود — أعداءه — من نفسه ، ليتم سخطه عليهم ، فأخذوه ، وصلبوه ، وغار^(٣) دمه في أصبعه ، لأنه لو وقع منه شيء في الأرض لبعست ، الا شيء يسير وقع فيها ، فنبت في موضعه النوار^(٤) لأنه لما لم يكن في الحكمة الأزلية ، أن لا ينتقم الله من عبده العاصي آدم^(٥) الذى ظلمه ، واستهان بقدره ، ولم يرد الله الانتقام منه لاعتلاء منزلة السيد وسقوط منزلة العبد .

أراد [الله] أن ينتصف من الانسان الذى هو اله مثله ، فانتصف من خطيئة آدم ، بصلب عيسى المسيح ، الذى هو اله مثله^(٦) .

فصلب ابن الله عز وجل الذى هو الله ، في الساعة التاسعة من يوم الجمعة ، صلبته اليهود الملاعين^(٧) .

(١) فى ج : « بهرق » وفى ت ، ع : « باهراق » .

(٢) زدنا ما بين القوسين المعقوفين وكذلك وضعنا علامة الجملة المعترضة لفهم العبارة .

(٣) غار يغور غورا : أتى الغور . وغار الماء : ذهب في الأرض .

(٤) لم تذكر الانجيل الأربعة أن دمه غار في أصبعه ، ولم تشر الى هذا النبت الذى خرج من الموضع الذى وقع فيه شيء من دمه ، ولكن ورد هذا في الاساطير التى حكيت حول أحداث الصلب .

(٥) غفر الله لآدم خطيئته فقال تعالى : « ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدي » (طه : ١٢٢) .

لكن المسيحيين يصرون على أن الله لم يغفر له هذه الخطيئة ، ليبرروا اعتقادهم في أن المسيح قد صلب تكفيرا لها ، كي يخلص البشرية من وزرها .

(٦) فى ت : « الذى هو الله متساو معه » .

(٧) اقرأ أخبار الصلب عند « متى » ٢٧ ، « مرقس » ١٥ ، « ولوقا » ٢٣ ، « ويوحنا » ١٩ .

واليهود تقر أنها صليبه ، وأنتم تنكرون ذلك^(١) كفرا منكم ، لأن
انكار الصلب منكم كفر^(٢) من ينكرها فهو كافر ، ولكنكم تعظمون
المسيح ، فمن أجل ذلك أرتجى منكم أن يهديكم الله الى الحق .

* * *

[دعوة القسيس أبا عبدة الى الايمان بعقيدة المسيحيين في المسيح]
وما عقائدكم كلها الا حسنة ، وكان عندكم عدل كثير في أصل دينكم
وخير شامل فلو آمنتم بالمسيح وقلتم :

انه هو الله ، خالق السموات والأرض لكمل ايمانكم ، ولا شك أنك
تقرأ التوراة . والزبور . والنبوات^(٣) فاعتبر ! فيها شواهد على ذلك كله .

(١) لأن الله يقول في كتابه الكريم : ﴿ وما قتلوه وما صلبوه ولكن
شبهه لهم ﴾ . (النساء : ١٥٧) .

وانظر مالك بن نبي : ٣١٩ — ٣٢٠ .

(٢) في ج ، ع : « لأن انكار الصلوية عندنا كفر » .

(٣) يطلق اسم التوراة ، على الكتب الخمسة الاولى ، من الكتاب
المقدس ، ومعنى التوراة في اللغة العبرية القانون . جاء في دائرة معارف
لاروس تحت كلمة توراة ما يأتي :

« العلم العصري ، والاسيما النقد الألماني ، قد أثبت بعد ابحاث
مستفيضة في الآثار القديمة ، وعلم اللغات ، أن التوراة لم يكتبها موسى ،
وأنها عمل اجبار ، لم يذكروا اسمهم عليها : (انظر سبينوزا ص ٢٦٥ — ٢٧٥)
ألفوها على التعاقب معتمدين في تأليفها ، على روايات سماعية قبل أسر بابل ،
بل ذهب بعض العلماء الى أن هذه الأسفار الخمسة ، ليس فيها كل الروايات
الاسرائيلية ، نكتها تحتوى فقط ، على اشارات ، ورموز ، وحكايات ، وأن
هجرة مصر ، ما هي الا قصة وهمية ، أو حادثة رمزية ، ليس لها أدنى أصل
حقيقي » .

لئن صح ما قاله العلماء ، من أن موسى لم يكتب التوراة الموجودة بين
أيدينا . فلا يمكن — نحن المسلمين — أن نتفق معهم ، في أن هجرة بنى
اسرائيل ، قصة خرافية ، لأن القرآن الكريم ، الذى لا يأتيه الباطل من بين

=

[صيغة الصلاة عند المسيحيين]

وصلاتنا^(١) أحسن صلاة تقرأ ، وهي هذه :

أبانا الذى أنت فى السماء تقديس اسمك ، وليأت^(٢) ملكك ، ولكن
ارادتك فى السماء مثلها فى الأرض •

أعطنا خبزنا ، كفافنا^(٣) ، واغفر لنا ذنوبنا ، كما نغفر نحن لمن أذنب
الينا ، ولا توقعنا^(٤) فى المحن ، وسلمنا من الشرور^(٥) •

=

يديه ، ولا من خلفه ، أخبرنا أن يوسف ، وإخوته ، جاءوا الى مصر (اقرأ
سورة يوسف) وأن ذريتهم ، خرجوا منها الى سيناء بزعامة موسى عليه
السلام (اقرأ سورة طه : ٩ - ٩٩ ، والشعراء : ١٠ - ٦٧) •

الزبور : الكتاب جمعه زبر ، وقد غلب لفظ الزبور على الكتاب الذى
انزل الى داود عليه السلام ، فقوله تعالى : « وآتينا داود زبوراً »
(الفساء : ١٦٣) •

أى وأعطينا داوود ، كتاباً خاصاً ، مزبوراً ، فالزبور بمعنى المزبور ،
كالركوب بمعنى المركوب وهو المكتوب ، وكل كتاب فهو مزبور ، ومنه قول
المرء القيس :

لمن طلل أبصره فشحجاني كخط زبور فى عسيب يمانى

هل الزبور الذى أنزل على داود هو المزامير الموجود فى العهد القديم
الذى بين أيدينا ؟ يشك باحثو الأديان ، فى نسبة المزامير ، الى داود عليه
السلام . (انظر بسبينوزا ص ٣٠٩)

النبوات : هى أخبار أنبياء بنى اسرائيل ، الملحقه بالعهد القديم •
(١) فى ج : « وصلواتنا » •

(٢) فى ج : « وات » بدون نقطة على الحرف الواقع بعد الالف •

(٣) فى ج : « الماتم » بدون نقط ، وفى ت : « الملائم » وساقطة من ع
فوضعنا كلمة « كفافنا » الواردة فى انجيل « متى » •

(٤) فى ج : « توسقنا » بدون نقطة على الحرف الواقع بعد الواو •

(٥) جاءت صيغة الصلاة فى انجيل « متى » على النحو التالى :

[نزول النور في بيت المقدس]

فهذه صلاتنا^(١) ، [٥٥٥]^(٢) وينزل الله علينا من السماء النور ، في

« أبانا الذي في السموات ، ليتقدس اسمك ليأت ملكوتك ، لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك على الأرض ، خبزنا كفافنا أعطنا اليوم ، واغفر لنا ذنوبنا كما تغفر نحن أيضا للمذنبين لنا . ولا تدخلنا في تجربة . لكن نجنا من الشرير . لأن لك الملك والقوة والمجد الى الأبد ، آمين » .

(متى ٦ : ٩ - ١٣) .

وزاد في ع : « السلام عليك يا مريم ، يا ممثلة ، نعمة الرب معك ، مباركة أنت في السماء ، ومبارك هو ثمره بطنك يسوع . يا قديسة مريم ، يا والدة الله ، صلى الأجلنا نحو الخطاة ، الآن ، وفي ساعة موتنا . آمين » .

(١) في ج ا : « صلواتنا » .

(٢) زاد في ع : تفصيلا لأركان المسيحية الخمسة ، نوجزها فيما يلي :

(أ) الغطسيس ، ذلك أن في كل كنيسة حوضا ، يملأه القسيس بالماء . ويقرأ عليه شيئا من الانجيل ، ويرمى فيه ملحاً أو شيئا من دهن البلسان . فإذا أراد أحد اعتناق النصرانية ، يقام له احتفال يحضره بعض الأعيان ، ويتلو فيه القسيس عليه مبادئ المسيحية ، ثم يسأله : هل آمنت بهذا كله ؟ فيقول : نعم ، وحينئذ يأخذ القسيس جزءا من الماء المذكور ، ويسكبته عليه ، وهو يقول : وأنا أغطسك باسم الأب والابن ، والروح القدس ، ثم يمسح الماء عنه بمنديل ، وينصرف ، وقد أصبح مسيحيا .

ويقام هذا الاحتفال الأولاد المسيحيين ، في اليوم الثامن من ولادتهم ، غير أن أيا الطفل هو الذي يجيب على سؤال القسيس ، ولا يمكن أن يعتبر أحد مسيحيا ، إلا بعد أن تقام له هذه الطقوس .

(ب) الإيمان بالتثليث .

(ج) الاعتقاد بأن أقنوم الابن قد التحم بعيسى في بطن مريم .

(د) الإيمان بالقربان ، وهو الاعتقاد بأن فطيرة من خبز ، إذا قرأ عليها القسيس بعض كلمات تصير بعينها جسد المسيح ، كما أنه إذا قرأ على بعض شراب الخمر ، فإنه يصير دم عيسى . وتجري طقوسا في الكنيسة ،

كل سنة في بيت المقدس^(١) .

=
فبعد أن يتم صنع الفطيرة ، يأمر القسيس بضرب ناقوس الكنيسة ، فيأتى المسيحيون ، ويقفون صفوفًا ، ثم يتقدم القسيس أمام الصفوف ويستقبل المشرق ، ويقوم ببعض الطقوس ، ثم يأكلون الفطيرة ، على أنها جسد المسيح ، ويشربون الخمر على أنة دم عيسى ، وذلك كما فعل المسيح ليلة القبض عليه كما يزعمون . (انظر متى ٢٦ : ٢٦ — ٣٠ و مرقس ١٤ : ٢٢ — ٢٦ ، ولوقا ٢٢ : ١٩ — ٢٠) .

(هـ) الاقرار بجميع الذنوب للقسيس ، اذ يعتقد المسيحيون أنه لا يمكن دخول الجنة ، الا بعد الاقرار بالذنوب للقسيس .
هذه هى أركان شريعتنا ، ألفها ، واتفق عليها أئمتنا ، وفقهاونا في زمن « قسطنطين » الروماني . ثم أورد نص القرار الذى أصدره مجمع « نيقية » وختم ذلك بقوله :

« فهذه هى عقائدنا ، التى أجمعت عليها جميع فرقنا ، واتفقوا على أنه لا يتم لنا عيد ، ولا قربان ، الا بها ، فانظر ، وتأمل الى معانيها الشريفة وحكمها العظيمة ، عسى الله أن يلهك بأسرارها ، فخلص مما أنتم عليه من الأباطيل » .

(١) يعتقد المسيحيون ، أن قيام عيسى من القبر ، هو نور الهى ، أرسله الله الى البشرية ليهديها الى « الطريق المستقيم » ، لذلك يحتفلون كل عام بهذه المناسبة ، فى كنيسة القيامة فى القدس ، وتتضمن مراسيم الاحتفال اطفاء أنوار الكنيسة ، واشعال النار فى مكان اتخذوه رمزاً ، لقبر عيسى — فهو المكان الذى دفن فيه كما يزعمون — يشعل المحتفلون الشموع من هذه النار ، ويدخلون بها الى الكنيسة المظلمة — بعد اطفاء أنوارها — ليضيئوها « بنور المسيح » .

ويعتقد كثير من المسيحيين ، أن هذه النار نزلت عليهم من السماء .
بين أبو عبيدة فى رده على القسيس هذه الخدعة ، فليرجع اليها القارىء .

وكان قيصر روسيا — قبل قيام الثورة البلشفية — يرسل كل عام سفينة الى القدس محملة شموعاً ، لاشعالها من هذه النار ، لقضاء بها كنائس روسيا .

[مكانة المطران عند المسيحيين]

وقد جعل الله في أيدي المطارين^(١) ما لم يجعله في يد أحد ، وذلك أن^(٢) كل ما يفعلونه في الأرض يفعلها الله في السماء ، فإذا أذنبتنا ، فهم الذين يقبلون التوبات^(٣) ويعفون عن السيئات ، بأيديهم صلاح الأحياء والأموات .

(١) المطران : رئيس الكهنة ، وهو فوق الأسقف ودون البطريرك جميعها : مطارنة ومطارين .

وتتدرج الألقاب الكهنوتية على النحو التالي :
١ - شناس ٢ - شمس ٣ - أسقف . ٤ - مطران .
٥ - بطريك . ٦ - بابا .

(٢) في ج : « أنهم » وفي ت : « أن جميع » ، وفي ع : « أنهم كلما يفعلونه » .

(٣) منحت الجامع الدينية البابا ، سلطات دينية ترفعه الى مرتبة غفران الذنوب ، فقد قرر مجمع روما المنعقد سنة ١٢١٥ م أن الكنيسة البابوية ، تملك حق الغفران وتمنحه لمن تشاء .
ومن يملك حق الغفران ، يملك بالتالي حق الحرمان !!!

وقد باشر رجال الدين في الكنيسة ، هذه السلطة وتوسعوا فيها ، فأخذوا يبيعون صكوك الغفران ، ويصدرون قرارات الحرمان ، حتى لو تعلقت بالملوك والعظماء .

وشاع بين المسيحيين ، أن الله يغفر لمن يرضى عنه آباء الكنيسة ، فانتشرت صكوك الغفران ، وذاعت ، ومارستها كل الكنائس ، التي كانت تخضع للكنيسة البابوية ، فكان المذنب يدفع قدرا من المال ، في مقابل الحصول على صك مكتوب فيه :

« ربنا يسوع المسيح يرحمك يا . . . : (يكتب اسم الذي سيفرله)
ويحلك باستحقاقات آلامه الكلية القداسة ، وأنا بالسلطان الرسولي المعطى لي ، أحلك من جميع القصاصات والأحكام ، وأنطالات الكنسية ، التي استوجبتها ، وأيضا من جميع الإفراط ، والخطايا ، والذنوب ، التي ارتكبتها ،
=

[ما أورده من شبهات]

وأما دينكم ، فقد ألف كثير من أساقفتنا كتباً ، في الطعن فيه^(١) ،
وذكروا صاحب شريعتكم ، وحيله ، ووصفوا أشيائه •

فراينا أنكم لستم على الحق ، وإنما الحق معنا • ولا فائدة في
شريعتكم ، لأننا نجد الأحكام الشرعية حكمين :

[الشبهة الأولى]

الأول : الحكم التوراوي ، والذي هو من لطمك فالطمه^(٢) •

==
مهما كانت عظيمة وفضيعة ، ومن كل علة ، وإن كانت محفوظة لأبينا ، الأقدس
البابا ، والكرسى الرسولي ، وألحق جميع أئذار الذنب ، وكل علامات الملامة ،
أنتى ربما جلبتها على نفسك في هذه الفرصة ، وأرفع القصاصات ، أنتى
كنت تلتزم بمكاببتها في المطهر ، وأردك حديثاً ، الى الشركة في أسرار الكنيسة
وأقرنك في شركة القديسين ، أردك ثانية الى الطهارة ، والبر ، اللذين كانا
لك عند معموديتك ، حتى انه في ساعة الموت يخلق أمامك الباب ، الذى يدخل
منه الخطاة الى محل العذاب والعقاب ، ويفتح الباب ، الذى يؤدي الى
فردوس الفرج ، وإن لم تمت سنين مستطيلة ، فهذه النعمة تبقى غير
متغيرة ، حتى تأتى ساعتك الأخيرة ، باسم الأب ، والابن ، والروح القدس » •
ويعتمد أبناء الكنيسة في غفران الذنوب ، على النص الذى جاء في
انجيل يوحنا : « من غفرتم خطاياهم تغفر له • ومن أمسكتم خطاياهم أمسكت »
(يوحنا ٢٠ : ٢٣) •

(انظر Stohlins. 58 FF ، وشلبى ص ٨ — ٢٩)

أما الاسلام فيبين أن الله وحده ، هو الذى يغفر لمن يشاء ولا يمكن لأى
إنسان — مهما بلغت منزلته — أن يدعى هذا الحق ، يقول الله تعالى ننبه
صلى الله عليه وسلم : « استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين
مرة فلن يغفر الله لهم » • (التوبة : ٨٠) •

(١) في ج : « عليكم » وفي ع : « عليه » •

(٢) لم يرد هذا التعبير في التوراة ، وإنما ورد في سفر اللاويين :

==

الآخر : الانجيلي ، الذي هو : من لطم خدك الأيمن فانصب له
الأيسر (١) .

وأنت ترى فضل هذا على الأول ، ثم لا تجد لهذين الحكمين ثالثا ،
كان داخلا فيهما (٢) .

* * *

[المشبهة الثانية]

وأى دليل يطلب على أنكم على الحق ، أكثر من أن يكون مكتوبا
في كتابكم :

« فأنحكوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع » (٣) .

والله قد قال في التوراة :

« لا يتزوج الرجل الا امرأة واحدة ، كما كان آدم وزوجته » (٤) .

=

« وإذا أحدث انسان في قريبه عيبا فكما فعل كذلك يفعل به . كسر بكسر
وعين بعين ، وسن بسن كما أحدث عيبا في الانسان كذلك يحدث فيه »
(اللاويين ٢٤ : ١٩ — ٢٠) .

(١) جاء في الانجيل : « سمعتم انه قيل عين بعين وسن بسن . واما
انا فاقول لكم : لا تقاوموا الشر . بل من لطمك على الخد الأيمن فحول له
الآخر أيضا »
(متى ٥ : ٣٨ — ٣٩) .

(٢) جاء الرد على هذه التشبهة في الأصل فلا داعي للتكرار .

(٣) النساء : ٣ .

(٤) لا يوجد هذا النص في التوراة ، بل ورد فيها ما يخالف مفهومه
مقد جاء في سفر التكوين : « واتخذ لامك لنفسه امرأتين . اسم الواحدة عادة
واسم الأخرى صلة . وقال لامك لامرأته عادة وصلة : اسمعا قولي
يا امرأتى لامك واصفيا لكلامى » (تكوين ٤ : ١٩ — ٢٣) .

=

كذلك جمع يعقوب بين امرأتين هما لينة ، وراحيل . (تكوين ٢٩) .

وهذا يدل على أن التعدد كان مباحا .

بل لم يرد نص في الانجيل ، يدل صراحة على أن التعدد حرام ، وانما يعتمد المسيحيون في تقييدهم الزواج بواحدة ، على نصوص يؤولونها تأويلا بعيدا عن مفهومهما ، وعن السياق التي وردت فيه ، من ذلك ما نشره احد القساوسة في مجلة الفكر الاسلامي . (العدد الثاني عشر من السنة الاولى ص ٦٠ - ٦٢) :

« ان تعدد الزوجات هو على نوعين : تعدد الزوجات في وقت واحد وتعدد الزوجات بالتتابع ، فنعدد الزوجات في وقت واحد ، يقوم بأن يكون الرجل مقتربا بأكثر من امرأة ويعيش معهن في آن واحد ، بينما تعدد الزوجات بالتتابع ، يقتصر على أن يكون للرجل زوجة واحدة ، ولا يقترب بأخرى ، الا اذا توفيت الاولى ، أو حل من ارتباطاته بها . فتتابع الزوجات بالتتابع معناه اذن : أن الرجل ليس مقتربا الا بامرأة واحدة . والديانة المسيحية ما عرفت قط - وما أمكنها أن تعرف - تعدد الزوجات في وقت واحد ، ولكنها عرفت تعدد الزوجات بالتتابع ، وهذا لا يسمى تعدد زوجات » .

جاء في الانجيل المقدس ، أن التلاميذ سألوا السيد المسيح :

« **أيحل لأحد أن يطلق امرأته لأية علة كانت** » ؟ فأجاب :

« **أما قرأتم أن الخالق منذ البدء جعلهما ذكرا واثني وقال : لذلك يترك الرجل أباه وأمه ، ويلزم امرأته ، فيصير الاثنان جسدا واحدا . لا يفرقن الانسان ما جمعه الله** » . (انجيل سيدنا المسيح للقدس متى ، الفصل ١٩ العدد ٤ - ٧) .

لم يقل السيد المسيح : « ويلزم نساءه » ، بل « امرأته » أي « الرجل واحد » « امرأة واحدة » والاثنان يصيران جسدا واحدا .

والرجل الذي اقترن بامرأة قرانا صحيحا ، لا يحق له أن يطلقها ، أو يحل الارتباطات ، التي بينه وبينها ، ويتزوج امرأة أخرى ثانية : « **من طلق امرأته وتزوج غيرها زنى : ومن تزوج التي طلقها زنى** » . (انجيل سيدنا المسيح للقديس لوقا : الفصل ١٦ العدد ١٨)

.

=

كلنا نعلم أن لا زنا من قبل الرجل ، الذى يعيش مع امرأة ، ومع نساء عقد معها أو معهن زواجا صحيحا . فبما أن الحياة مع امرأة ثانية ، هو فى العيانة المسيحية زنا ، معناه أن تعدد الزوجات ، فى آن واحد ممنوع قطعاً . هذا ما جاء فى الانجيل وهذا ما نجده بحرفيته ، فى رسالة القديس بولس ، الى أهل رومية حيث قال :

« فالمرأة المتزوجة تربطها الشريعة بالرجل مادام حيا ، فإذا مات حلت من شريعة الزوج ، وإن سارت الى رجل آخر ، وزوجها حيا عدت زانية ، وإذا مات الزوج تحررت من الشريعة ، فلا تكون زانية ، وإن سارت الى رجل آخر » (رسالة القديس بولس الى أهل رومية ، الفصل ٧ ، العدد ٢ — ٤ ، ورسالته الأولى الى أهل كورنثس ، الفصل ٧ : العدد ٣٩) .

ويقول القديس بولس أيضا : « فليكن لكل رجل امراته ، ولكل امرأة زوجها ، وليقتض الزوج امراته حقها ، وكذلك المرأة حق زوجها » . (رسالته الأولى الى أهل كورنثس الفصل ٧ : العدد ٢ — ٣)

وقد رددنا عليه فى نفس العدد بما يلى :

١ — جاء فى التوراة فى مواضع متعددة ما يفيد تعدد الزوجات ، وقد أقر القسيس ذلك فى مستهل مقاله .

قال السيد المسيح : « لا تظنوا انى جئت لآتقض الناموس أو الأنبياء ، ما جئت لآتقض بل لأكمل ، فانى الحق أقول لكم : الى ان تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس ، حتى يكون الكل ، فمن نقض احدى هذه الوصايا الصغرى ، وعلم الناس هكذا يدعى أصغر فى ملكوت السموات ، وأما من عمل وعلم ، فهذا يدعى عظيما فى ملكوت السموات ، فانى أقول لكم انكم ان لم يزد بركم على الكتب والفريسيين لن تدخلوا ملكوت السموات » (متى ٥ : ١٧ — ٢٠) .

ما هو الناموس الذى لم يأت السيد المسيح لنقضه ، اذا لم يكن المقصود به التوراة ؟

الا يدل قوله « لا يزول حرف واحد . » الخ

على أن المراد التوراة ؟

اذن فالمسيحيون ، ملزمون بأحكام التوراة — حسب رأى الأغلبية من علماء الدين — الا اذا ورد في الانجيل ما ينقضها .

وقد ذكر « Stauffer » في كتابه « Botschaft » أن رسالة المسيح كانت أخلاقية ، ولم تكن لسن قوانين ، واصدار تشريعات ، ودلل على ذلك بما جاء في انجيل لوقا : « وقال له واحد من الجمع : يا معلم قل لأخي أن يقاسمى الميراث ، فقال له : يا انسان من أقامنى عليكما قاضيا أو مقسما » (لوقا ١٢ : ١٣ — ١٤) .

ثم — عاد — إلى Stauffer — فبين أن عيسى عليه السلام شرع « الأخلاقيات جديدة » وصاحبها ابطال مقابليها في التوراة ، ثم ذكر سبع نقاط اساسية ، خالف فيها الانجيل التوراة ، والمقام يقتضينا أن نذكر منها نقطتين ، تتعلقان بموضوعنا :

(١) عقوبة الزانى في التوراة القتل ، كما جاء في سفر اللاويين (اصحاح ٢٠ فقرة ١٠ — ١٣) .

خالف الانجيل التوراة في هذا ، وترك الزانية بدون عقاب . (يوحنا ٨ : ١١)

(ب) أباحت التوراة الطلاق (التثنية ٢٤ : ١) . وحرمه الانجيل (مرقس ١٠ : ١٢) .

ولم يذكر « Stauffer » — كما لم يذكر أحد من الباحثين في المسائل الدينية — أن الانجيل خالف التوراة في تعدد الزوجات ، ، ولو كانت هناك فقرة واحدة تفيد هذا صراحة ، لالتفت بها صفحات وصفحات لبيان مسأيرة المسيحية في أصولها ، للاتجاه الأوروبي في مقابل الاسلام .

أما ما أورده من فقرات الانجيل ، فلا يدل على تحريم تعدد الزوجات ، بل على تحريم الطلاق ، فصيغة الافراد التى وردت في اجابة عيسى عليه السلام ، جاءت لتمائل صيغة الافراد في سؤال التلاميذ ، فلو فرض أن التلاميذ ، وضغفوا سؤالهم على هذا النحو : « أيحل لأحد أن يطلق نساءه لاية علة كانت ؟ » فلربما أجابهم السيد المسيح : « . . . ويلزم نساءه . . . » .

فالافراد كان لمطابقة مثيله في السؤال ، وظروف النص ، تبين بوضوح أنه لتحريم الطلاق ، ولا يفهم منه تحريم التعدد ، الا بتأويل متعسف .

أها الفقرة الثانية : « من طلق امرأته وتزوج غيرها زنى ، ومن تزوج
التي طلقها زوجها زنى » .

إذا فهم تحريم التعدد من الجملة الأولى ، فلن يفهم من الثانية . لأنه
ربما يكون الرجل ، الذى تزوج المطلقة ليس معددا ، لأنها بالنسبة له زوجة
أولى ، فلم كان زانيا ؟ فهو لم يعدد

كان زانيا لأنه دخل بامرأة ، لازالت فى عصمة آخر ، لأن الطلاق لم
يعترف به ، لا لأنه عدد الزوجات .
اذن ملابسات النص بأكمله تصرفه الى تحريم الطلاق .

وقول القديس بولس لا يدل على تحريم تعدد الزوجات ، الا اذا صيغ
على الوجه التالى : « فليكن لكل رجل امرأة ولكل امرأة زوج »
ولا يخفى الفرق بين التعبيرين .

إذا كان تحريم الكنيسة تعدد الزوجات ، لا يستند الى نص صريح فمن
أين جاء ؟

ونجد اجابة هذا السؤال فيما نقله الدكتور عبد الواحد وافي فى كتابه
« قصد الزواج والعزوبة فى العالم » ص ٥٧ عن « Westermarck » بقوله :

« . . . » وقد اخذ بهذا النظام (الزوجة الواحدة) كثير من المجتمعات
الانسانية قديمها وحديثها ، متحضرها ، وبدائها ، وساد على الأخص فى
العصور القديمة عند قدماء اليونان والرومان ، ويسير عليه فى العصر جميع
الأوربيين ، وسلالاتهم بأمريكا وأستراليا وغيرها ، وقد جعلته المسيحية
المثل الأعلى للزواج وان لم يرد فى الانجيل نص صريح يدل على تحريم تعدد
الزوجات ، واذا كان قدامى المسيحيين قد ساروا على نظام وحدة الزوجة ،
فما ذاك الا الآن معظم الأمم الأوربية التى انتشرت فيها المسيحية فى أول الأمر
كانت تقاليدهم تحرم تعدد الزوجات ، وقد سارت بعد اعتناقها المسيحية ،
على ما وجدت عليه آباءها من قبل فلم يكن وحدة الزوجة لديها نظاما طارئا ،
جاء به الدين الجديد الذى دخلت فيه ، وانما كان نظاما قديما جرى عليه
العمل فى وثيقتها الأولى » .

تلك هى سياسة الكنيسة فى نشر عقائدها ، تحرم ، وتحلل ، لترغيب
الناس فى اعتناق المسيحية ، ثم يصير ما حلته ، أو حرمته — بمرور الزمن —
=

[الشبهة الثالثة]

وكتب في كتابكم^(١) أن الرجل اذا طلق امرأته ثلاثا ، لا تحل له حتى تنكح زوجا غيره^(٢) .

والله قد قال في التوراة :

« من طلق امرأته ، ثم أحب مراجعتها ، فهي تحل له ، ما لم يتزوجها^(٣) رجل آخر^(٤) . »

* * *

شريعة ، تدافع عنها الأجيال اللاحقة ، كانه منزل من السماء ، ولم يكن سوى تحريفا لشريعة الله .

ولم تكف الكنيسة عن اتباع هذا الأسلوب الى اليوم ، فهي تغض الطرف عن تعدد الزوجات بين المسيحيين في افريقيا ، حتى القسيس في الكنيسة الافريقية ، تجوز له أن يتزوج أكثر من امرأة ، بينما يحرم هذا على زميله في أوربا ، فأيهما المسيحية ، اتحريم التعدد على المسيحيين في أوربا أم جوازه لشركائهم في العقيدة في افريقيا ؟

لا نجد عندهم جوابا سوى أنهم أحلوا تعدد الزوجات في افريقيا ، ليكسبوا اتباعا ، والا خسروا المعركة أمام الاسلام ، لأن عادة الافريقيين التعدد ، والاسلام يبيحه ، فاذا هم تمسكوا بتحريمه ، فلن يعتنق احد المسيحية في افريقيا الا نادرا .

(١) في ت : « وكذلك عندكم » .

(٢) يشير الى قوله تعالى : « الطلاق مرتان فامسك بمعروف او تسريح باحسان ، ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئا الا أن يخافا ألا يقيما حدود الله ، فإن خفتم ألا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به ، تلك حدود الله فلا تعتدوها ، ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون . فإن طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره ، فإن طلقها فلا جناح عليهما أن يترابعا ان ظنا أن يقيما حدود الله ، وتلك حدود الله يبينها لقوم يعلمون »

(البقرة : ٢٢٩ ، ٢٣٠) .

(٣) في ع ، ج : « يمسه » .

(٤) نص ما جاء في التوراة هو : « اذا أخذ رجل امرأة وتزوج بها فإن »

[الشبهة الرابعة]

وكتب في كتابكم :

« ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ، يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون ، وعدا عليه حقا في التوراة والانجيل والقرآن » (١) .

وقال الله في التوراة :

« لا يكون قتال بين بنى آدم ، فان القاتل والمقتول في النار » (٢)

لم تجد نعمة في عينيه لأنه وجد فيها عيب شيء وكتب لها كتاب طلاق ودفعه الى يدها وأطلقها من بيته . ومتى خرجت من بيته ذهبت وصارت لرجل آخر . فان أبغضها الرجل الأخير وكتب لها كتاب طلاق ودفعه الى يدها وأطلقها من بيته ، او اذا مات الرجل الأخير الذى اتخذها له زوجة . لا يقدر زوجها الأول الذى أطلقها ان يعود يأخذها لتصير له زوجة بعد أن تنجست . لأن ذلك رجس لدى الرب فلا تجلب خطية على الأرض التى يعطيك الرب الهك نصيبا » (التثنية ٢٤ : ١ - ٤)

فأى فضل في هذا على ما جاء في القرآن الكريم ؟

أليس فيه تضيقا على المرأة ، في أن تحيا حياة طبيعية في المجتمع دون حرج ، مادامت ملتزمة بحدود الآداب ، ومتبعة لأحكام الشريعة ؟

ان من غير المعقول عقلا ، أن يحكم على المرأة بالنجاسة ، اذا تزوجت رجلا آخر !!!

ولماذا لم تنتجس باتصالها بالرجل الأول ، فتحرم على الثانى ؟
ان ذلك تحريف لشريعة الله !!!

(١) التوبة : ١١١ .

(٢) لم يرد هذا النص في التوراة ، بل ورد ما يفيد أن الله أمر موسى عليه السلام ، ألا يهادن الخارجين عن عبادة الله ، بل يهدم مذابحهم ويكسر أصنامهم : « احفظ ما أنا موصيك اليوم ها أنا طارد من قدامك الأموريين »

وليس العجب من هذا ، فإن الذى ذكرته^(١) لك فى كتابك من الأحكام ، يمكنك أن تحتج فيه بالنسخ ، الذى هو مقدمة من مقدمات أصل شريعتك .

وانما العجب من قوله مخبرا : «وعدا عليه حقا فى التوراة والانجيل» وما فى التوراة والانجيل الا ضد ذلك^(٢) .

* * *

والكنعانيين والحثيين والفرزيين والحيويين واليبوسيين . احترز من أن تقطع عهدا مع سكان الأرض التى أنت آت إليها لتلا يصيروا فخا فى وسطك بل تهدمون مذابحهم وتكسرون أنصابهم وتقطعون سواريتهم » .

(خروج ٣٤ : ١١ — ١٣)

وجاء فى سفر العدد . أن الرب أمر موسى ، أن ينتقم لبنى اسرائيل من المديانيين : « وكلم الرب موسى قائلا : انتقم نقمة لبنى اسرائيل من المديانيين »

(العدد ٣١ : ١)

فاختار موسى اثنى عشر الفا ، وأرسلهم الى مديان كما أمر الرب ، فقتلوا كل ذكر ، وسبوا النساء ، والأطفال ، وأخذوا أموالهم غنيمة .
(انظر العدد ٣١ : ٣ — ٥٤)

(١) فى ت : « الذى ذكرت » .

(٢) انكار القسيس ورود هذا فى التوراة واضح البطلان ، فقد جاء فى التوراة ، التى بين أيديهم ، (وهى المشكوك فى صحتها) ما يفيد أن الله رضى بما قام به بنو اسرائيل فى حرب العمالقة : « فقال الرب لموسى اكتب هذا تذكارا فى الكتاب وضعه فى مسامع يشوع . فأتى يسوف أمحو ذكر عماليق من تحت السماء . فبنى موسى مذبحا ودعا اسمه يهو نسي . وقال ان اليد على كرسى الرب . للرب حرب مع عماليق من دور الى دور » .

(خروج ١٧ : ١٤ — ١٦)

ومن يرضى عنه الله ، يدخله الجنة ، جزاء ما قام به ، وهو هنا حرب العماليق .

أما الانجيل الموجود بين أيدينا ، فقد جاء بالمتناقضات حول هذا الموضوع فبينما يقول : « أحبوا أعداءكم . باركوا لاعنيكم . أحسنوا الى مبغضيك » (متى ٥ : ٤٤)

==

[الشبهة الخامسة]

والعجب أيضا من قوله عن مريم أم المسيح :

« ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها »^(١) .

وقال عنها في موضع آخر : « يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا »^(٢) .

وليس أم المسيح بأخت هارون ، ولا بابنه عمران ، وإنما اسم أبيها يؤاخيم^(٣) ، فتوهمتم أنها ابنة عمران ، التي كانت أخت موسى وهارون^(٤) .

* * *

نطالع بعد قليل قوله : « لا تظنوا أني جئت لألقى سلافاً على الأرض »
ما جئت لألقى سلافاً بل سيفاً » . (متى : ١٠ : ٣٤)

(٢) مريم : ٢٨

(١) التحريم : ١٢

(٣) في ج ، ت : « يعقيم » .

لم تذكر الأنجيل اسم أبيها ، وإنما جاء في الأساطير أنه « Joachim »
(يؤاخيم) وأمها « Anna » (أنا) [انظر « Mensching » ص ١٩ — ٩٢]

(٤) ورد في التوراة : « وأخذ عمران يوكابد عمة زوجته له . فولدت له هارون وموسى » . (خروج : ٦ : ٢٠)

« واسم امرأة عمران يوكابد بنت لاوى التى ولدت لللاوى فى مصر فولدت لعمرام هارون وموسى ومريم اختهما » . (عدد : ٢٦ : ٥٩)

ويرجح الباحثون أن زمن وجود موسى وهارون كان : ١٥٠٠ قبل الميلاد .

فما هو عمران المذكور في قوله تعالى : « اذ قالت امرأة عمران »
(آل عمران : ٣٥)

=

لقد عرف في التاريخ رجلا بهذا الاسم :

(١) عمران والد موسى وهارون وهو : عمران بن يصر بن قاهث بن لاوى بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم .

(ب) عمران بن ماثان والد مريم ، وكان من نسل سليمان بن داود بن نسي . وهم من نسل يهوذا بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم عليهم السلام ، وهو المذكور في آية آل عمران المذكورة سابقا .

اذن ، فكيف نفسر وصف القرآن الكريم لمريم ، بأنها أخت هارون وبينهما خمسة عشر قرنا تقريبا ؟

ذكر العلماء في تفسير قوله تعالى : « يا أخت هارون » . أربعة أقوال :

الأول : انه رجل صالح من بنى اسرائيل ، ينسب اليه كل من عرف بالصلاح . والمراد أنك كنت في الزهد كهارون ، فكيف صرت هكذا . وهو قول قتادة وكعب وابن زيد والمغيرة بن شعبة . ويروى أن هارون الصالح هذا ، لما مات تبع جنازته أربعون ألفا ، كلهم يسهون هارون تبركا به وباسمه !!

الثاني : انه أخو موسى عليه السلام ، وعن النبي صلى الله عليه وسلم انها هو هارون النبي ، اذ كانت من أعقبه ، وانما قيل يا أخت هارون كما يقال : يا أبا همدان ، أي يا واحدا منهم .

الثالث : كان رجلا مشهورا بالفسق ، فنسبت اليه بمعنى التشبيه ، لا بمعنى النسبة .

الرابع : كان لها أخ يسمى هارون ، من صلحاء بنى اسرائيل ، فذكرت به . وهذا هو الأقرب لوجهين :

(١) أن الأصل في الكلام الحقيقة . وانما يكون ظاهر الآية محمولا على حقيقتها ، لو كان لها أخ يسمى بهارون .

(ب) أنها أضيفت اليه ووصف ابوابها بالصلاح ، وحينئذ يصير التوبيخ أشد ، لأن من كان حال أبوية وأخيه هذه الحالة يكون صدور الذنب عنه أمحش . (الرازي ج ٢١ ص ٢٠٧ — ٢٠٨)

[الشبهة السادسة]

وقال أيضا في كتابكم عن إبليس أن الله أسقطه من السماء الى الأرض ، لما أبى أن يسجد لآدم^(١) .

وقال في التوراة : انه أسقط إبليس من السماء ، قبل أن يخلق آدم^(٢) لأنه أراد أن يجعل نفسه ندا لله ، واعتز على الملائكة فقال لهم : أنا من نار ، ولا خالق ، فاجعلوا لى كرسيًا ، أكون عليه شبه العلى .

فلم يتم قوله ، حتى أسقطه الله من السماء ، الى خزي الدنيا هو وجميع أصحابه الذين أضلّتهم^(٣) الفكرة الرديئة^(٤) .

(١) يشير الى ما جاء فى الأعراف ١١ — ١٨ ، الحجر ٣٠ — ٤٣ ، وسورة ص ٧١ — ٨٥ .

(٢) سقط من ت : « من السماء الى الأرض ، لما أبى أن يسجد لآدم ، وقد قتال فى التوراة : انه أسقط إبليس . . . » .

(٣) فى ج ، ع : « داخلتهم » .

(٤) لم ترد كلمة « إبليس » فى العهد القديم ، وما اشتهر فى قصة الخطيئة ، انه أغوى حواء ودفنهما الى الأكل من الشجرة ، فلم تذكره التوراة الا فى صورة حوار بين حواء والحية . (تكوين ٣ : ١ — ١٥)

واذا بحثنا عن الكلمة المرادفة ، وهى « الشيطان » نجد أن كاتب سفر أيوب هو أول من ذكرها : « وكان ذات يوم انه جاء بنو الله ليهملوا أمام الرب وجاء الشيطان أيضا فى وسطهم ، فقال الرب للشيطان : من أين جئت ؟ » (أيوب ١ : ٦ — ٧)

اثر سفر أيوب على العقلية اليهودية ، فاعتقدت فى وجود :

— طبيعة خيرة ، وتمثل فى الملائكة الذين أطلق عليهم سفر أيوب « بنو الله » ،

— طبيعة شريرة ، وتمثل فى الشيطان كما جاء فى نفس السفر .

— طبيعة الانسان (وأيوب رمز لها) .

والشيطان وأعوانه ، يعملون ضد الإنسان ، بينما الملائكة تدافع عنه
إمام الله وتقف في صفه ، بل تحارب الشيطان وأعوانه ، لتخلص الإنسان
منه ، ولتحفظ ملك الله خائصا له .

ويرجع علماء الأديان أن كاتب سفر أيوب ، كان واقعا تحت تأثير
المعتقدات الزرادشتية ، التي انتشرت بين اليهود أثناء وجودهم في بابل ، إذ أن
زرادشت يؤمن بالثنائية :

— قوى الخير .

— قوى الشر .

وبأن الصراع قائم بينهما [انظر «Van Glasenapp» ص ٢٩٩]
نسج أحبار اليهود الأساطير ، حول الصراع بين الله والشيطان ،
وتناقلوها جيلا بعد آخر الى أن صاغها كاتب رؤيا يوحنا اللاهوتي حيث قال
« وظهرت آية عظيمة في السماء امرأة مقسربة بالشمس والقمر تحت رجلها
وعلى رأسها اكلي من اثني عشر كوكبا . وهي حبلى تصرخ متمخضة ومتوجعة
لتلد . وظهرت آية أخرى في السماء . هو ذا ثنين عظيم أحمر له سبعة رؤوس
وعشرة قرون وعلى رؤوسه سبعة تيجان . وذنبه يجرد ثلث نجوم السماء
فطرحها الى الأرض . والثنين وقف أمام المرأة العتيدة أن تلد حتى يبتلع
ولدها متى ولدت . فولدت ابنا ذكرا عتيذا أن يرعى جميع الأمم بعصا من
حديد . واختطف ولدها الى الله وإلى عرشه . والمرأة هربت الى البرية
حيث لها موضع من الله لكي يعولوها هناك ألفا ومئتين وستين يوما .
وحدثت حرب في السماء . ميخائيل وملائكته حاربوا الثنين وحارب الثنين
وملائكته . ولم يقفوا فلم يوجد مكانهم بعد ذلك في السماء . فطرح الثنين
العظيم الحية القديمة المدعو إبليس والشيطان الذي يضل العالم كله طرح
الى الأرض وطرحته معه ملائكته وسمعت صوتا عظيما قائلا في السماء :
الآن صار خلاص الهنا وقدرته وملكه وسلطان مسيحه لأنه قد طرح المشتكى
على اخوتنا السدى كان يشتكى عليهم أمام الهنا نهارا وليلا » .
(رؤيا يوحنا اللاهوتي ١٢ : ١ — ١٠)

ومن هذا نتبين أن القسيس اعتمد في رأيه على ما كتب في رؤيا يوحنا
اللاهوتي التي هي تعبير عن الأسطورة التي شاعت بين اليهود وقد سبق أن
بنا أن نسبة الرؤيا الى يوحنا ، افتراء وكذب عليه ، وأن المحقق « برطشيد »
يرى أن كاتبها رجل آخر غير يوحنا الحواري ، صنفها في ابتداء القرن الثاني

[الشبهة السابعة]

وأنتم تقولون : ان في التوراة والانجيل والزبور والنبوات خلافاً^(١) كثيراً^(٢) ، وأننا قد زدنا فيها ونقصنا ، وهذا من كفركم ، وليس معكم على ذلك دليل ، ولا هو مكتوب أيضاً^(٣) في الكتاب الذي جاء به صاحب شريعتكم ، وإنما هو كلام قلتموه أنتم^(٤) .

=
الميلادي ، وذلك يجعلنا نضرب بها عرض الحائط ، فهي لا تخرج عن كونها أسطورة ، ومن شأن الأساطير البأس الحق بالباطل ، فجاء القرآن الكريم — وهو الكتاب المقدس الوحيد ، الذي حفظ من عبث الرواة — مبينا ما خلطوا وموضحا ما البسوا : « اذ قال ربك للملائكة اني خالق بشرا من طين . فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين . فسجد الملائكة كلهم أجمعون . الا ابليس استكبر وكان من الكافرين . قال يا ابليس ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي ، استكبرت أم كنت من العالين . قال انا خير منه ، خلقتني من نار وخلقته من طين . قال فاخرج منها فانك رجيم . وان عليك لعنتي الى يوم الدين » . (سورة ص : ٧١ — ٧٨)

(١) في ت : « فسادا » .

(٢) ورد في الانجيل نصوص كثيرة متناقضة ، ذكر المؤلف بعضها منه .
في رده على رسالة القسيس .

أما النصوص المتناقضة في التوراة ، والزبور ، والنبوات فعديدة ، ويستطيع القارئ أن يطالع طائفة منها ، في كتاب الفصل في الملل والنحل لابن حزم ج ٢ ص ٣ — ٧ ، ص ١٣ — ١٩ وفي اظهار الحق ، لرحمة الله انهضدي ج ١ ص ٨٧ — ١٧٢ .

(٣) في ج ، ع : « ولا أيضا هو مكتوب » .

(٤) يرى بعض العلماء أنه لم يرد في القرآن الكريم نص ضريح يفيد — على سبيل القطع — أن الكتب السماوية (التوراة ، الزبور ، الانجيل) قد حرفت أو بدلت .

وما جاء فيه حول هذا الموضوع يحتفل أكثر من وجه ، ولهذا سنذكر هنا أوضح الآيات دلالة على التحريف ، ثم نذكر عقب كل آية ، ما قاله

=

أئمة المفسرين في عصور الاسلام الأولى . وسوف يقتضى هذا المنهج اسهابا
 — بل وتكرار أحيانا — اضطررنا إليه ، كى تتضح الصورة أمام القارئ .
 (١) قال الله تعالى : « أفطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم
 يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون » (البقرة : ٧٥)

« اعلم أننا ان قلنا ، بأن المحرفين ، هم الذين كانوا في زمن موسى
 عليه السلام ، فالمحرف هو التوراة » .
 وكيف ؟

« روى أن قوما من السبعين المختارين ، سمعوا كلام الله حين
 كلم موسى بالطور ، وما أمر به موسى ، وما نهى عنه ، ثم قالوا : سمعنا
 الله يقول في آخره إن استطعتم أن تفعلوا هذه الأشياء ، فافعلوا وإن شئتم
 إلا تفعلوا فلا بأس .

وأما ان قلنا : المحرفون هم الذين كانوا في زمن محمد صلى الله عليه
 وسلم : فالأقرب أن المراد تحريف أمر محمد عليه الصلاة والسلام ، وذلك أنهم
 حرفوا نعت الرسول وصفته ، أو أنهم حرفوا الشرائع . كما حرفوا آية الرجم .
 وظاهر القرآن ، لا يدل على أنهم أى شىء حرفوا وعن ابن عباس :
 أنهم زادوا فيه ونقصوا » . (الرازى ج ١ ص ١٣٥)

أما الطبرى فيروى قولين في التحريف :

— المحرف هو التوراة ، وهو رأى السدى .
 — المحرف هو ما سمع من النبى صلى الله عليه وسلم ، وهو رأى
 الربيع .

(ثم يقول — أى الطبرى — وأولى التأويلين ، ما قاله الربيع بن أنس ،
 وأذى حكاه ابن اسحاق عن بعض أهل العلم : من أن الله تعالى ذكره : إنما
 عنى بذلك من سمع كلامه من بنى اسرائيل ، سماع موسى آياه ، ثم حرف ذلك
 وبدل فهو لاء الذين بين أظهركم من بقايا نسلهم ، أخرى أن يجحدوا
 ما أتيتهم به من الحق ، وهم لا يسمعون من الله ، وإنما يسمعون منكم .
 (الطبرى ج ٢ ص ٢٤٧ — ٢٤٨)

(ب) قال الله تعالى : « الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون
 أبناءهم ، وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون » . (البقرة : ١٤٦)

• • • • •
=

«يا اهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وانتم تعلمون»
(آل عمران : ٧١)

قال مجاهد : « ليكتمون الحق وهم يعلمون » : يكتُمون محمدا صلى الله عليه وسلم ، وهم يجتَونهُ مكتوبا عندهم ، في التوراة والانجيل .
(الطبري ج ٣ ص ١٤٦)

أما الرازي فيقول : لبس الحق بالباطل ، يحتل هنا وجوها :
أحدها : تحريف التوراة ، فيخلطون المنزل بالمحرف ، وهو رأى الحسن وابن زيد .

ثانيها : أنهم تواضعوا على اظهار الاسلام أول النهار ، ثم الرجوع عنه في آخر النهار ، تشكيكا للناس ، وهو رأى ابن عباس وقتادة .

ثالثها : أن يكون في التوراة ، ما يدل على نبوته صلى الله عليه وسلم ، من البشارة والنعمة ، والصفة ، ويكون في التوراة أيضا ، ما يوهم خلاف ذلك ، فيكون كالمحكم ، والمتشابه ، فيلبسون على الضعفاء أحد الأمرين بالآخر ، كما يفعله كثير من المشبهة وهذا قول القاضي .

رابعها : أنهم كانوا يقولون : إن محمدا معترف بأن موسى عليه السلام حق ، ثم إن التوراة دالة على أن شرع موسى عليه السلام لا ينسخ ، وكل ذلك القاء للشبهات .
(الرازي ج ٢ ص ٩٨ — ٩٩)

(ج) وقال تعالى : « **وان منهم لفريقا يلوون السنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون** » .
(آل عمران : ٧٨)

وان منهم لفريقا يلوون السنتهم بالكتاب :

عن مجاهد : يحرفونه .

وعن قتادة : هم أعداء الله اليهود ، حرفوا كتاب الله ، وابتدعوا فيه ، وزعموا أنه من عند الله .

وعن ابن عباس : هم اليهود ، وكانوا يزيدون في كتاب الله ، ما لم ينزل الله
(الطبري ج ٦ ص ٥٣٦)

=

أما الرازي فيقول : « كيف يمكن ادخال التحريف في التوراة مع شهرتها العظيمة بين الناس ؟ »

الجواب : لعله صدر هذا العمل عن نفر قليل يجوز عليهم التواطؤ على التحريف ثم انهم عرضوا ذلك المحرف على بعض العوام ، وعلى هذا انتقدير ، يكون هذا التحريف ممكنا ، والأصواب عندي في تفسير الآية وبوجه آخر ، وهو أن الآيات الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، كان يحتاج فيها الى تدقيق النظر ، وتأمل القتب ، والقوم كانوا يوردون عليها الأسئلة المشوشة ، والاعتراضات المظلمة ، فكانت نصير تلك الدلائل مشتبهة على السامعين . واليهود كانوا يقولون : مراد الله من هذه الآية ما ذكرناه لا ما ذكرتم ، فكان هذا هو المراد بالتحريف ، ولي السنة » .

(الرازي ج ٨ ص ١١٤)

(د) وقال تعالى : « من الذين هادوا يحرّفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع وراعنا ليا بالسنتهم وطعنا في الدين ، ولو أنهم قالوا سميعنا وأطعنا واسمع وانظرنا لكان خيرا لهم وأقوم ولكن لعنهم الله بكفرهم فلا يؤمنون الا قليلا » (النساء : ٦٦)

تناول الرازي — عند تفسير هذه الآية — كيفية التحريف ، فذكر أنها تحتيل وجوها : أحدها : أنهم كانوا يبدلون اللفظ بلفظ آخر ، مثل تحريفهم اسم « ربعة » عن موضعه في التوراة بوضعهم « آدم طويل » مكانه ، ونحو تحريفهم « الرجم » بوضعهم « الحد » بدله .

ونظيره قوله تعالى : « فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله » . (البقرة : ٧٩)

وان قيل : كيف يمكن هذا في الكتاب ، الذي بلغت آحاد حروفه وكلماته ، مبلغ التواتر المشهور في الشرق والغرب ؟

قلنا : لعله يقال : القوم كانوا قائلين ، والعلماء بالكتاب كانوا في غاية القلة فقدروا على هذا التحريف .

الثاني : أن المراد بالتحريف القاء الشبه الباطلة ، والتأويلات الفاسدة وتحريف اللفظ عن معناه انحق الى معنى باطل بوجوه الحيل اللفظية ، كما يفعله أهل البدعة في زماننا هذا بالآيات المخالفة لمذهبهم . وهذا هو الأصح .

الثالث : أنهم كانوا يدخلون على النبي صلى الله عليه وسلم ، ويسألونه عن أمر فيخبرهم ليأخذوا به ، وإذا خرجوا من عنده حرفوا كلامه .
(الرازي ج ١٠ ص ١١٧ — ١١٨)

(هـ) وقال تعالى : « فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية ، يحرفون الكلم عن مواضعه » .
(المائدة : ١٣)

قال أبو جعفر : يقول عز ذكره : وجعلنا قلوب هؤلاء الذين نقضوا عهدنا من بني إسرائيل قاسية ، منزوعا منها الخير ، مرفوعا منها التوفيق ، فلا يؤمنون ولا يهتدون فهم لنزع الله عز وجل التوفيق من قلوبهم ، والإيمان ، يحرفون كلام ربهم ، الذي أنزله على نبيهم موسى عليه السلام ، وهو التوراة ، فيبدلونه ، ويكتبون بأيديهم غير الذي أنزله الله جل وعز على نبيهم ، ثم يقولون لجهال الناس : « هذا هو كلام الله الذي أنزله على نبيه موسى عليه السلام ، والتوراة التي أوحاها إليه » .

كما حدثني المثنى عن ابن عباس : « يحرفون الكلم عن مواضعه » يعني حدود الله في التوراة ، ويقولون : إن أمركم محمد بما أنتم عليه فاقبلوه ، وإن خالفكم فاحذروا .
(الطبري ج ٦ ص ١٢٨ — ١٢٩)

وقال الرازي « . . . » ثم أنه تعالى ذكر بعض ما هو من نتائج تلك القسوة فقال : « يحرفون الكلم عن مواضعه » وهذا التحريف ، يحتمل التأويل الباطل ، ويحتمل تغيير اللفظ ، وقد بينا فيما تقدم ، أن الأول أولى ، لأن الكتاب المنقول بالتواتر ، لا يأتي فيه تغيير اللفظ ،
(الرازي ج ١١ ص ١٧٧)

(و) وقال تعالى : « يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم ، ومن الذين هادوا سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين لم يأتوك ، يحرفون الكلم من بعد مواضعه ، يقولون إن أوتيتم هذا فخذوه وإن لم توتيتم فاحذروا »
(المائدة : ٤١)

« وكان تحريفهم حكم الله تعالى ، الذي أنزله في التوراة في المحسنات والمحسنين من الزنا بالرجم ، إلى الجلد . . . » يقولون ليهود المدينة : « إن أوتيتم هذا الجلد ، فخذوه ، وإن لم توتيتم ، فاحذروا بالرجم » .
(الطبري ج ١٠ ص ٣١٣ — ٣١٥)

.

=

وجاء في تفسیر الرازی : « **يحرّفون الكلم من بعد مواضعه** » أي من بعد أن وضعه الله مواضعه ، أي فرض فروضه ، وأحلّ حلاله ، وحرم حرامه . قال المفسرون : أن رجلا وامرأة من أشراف خيبر زنيا ، وكان حد الزنا في التوراة الرجم ، فكرهت اليهود رجمهما لشرفهما ، فأرسلوا قوما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليسألوه عن حكمه في الزانيين إذا أحصنا ، وقالوا : أن أمركم بالجلد فاقبلوه وأن أمركم بالرجم فاحذروه ، ولا تقبلوا ، فلما سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك ، نزل جبريل بالرجم ، فنبؤا أن يأخذوا به ، فقال جبريل عليه السلام : اجعل بينكم وبينهم « ابن سوريا » . فقال الرسول : هل تعرفون شابا أمرد أبيض اعور ، يسكن فندك ، يقال له ابن سوريا ؟ قالوا : نعم ، وهو أعلم يهودي على وجه الأرض ، فرضوا به حكما ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم انشدك الله الذي لا إله إلا هو ، الذي فلق البحر لموسى ، ورفع فوئكم الطور ، وأنجلكم ، وأغرق آل فرعون ، والذي أنزل عليكم كتابه ، وحلاله وحرامه ، هل تجدون فيه الرجم على من أحصن ؟ قال ابن سوريا : نعم ، فوثبت عليه سفلة اليهود . فقال : خفت أن كذبت أن ينزل علينا العذاب إذا عرفت القصة فنقول : قوله « **يحرّفون الكلم من مواضعه** » أي وضعوا الجلد ، مكان الرجم . وقوله « **يقولون أن أوتيتم هذا فخذوه وإن لم تؤتوه فاحذروا** » أي أن أمركم محمد بالجلد فاقبلوا ، وأن أمركم بالرجم فلا تقبلوا » .

(الرازی ج ١١ ص ٢٣٢ — ٢٣٣)

ونستنتج مما تقدم — ضاربين الصفع عن فحص الروايات التي وردت في التفسير حتى لا نطيل على القارئ أكثر من هذا — أن العلماء اختلفوا في مفهوم التحريف :

- فالمحرف هو ما سمع من النبي صلى الله عليه وسلم .
- أو المحرف هو التوراة .

ثم تشعب الاتجاه الثاني إلى آراء :

- حرف اليهود التوراة بالزيادة والنقص فيها .
- أو وضعوا لفظا مكان آخر .

=

== — أو فهموا من النص معنى لا يستقيم مع منطوق اللفظ فأولوه تأويلا
باطلا بعيدا كل البعد عما يدل عليه مفهوم النص ، ويرى الرازي أن هذا
الرأى هو الأصح .

اهتم علماء الأديان ، والباحثون في علوم اللاهوت ، بدراسة الكتب
المقدسة تاريخيا ومنهجيا ، ومن أهم الفتايج ، التى توصل اليها بعضهم ،
الشك فى نسبة التوراة الى موسى عليه السلام ، اما لتأخر تدوينها عن عصره ،
أو للمعلومات الخاطئة ، والصورة المهزوزة ، التى يشتمل عليها النص ،
الموجود بين أيدينا . وكب فى ذلك كثير من علماء المسلمين (راجع : رحمة الله
الهندي ج ١ ص ٢١٧ — ٣٣٦) ، رجال اللاهوت المسيحيين واليهود ،
والمقام يحتم علينا الاستشهاد بما قاله غير المسلمين ، فهو أبلغ فى الدلالة ،
وأوقع فى نفس السامع . فاخترنا مقولة فيلسوف يهودى ، درس علم
اللاهوت ، وعلم الكلام ، بجانب دراسته الفلسفية ، ألا وهو « سبينوزا » .

يرى « سبينوزا » : أن الجميع — تقريبا — يعتقدون أن موسى قام
بتدوين الأسفار الخمسة — أى التوراة — الموجودة بين أيدينا ، « بل إن
الفريسيين أيدوا هذا الرأى باصرار شديد ، حتى أنهم عدوا من يظن خلاف
ذلك من المارقين . ولهذا السبب ، فان ابن عزرا — (هو إبراهيم بن عزرا ولد
سنة ١٠٩٢ أو سنة ١٠٩٣ وتوفى فى غرناطة سنة ١١٦٧ . وهو عالم وشاعر ،
ويبدو أنه أول شارح للتوراة ، شك فى نسبة الأسفار الخمسة ، الى موسى)
(S. Nölle S. 20) — لم يجرؤ على الانفصاح عن ذلك صراحة ، واكتفى
بالإشارة إليه ، بألفاظ مبهمه أما أنا — أى سبينوزا — فلن أخشى توضيحها ،
واظهار الحق ناصعا . هذه هى أقوال ابن عزرا ، فى شرحه على « التثنية » .

- فيما وراء نهر الأردن . الخ .
- لو كنت تعرف سر الاثنى عشرة . . .
- كتب موسى شريعته أيضا . . .
- وكان الكنعانى على الأرض . . .
- سيوحى به على جبل الله . . .
- ها هو ذا سريرى سرير من حديد .
- حينئذ تعرف الحقيقة .

بهذه الكلمات القليلة يبين ، ويثبت فى الوقت ذاته ، أن موسى ليس هو
==

مؤلف الأسفار الخمسة ، بل ان مؤلفها شخص آخر ، عاش بعده بزمان طويل ، وأن موسى كتب سفرًا مختلفًا . ولبرهنة على ذلك يذكر :

١ — أن موسى لم يكتب مقدمة التثنية لأنه لم يعبر نهر الأردن .

٢ — نقش سفر موسى كله بوضوح تام ، على حافة مذبح واحد (انظر التثنية ٢٧ ، يشوع ٨ : ٣٢) يتكون من اثني عشر حجرا ، حسب عدد الأحبار ، وينتج عن ذلك أن سفر موسى ، كان في حجمة أقل بكثير من الأسفار الخمسة ، وهذا ما يقصد اليه المؤلف بقوله : «سر الاثنى عشرة . .» .

٢ — كذلك يذكر ، أنه قد ورد في التثنية (٣١ : ٩) : «وقد كتب موسى هذه التوراة» .

ويستحيل أن يكون موسى ، قد قال ذلك ، بل لا بد أن يكون قائلها كاتب آخر يروى أقوال موسى وأعماله .

٤ — يذكر هذا النص من التكوين (١٢ : ١) وفيه يقص الراوى رحلة ابراهيم ، في بلاد الكنعانيين ، ويضيف : «والكنعانيون حينئذ في الأرض» .

وهذا يدل بوضوح على أن الأمر لم يعد كذلك ، عندما كان يكتب ، فلا بد أن هذه الكلمات ، قد كتبت بعد موت موسى ، وبعد أن طرد الكنعانيون ، ولم يعودوا يشغلون هذه المناطق . لأن الكنعانيين في زمان موسى ، كانوا لا يزالون يملكون هذه الأرض .

٥ — يذكر أنه جاء في التكوين (٢٢ : ١٤) : أن جبل موريا ، سمى جبل الله .

ولم يحمل هذا الاسم ، الا بعد الشروع في بناء المعبد ، وهذا الاختيار متأخر عن موسى في الزمان . والواقع أن موسى لا يشير إلى أى مكان اختاره الله ، بل انه تنبأ ، بأن الله سيختار بعد ذلك مكانا ، سيطلق عليه اسم الله .

٦ — وأخيرا يذكر أن التثنية «الاصحاح ٣» تدخل بعض الكلمات في الرواية الخاصة بعوج ملك باشان :

« ولقد بقى عوج ملك باشان وحده ، من بين العمالقة الآخرين ، وها هو سريره ، سرير من حديد ، هذا السرير الذى طوله ، تسعة أذرع ، الموجود في الرية عند أطفال آمون . . . » الخ .

هذه الاضافة تدل بوضوح تام ، على أن من كتب هذه الأسفار ، عاش بعد موسى بمدة طويلة ، طريقته في الحديث عن الأشياء ، طريقة مؤلف يروى قصصا قديمة جدا ، ويذكر بعض الآثار ، التي ما زالت باقية من هذا الزمن البعيد ، ليجعل كلامه موثوقة ، وفضلا عن ذلك ، فلا شك أنه لم يعثر على هذا السرير الحديدى الا في عصر داود الذى استولى على الربة كما يروى صموئيل الثانى (١٢ : ٢٩) وهكذا شرحنا فكر ابن عزرا ، وكذلك نصوص الأسفار الخمسة ، التي ذكرها ، لكي يثبت فكره هذا . ولكن يبدو أنه قد فاتته ، أن يذكر أهم الأمور ، اذ يمكن ابداء ملاحظات أخرى متعددة ، أكثر خطورة على الأسفار . فمثلا :

١ — لا يتحدث الكتاب عن موسى بضمير الغائب فحسب ، وانما يعطى عنه شهادات عديدة ، مثل :

تحدث الله مع موسى ، كان الله مع موسى وجها لوجه ، كان موسى رجلا حليما جدا ، أكثر من جميع الناس (العدد ١٢٥ : ٣) ، فسخط موسى على بوكلاء الجيش (العدد ٣١ : ١٤) ، موسى رجل الله (التثنية ١٣ : ١) ، لقد مات موسى خادم الله ، ولم يبق من بعد نبي في اسرائيل كموسى .

وعلى العكس ، يتحدث موسى ، ويقص أفعاله بضمير المتكلم في التثنية ، التي كتبت فيها الشريعة ، التي شرحها موسى للشعب ، والتي كتبها بنفسه ، فيقول :

كلمنى الرب (التثنية ٢ : ١ : ١٧ الخ) ، ورجوت الرب . . . الخ .

الا في آخر السفر ، حيث يستمر المؤرخ بعد أن نقل أقوال موسى ، ويحكى فيه روايته ، كيف أعطى موسى الشعب هذه الشريعة ، (التي شرحها) ، كتابة ، ثم أعطاهم تحذيرا أخيرا ، وبعد ذلك ، انتهت حياته .

كل ذلك — أعنى طريقة الكلام ، والشواهد ، ومجموع نصوص القصة كلها يدعو الى الاعتقاد :

بأن موسى لم يكتب هذه الأسفار ، بل كتبها شخص آخر .

٢ — يجب أن نذكر أيضا ، أن هذه الرواية لا تقص فقط موت موسى ، ودفنه ، وحزن الأيام الثلاثين للعبرانيين ، بل تروى أيضا أنه فاق جميع الأنبياء ، اذا قورن بالأنبياء ، الذين عاشوا بعده :

.

=

« ولم يقيم من بعد نبي في اسرائيل كموسى ، الذى عرفه الرب ، وجها لوجه » (التثنية ٣٤ : ١٠) .

هذه شهادة لم يكن من الممكن ، أن يدلى بها موسى نفسه ، أو شخص آخر أتى بعده مباشرة ، بل شخص عاش بعده بقرون عديدة ، لا سيما أن المؤرخ ، قد استعمل صيغة الفعل الماضى : « ولم يقيم من بعده نبي في اسرائيل » .

ويقول عن القبر : « ولم يعرف أحد قبره ، الى يومنا هذا » (التثنية ٣٤ : ٦) .

٣ — يجب أن نذكر أيضا ، أن بعض الأماكن لم تطلق عليها الأسماء ، التى عرفت بها في زمن موسى ، بل أطلقت عليها أسماء ، عرفت بعده بوقت طويل :

اذ يقال ان ابراهيم تابع اعداءه حتى دان (انظر ، التكوين ، ١٤ : ١٤) وهو اسم لم تأخذه المدينة التى تحمله الا بعد موت يشوع بمدة طويلة (انظر ، القضاة ١٨ : ٢٩) .

٤ — تمتد الروايات في بعض الأحيان ، الى ما بعد موت موسى ، فيروى في الخروج (١٦ : ٣٥) :

أن بنى اسرائيل ، اكلوا المن اربعين يوما ، حتى وصلوا الى ارض مسكونة ، على حدود بلاد كنعان ، اى حتى اللحظة التى يتحدث عنها سفر يشوع (٥ : ١٢) .

وكذلك يخبرنا سفر التكوين (١٦ : ٣١) :

« وهؤلاء الملوك الذين ملكوا في ارض ادوم ، قبل أن يملك ملك في بنى اسرائيل » .

ولا شك أن المؤرخ يتحدث عن الملوك ، الذين كانوا يحكمون الادوميين ، قبل أن يخضعهم داود لحكمه ، ويضع حاميات ضدهم في اديميا (انظر ، صمويل الثانى ٨ : ١٤) .

من هذه الملاحظات كلها ، يبدو واضحا وضوح النهار :

أن موسى لم يكتب الأسفار الخمسة ، بل كتبها شخص عاش بعد موسى بقرون عديدة .

=

ولكن لتبحث ، ان شئت ، بمزيد من الدقة في الأسفار ، التي كتبها موسى نفسه ، والمذكورة في الأسفار الخمسة .

فمن الثابت في « الخروج » (١٧ : ١٤) :

أن موسى كتب بأمر الله عن الحرب ضد عماليق ، ولا يقول لنا هذا الاصحاح نفسه ، أي سفر كتب ؟ بل ترد في « العدد » (٢١ : ١٤) إشارة الى سفر يسمى « حروب الرب » يحتوى ولا شك على قصة الحرب ضد عماليق ، وعلى كل أعمال اقامة المعسكرات (التي يشهد مؤلف الأسفار الخمسة في « العدد » (٢٣ : ٢) . بأن موسى قد عرضها كتابة) .

كما جاء في « الخروج » (٢١ : ١٤) : أن هناك سفر آخر ، يعرف باسم : « سفر العهد » :

قراه موسى أمام الاسرائيليين ، عندما عقدوا عهدا مع الله .

ولا يحتوى هذا السفر ، أو هذه الرسالة ، الا على أشياء قليلة ، أي أنه لا يحتوى الا على شرائع الله ، ووصاياه ، الموجودة في « الخروج » في الاصحاح ٢٠ الآية ٢٢ حتى الاصحاح ٢٤ .

ولا يمكن أن ينكر ذلك من يقرأ هذا الاصحاح المذكور بشيء من الفهم السليم ، ودون تحيز ، ففيه يرى أنه بمجرد أن عرف موسى رأى الشعب في العهد المبرم مع الله ، كتب على التو كلمات الله ووصاياه ، ثم قرأ أمام المجمع العام للشعب ، شروط العهد في الصباح ، بعد اقامة بعض الطقوس ، وبعد هذه القراءة ، دخل الشعب في هذا العهد ، بمحض رضاه ، بعد أن عرف الناس كلهم ، بلا شك هذه الشروط .

ونظرا الى ضيق الوقت ، الذي استغرقت كتابته العهد المبرم ، وكذلك نظرا الى طبيعة هذا العهد ، كان حتما ألا يحتوى هذا السفر ، أكثر مما قلناه الآن .

وأخيرا فمن الثابت :

أن موسى قد شرح جميع الشرائع ، التي سنّها في السنة الأربعين ، بعد الخروج من مصر (انظر التثنية ١ : ٥) .

وأخذ من الشعب وعدا جديدا ، بأن يظلوا خاضعين لهذه الشرائع (انظر التثنية ٢٩ : ١٤) .

ثم كتب سفرًا يحتوى على هذه الشرائع ، التى تشرح هذا العهد الجديد (انظر التثنية ٣١ : ٩) . وقد سُمى هذا السفر : « تورااة الله » .

وقد اُضيف اليه يشوع بعد ذلك بمدة طويلة ، رواية العهد ، الذى قطعته الشعب على نفسه من جديد فى أيامه ، وهو ثالث عهد ، يقيّمونه مع الله (انظر يشوع ٢٤ : ٢٥ - ٢٦) .

ولما لم يكن لدينا أى سفر يحتوى فى الوقت نفسه على عهد موسى وعهد يشوع ، فيجب أن نعترف ضرورة ، بأن هذا السفر قد فقد .
(سبينوزا ، ص ٢٦٦ وما بعدها)

يتساءل المرء — بعد أن تظهر أمامه هذه الحقيقة — عن السبب فى أن القرآن الكريم ، أشار الى ذلك اشارات خفيفة !

لماذا لم يكشف الأخطاء فى التوراة ، فيهاجمها بأسلوب واضح لا يحتمل التأويل ؟ والجواب :

أن أسلوب القرآن الكريم ، فى معالجة أخطاء التوراة ، يدل على أنه ليس من أعمال البشر ، بل هو منزل من عند الله ، الذى يعلم دقائق الأمور ، وأسرار الطبائع البشرية ، ذلك أنه لو أعلن مهاجمته للتوراة سافرة ، لكان ذلك أشبه بالمهاترات ، التى تتقاذفها الطوائف المتنازعة ، اذ يلقى كل التهمة على الآخر ، تحت تأثير العواطف الثائرة ، وغالبا ما يكون هذا الأسلوب بعيدا عن الاطار العلمى — حسب التعبير الحديث — وخارجا عن دائرة التفكير العقلى ، ولهذا ركز القرآن على ناحيتين هامتين :

(١) وحدانية الله ، فقد وضع هذه المسألة وضوحا لا لبس ، ولا غموض فيها ، بل وصل به الأمر أحيانا ، الى التهديد الشديد ، والوعيد لمن يشرك بالله ، واستعمل فى ذلك أبلغ العبارات ، وأوضحها : « **لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم ، قل فمن يملك من الله شيئا ان أراد ان يهلك المسيح ابن مريم وأمه وهن فى الأرض جميعا ، ولله ملك السموات والأرض وما بينهما ، يخلق ما يشاء ، والله على كل شيء قدير** » . (المائدة : ١٧)

« **لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة وما من اله الا الله واحد ، وان لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب اليم** » (المائدة : ٧٣)

[ما يظهر على يد رهبانهم من خوارق العادات]

فلو أنك تطالع جميع كتبنا ، وما كان لنا من الفضائل — وحتى [الى]
الآن — فان^(١) منا أقواما صالحين ، يوعون الآيات والبراهين ، ولكنهم
لا يظهرونها ، ، الا في وقت الحاجة اليها . ولو شاهدت نزول النور ،

(ب) اثبات أن محمدا رسول الله يتلقى الوحي من السماء :
« يا أيها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم فآمنوا خيرا لكم ، وان
تكفروا فان الله ما في السموات والأرض ، وكان الله عليما حكيما » .
(النساء : ١٧٠)

« قل يا أيها الناس اني رسول الله اليكم جميعا الذي له ملك السموات
والأرض ، لا اله الا هو يحيى ويميت ، فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي
يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون » (الأعراف : ١٥٨)

« وقال الذين كفروا ان هذا الا افك افتراه واعانه عليه قوم آخرون ،
فقد جاءوا ظلما وزورا . وقالوا اساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة
واصيلا . قل انزله الذي يعلم السر في السموات والأرض ، انه كان غفورا
رحيما » (الفرقان : ٤ — ٦)

« أفلا يتدبرون القرآن ، ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه
اختلافا كثيرا » (النساء : ٨٢)

فاذا نجحت الدعوة ، في اقناع الفرد ، بأن الله واحد ، وأن محمدا
رسول الله ، فاعتقد الانسان ، أن القرآن وحى من الله ، ثم يعد للتوراة —
والا لغيرها — وجود ، اذ تحل التشريعات القرآنية مكانها ، ويتخذها الفرد
منهاجا له ، في سلوكه وبقراءتها المجتمع قانونا ، ينظم شئون حياته كلها .
وحينئذ تصبح قضية التوراة عديمة الأهمية ، ويستوى ثبوت التحريف ، وعدم
ثبوته ، اذ هو يتعلق بشيء ، لم يعد يسارى المفعول في المجتمع الذي آمن :

— بوحدانية الله .

— وبأن محمدا صلى الله عليه وسلم ، أرسل الى الناس جميعا .
وبالقرآن وحيا منزلا من الله عليه .

(١) في ع : « فانه » .

الذى يأتينا ، فى كل سنة ، فى ليلة عيدنا الكبير [٠٠٠]^(١) ، لرأيت أمرا عجيبا وشيئا غريبا^(٢) .



(١) زاد فى ع : « أو يد الله التى كانت تظهر لنا فى كنيسة كانت لنا فى الأندلس » .

(٢) أظهر الله على يد عيسى عليه السلام ، معجزة احياء الموتى ، و ابراء الأكمه ، والابصر ، تأييدا له ، وبياننا لمن بعث فيهم ، بأنه رسول من عند الله . ولم يحدثنا القرآن الكريم ، عن رسول أحيى الموتى — مخالفا بذلك سنن الله فى خلقه — الا عيسى عليه السلام ، فهى منحة من الله أعطاها له ، لحكمة لا ندرك كنهها ، وإن عللها علماء الأديان بعلم شتى .

« وما كان لرسول أن يأتى بآية الا باذن الله » . (الرعد: ٣٨، غافر: ٧٨)

تلك كانت آية عيسى وحده ، دون غيره من الأنبياء ، فاذا لم يعطها الله الاحد منهم ، فأولى به ألا يعطيها ، لمن هم دون الأنبياء ، إذ لا فائدة فيها .

لكن يبدو أن طبيعة هذه المعجزة — أعنى احياء الموتى — أثرت على عقلية أتباع المسيح ، كما أثرت عليها ، ما قصه اليهود من المعجزات ، التى ايدهم الله بها ، فقد حاولوا — أى اليهود — أن يبينوا بذلك ، أن الطبيعة كلها مسيرة لمصلحتهم وحدهم ، بأمر من الاله ، الذى يعبدونه ، وذلك حتى يقتنعوا المعاصرين لهم ، من غير اليهود ، الذين يعبدون آلهة مفضورة كالشمس والنور والارض والماء والهواء . الخ وحتى يبينوا لهم ضعف هذه الآلهة ، وتقلبها ، أى تغيرها وخضوعها ، لاله غير منظور . وقد سر الناس بذلك ، الى حد أنهم ما زالوا حتى اليوم يصطنعون معجزات بخيالهم ، حتى يعتقد الآخرون ، أن الله قد فضلهم على الآخرين .

أثر هذا كله على رجال اللاهوت المسيحيين ، فاعتقدوا أنهم قادرون على الاتيان بخوارق العادات ، مستندين الى ما ورد فى الانجيل : « فالحق أقول لكم : لو كان لكم ايمان مثل حبة خردل لكنتم تقولون لهذا الجبل انتقل من هنا الى هناك فينتقل ولا يكون شيء غير ممكن لديكم » (متى ١٧ : ٢٠)

« لأنى الحق أقول لكم : ان من قال لهذا الجبل انتقل وانطرح فى البحر ولا يشك فى قلبه بل يؤمن أن ما يقوله يكون فمهما قال يكون له » .

(مرقس ١١ — ٢٣)

=

[الشبهة الثامنة]

وأنتم تقولون : ان في الجنة أكلا وشربا ونكاحا ، وجميع ذلك عندكم في الكتاب (١) الذي جاء به صاحب شريعتكم (٢) . ونحن ننكر جميع

== ثم تهادى الرهبان في الاغراق في هذه الفاحية ، فزعموا ان الله فضلهم على الآخرين ، باظهار خوارق العادات على أيديهم ، وشاع ذلك عنهم ، حتى طغى هذا الجانب على غيره ، وأصبحت هذه الظاهرة أمرا ملازما ، للدين المسيحي ، وطبيعة خاصة ، لدى من يقومون بالطقوس الدينية .

شاع هذا بين العامة — حتى صدقها أيضا عدد غير قليل من المسلمين — لانهم عاجزون فكريا ، عن التفريق بين الحقيقة ، والادعاء ويميلون — بفطريتهم البدائية — الى تصديق الخرافات .

لكن المحققين ، استطاعوا التوصل الى ما يكمن وراء هذه الاعمال ، التي ادعى القسيسون ، أنها معجزات ، أظهرها الله على أيديهم ، دليلا على صدقهم واتباعهم طريق الحق :

زعموا أن لديهم جدارا يبكى ، اذا تلى الانجيل أمامه ، ويوهمون العامة ، أنه يبكى لما يعلمه من أمر الانجيل .

وحقيقة الأمر ، أن في جفنه مجارى ، في غاية الدقة ، متصلة بزق مملوء ماء ، يعصره بعض الشماسة ، فيخرج الماء من المجارى ، ويتصل بالمنافذ ، التي رسموها ، على هيئة عيون ، فنسيل « دموعا » ، فيراها الخاص والعام ، ومن لا يعرف سرها ، وعنده استعداد التصديق بمنزل هذه الخوارق ، يعتقد أنها معجزة ، تدل على أن الاناجيل التي بأيديهم صحيحة .

وشنبيه بذلك تلك الأصنام ، التي كانوا يصنعونها ، على هيئة امرأة يخرج اللبن من أثدائها ، عند قراءة الانجيل أمامها .

أما حقيقة النور ، الذي يروونه في بيت المقدس ليلة عيدهم ، فليس الا إحدى الحيل ، التي برعوا فيها ، بينها المؤلف في رده ، كما بين حقيقة « يد الله » التي تمتد لهم في يوم معلوم من السنة .

(١) في ج : « وجميع ذلك عندكم هو مكتوب في الكتاب » . وفي ع : « وجميع ذلك هو عندكم مكتوب في الكتاب » .

(٢) يشير الى قوله تعالى : « ان اصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون »

=

ذلك^(١) ، ولا يمكن بوجه من الوجوه [وقوعه] عندنا ، ذلك
أننا^(٢) إذا حشرنا يوم القيامة ، حشرنا بأجسادنا ونفوسنا ، ولكن
لا نأكل [هناك] ولا نشرب^(٣) .

هم وأزواجهم في ظلال على الأرائك متكئون . لهم فيها فاكهة ولهم ما يدعون» .
(يس : ٥٥ — ٥٧)
وقوله : « مثل الجنة التي وعد المتقون ، فيها أنهار من ماء غير آسن
وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل
مصنّى ، ولهم فيها من كل الثمرات » (محمد : ١٥)

وقوله : « في جنات النعيم . ثلة من الأولين . وقليل من الآخرين . على
سرر موضونة . متكئين عليها متقابلين . يطوف عليهم ولدان مخلدون . باكبواب
وأباريق وكأس من معين . لا يصدعون عنها ولا ينزفون » ، وفاكهة مما يتخيرون .
ولحم طير مما يشتهون . وحور عِين . كامثال اللؤلؤ المكنون » جزاء بما كانوا
يعملون » . (الواقعة : ١٢ — ٢٤)

(١) استنادا الى ما جاء في الانجيل «لوجاء اليه قوم من الصدوقيين الذين
يقولون ليس قيامة وسألوه قائلين : يا معلم كتب لنا موسى ان مات لأحد
أخ وترك امرأة ولم يخلف أولادا أن يأخذ أخوه امرأة ويقم نسلأ لأخيه . فكان
سبعة أخوة أخذ الأول امرأة ومات ولم يترك نسلأ فأخذها الثاني ومات ولم
يترك هو أيضا نسلأ . وهكذا الثالث . فأخذها السبعة ولم يتركوا نسلأ .
وآخر الكل ماتت المرأة أيضا . ففي القيامة متى قاموا لمن منهم تكون زوجة .
لأنها كانت زوجة للسبعة . فاجاب يسوع وقال لهم : اليس لهذا تضلون
اذ لا تعرفون الكتب ولا قوة الله لأنهم متى قاموا من الأموات لا يزوجون
ولا يزوجون بل يكونون كملائكة في السموات » .

(مرقس : ١٢ : ١٨ — ٢٥)

(٢) في ج : ت : « ذلك إلا أنا » .

(٣) لم يرد في التوراة (الموجودة بين أيدينا) ذكر للدار الآخرة ، فلم
نوعد اليهود بشيء مقابل طاعتهم ، الا باستمرار دولتهم ، التي يسعدون بها
وبنعيم الدنيا ، وفي مقابل ذلك فانها أنذرتهم بسقوط الدولة ، وبإفدح المصائب
لو أنهم عصوا الميثاق ونقضوه .

وكما أن غاية كل مجتمع ، وكل دولة ، هي العيش في أمن ، والجصول

=

=
على مزايا معينة ، فان الوعود ، التى نجدها فى التوراه — مقابل المحافظة على الشريعة — لم تكن سوى الأمن فى الحياة ، والنعم المادية ، وعلى العكس من ذلك ، فلم يتنبأ لهم بعذاب أكيد مقابل عصيانهم سوى انهيار الدولة ، وما ينتج عن ذلك عادة من الشرور ، وكذلك بعض المصائب التى تحل بهم خاصة ، وذلك نتيجة لانهاير دولتهم . (انظر : سبينوزا ص ١٧٧)

فاذا نظرنا فى العقوبات ، والمكافآت التى تحدثت عنها التوراة ، نجد أنها تتعلق بأشياء مادية ، وينالها المرء — سواء أكانت عقوبة أو جزاء — فى الحياة الدنيا ، فحين توجه الله سبحانه ، الى الأسرة الانسانية الأولى ، بشأن الفاكهة المحرمة ، قال : « وأما ثمر الشجرة التى فى وسط الجنة فقال الله : لا تأكلوا منه ولا تمسوا ، أثلا تهوتا » (تكوين ٣ : ٣)

وحين خاطب ولدها الأكبر قابيل ، قاتل أخيه هابيل ، قال : « فالآن ملعون أنت من الأرض التى فتحت فاهها ، لتقبل دم أخيك من يدك . متى عملت الأرض لا تعود تعطيك قوتها » (تكوين ٤ : ١١ — ١٢)

وعندما فسدت الأرض بعد ذلك بحين من الدهر ، فعوقبت بالطوفان ، بارك الله نوحا وبنيه ، فقال : « أثمروا ، واكثروا ، واملأوا الأرض » (تكوين ٩ : ١)

وقوبل اذعان ابراهيم ، للارادة الالهية ، حيث أطاع الله ، فهم بذبح ابنه ، بورك بالخيرات الأرضية ، على سبيل الثواب : « بذاتى أقسمت يقول الرب ، انى من أجل أنك فعلت هذا الأمر ، ولم تمسك ابنك وحيدك أباركك بمباركة ، وأكثر نسلك كثيرا كنجوم السماء ، وكالرمال الذى على شاطئ البحر . ويرث نسلك باب أعدائه » (تكوين ٢٣ : ١٦ — ١٧)

منذ ذلك الحين أصبحت هذه الأفكار مألوفة لدى ذرية ابراهيم ، فهى تعد صيغة السلام والمباركة ، فان اسحاق يبارك يعقوب بهذه الكلمات :

« فليعطك الله من ندى السماء . ومن دسم الأرض . وكثرة حنطة وخمر . ليستعبد لك شعوب ، وتسجد لك قبائل » (تكوين ٢٧ : ٨ — ٩)

ويقول الرب أيضا لاسرائيل (يعقوب) : « أثمروا ، واكثر ، أمة ، وجماعة »

==
أمم تكون منك • وملوك سيخرجون من صلبك • والأرض التي أعطيت إبراهيم
واسحاق لك أعطيها ، ولنسلك من بعدك أعطى الأرض » •
(تكوين ٣٥ : ١١ — ١٢)

فإذا وصلنا الى موسى ، وجدناه ، يركز على تنمية نفس الهدف ، ليعظ
أبناء إسرائيل ، وهو ينقل اليهم الدعوة الالهية ، ليحملهم على الايمان بها :

« وتعبدون الرب الهكم • فيبارك خبزك ، وماءك ، وأزيل المرض
من بينكم • لا تكون مسقطه ولا عاقر في أرضك • وأكمل عدد أيامك أرسل
هيئتي أمامك ، وأزعج جميع الشعوب الذين تأتي عليهم ، وأعطيك جميع
أعدائك مدبرين • وأرسل أمامك الزنابير • فتطرد الحوابين والكنعانيين ،
والحثيين من أمامك • لا أطردهم من أمامك في سنة واحدة لئلا تصير الأرض
خربة فتكثر عليك وحوش البرية ، قليلا قليلا أطردهم من أمامك الى أن تثمر
وتملك الأرض .. » (خروج ٢٣ : ٢٥ — ٣٠) •

ويتول الرب لهم في موضع آخر : « اذا سلكنكم في فرائضي ، وحفظتم
وصاياي ، وعملتكم بها ، أعطى مطركم في حينه ، وتعطى الأرض غلتها ، وتعطى
اشجار الحقل اثمارها • ويلحق دراسكم بالقطاف ، ويلحق القطاف بالزرع ،
فتأكلون خبزكم للشبع ، وتسكنون في أرضكم آمنين • واجعل سلاما في
الأرض ، فتنامون وليس من يزعجكم • وأبيد الوحوش الرديئة من الأرض ،
ولا يعبر سيف في أرضكم • وتطردون أعداءكم فيسقطون أمامكم بالسيف ،
يطرد خمسة منكم مئة ، ومئة منكم يطردون ربوة ، ويسقط أعداؤكم أمامكم
بالسيف • والتفت اليكم وأثمركم ، واكثركم ، وافى ميثاقى معكم • فتأكلون
العتيق المعتق ، وتخرجون العتيق من وجه الجديد • واجعل مسكنى في وسطكم ،
ولا تزلكنكم نفسى • وأسبر بينكم ، وأكون لكم الها ، وأنتم تكونون لى شعبا •
انا الرب الهكم الذى اخرجكم من أرض مصر ، من كونكم لهم عبيدا ، وقطع
قيود نيركم وسيركم قياما • لكن ان لم تسمعوا لى ولم تعملوا كل هذه الوصايا ،
وان رفضتم فرائضى ، وكرهت أنفسكم أحكامى ، فما عملتكم كل وصاياي ، بل
نكلنم ميثاقى • فانى أعمل هذه بكم • أسلط عليكم رعبا ، وسلا وحمى تنفسى
العينين ، وتلف النفس ، وتزرعون باطلا زرعكم ، فيأكله أعداؤكم واجعل
وجهى ضدكم ، فتنهزمون أمام أعدائكم ، وينسلط عليكم مبغضوكم ، وتهربون
وليس من بطركم » •
(لاويين ٢٦ : ٣ — ١٧)

==

ويقول في موضع آخر : «وهن أجل أنكم تسمعون هذه الأحكام، وتحفظون، ونعملونها ، يحفظ لك الرب الهك العهد ، والاحسان للذين أقسم لأبائك ويحبك ويباركك ، ويكثر ويبارك ثمرة بطنك ، وثمره أرضك ، قمحك ، وخمرك ، وزيتك ونتاج بقرك ، واثاث غنمك ، على الأرض ، التي أقسم لأبائك أنه يعطيك إياها ، مباركاً تكون فوق جميع الشعوب ، لا يكون عقيم ولا عاقر فيك ، ولا في بهائمك ، ويرد الرب عنك كل مرض وكل أدواء مصر الرديئة ، التي عرفتتها ، لا يضعها عليك ، بل يجعلها على كل مبغضيك ، وتأكل كل الشعوب ، الذين الرب الهك يدفع اليك » (تثنية ٧ : ١٢ - ١٦ ، وانظر كذلك الاصحاح الحادى عشر : ١٣ وما بعدها) .

فهى فكرة واحدة ، استولت على عقلية بنى اسرائيل .

عقاب وصورته : قحط ، هلاك ، ذلة ، عار ، استعباد الأعداء لهم .
وجزاء ، وصورته : زيادة فى غلة الأرض وثمراتها ، ووفرة فى نتاج البهائم ، وزيادة فى نسلهم ، نصر على أعدائهم .

ولا تتحدث التوراة عن ثواب أو عقاب فى الدار الآخرة ، بل لم يرد لها ذكر على الإطلاق ، والمسكن الذى ورد فى قول موسى : « ترشد برأفتك الشعب الذى فديته ، تهديه بقوتك ، الى مسكن قدسك » . (الخروج ١٥ : ١٣)

فليس المراد به جنة فى الدار الآخرة ، بل هى الأرض الموعودة وراء نهر الأردن وهى بلد الكنعانيين ، يؤيد ذلك ما جاء فى فقرة أخرى : « بل المكان الذى يختاره الرب الالهكم من جميع أسباطكم ليضع اسمه ، فيه سكناه ، تطلبون ، والى هناك تأتون ، وتقدمون الى هناك محرقاتكم ، وذبائحكم ، وعشوركم ، ورفائع أيديكم ، ونذوركم ، ونوافلكم ، وأبكار بقركم وغنمكم » . (تثنية ١٢ : ٥ - ٦) .

وهكذا لا نصادف ، منذ آدم ، حتى موسى ، الى آخر عهده ، أية اشارة ، فى أى مكان ، الى حياة بعد الموت ، كأنها لم يكن لعقيدة الحياة الأخرى مكان فى أديانهم .

غير أن القرآن الكريم يحدثنا أن موسى — وكذلك إبراهيم — ذكر لهم الدار الآخرة ، وأنبأهم بالبعث بعد الموت ، فإبراهيم يدعو الله قائلاً : « ولا تخزنى يوم يبعثون » . (الشعراء : ٨٧)

==
وموسى يتوسل الى الله قائلا : « واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة انا هدنا اليك » .

كذلك ، أُنذِرهم الله بيوم الآخرة ، حيث لا ينفع المرء الا ما قدمت يده في هذه الحياة الدنيا ، قال تعالى مخاطبا بنى اسرائيل : « وانتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل ولا هم ينصرون » (البقرة : ٤٨)

لم يرد في التوراة الموجودة بين أيدينا ، ذكر لهذه المعانى ، التى تحدث بها القرآن عن لسان أنبيائهم ، لأنها ليست نورا موسى ، بل ألفها رجل آخر عاش في عصر متأخر عن موسى بزمان بعيد — كما سبق بيان ذلك — ، عصر كان اليهود فيه أذلاء ، مستعبدين ، يتوقون الى الحرية ، ويحلمون بالثروة ، ويتمنون اليوم الذى يستطيعون فيه الانتقام من أعدائهم ، الذين يسومونهم سوء العذاب ، فعبّر الكاتب عن آمالهم ، وآلامهم ، وخطيئهم بالأفكار ، والقصص الدينية ، التى كانت تتناقلها الأفواه آنذاك ، فجاءت على هذه الحالة ، خالية من الاشارة الى الدار الآخرة ، لأن ظروفهم الاجتماعية ، والسياسية كانت قاسية عليهم ، فلم يكونوا يفكرون الا فى الخلاص من المآسى المحدقة بهم .

وإذا تصفحنا الأسفار التى عاش « مؤلفها » بعد فترة الأسر ، حيث اتصل اليهود بالاييرانيين ، أتباع زرادشت ، نجد فيها اشارات الى الحياة الأخرى بما فيها من ثواب وعقاب (انظر أشعيا اصحاح ٤٠ : ٦٦ ، وحزقيال اصحاح ٤٦ : ٤٨) .

ولعل أوضحها ما جاء فى سفر دانيال : « وكثيرون من الراقدين فى تراب الأرض يستيقظون ، هؤلاء الى الحياة الأبدية وهؤلاء الى العار للأبداء الأبدى » . (دانيال ١٢ : ٢ — ٣)

أما العهد الجديد ، فقد اشتمل على نصوص عديدة ، تشير الى الجزاء الأخرى ، فإذا قلبنا صفحاته ، فلسوف نستمع الى نغمة جديدة كل الجدة ، لم توجد فى العهد القديم ، هنا يحس القارئ بأنه انتقل من طرف ، الى أقصى طرف مقابل له .

نجد فكرة دينية ، تدعو الى أن صلاتنا بالعالم الراهن ، بكل ما فيها

من غنى ، وعظمة سوف تنقطع ، فهي بالنسبة اليها قيود ، ينبغي أن نتحرر منها ، نظراتنا لا تعود منبته على الأرض ، تنتظر النمار ، والزرع ، بل أنها دائماً موجهة الى السماء . قال المسيح لأحد المؤمنين الجدد : « أن أردت أن تكون كاملاً ، فاذهب ، وبع أملكك ، وأعط الفقراء فيكون لك كنز في السماء ، وتعال اتبعنى » . (متى ١٩ : ٢١ ومرقص ١٠ : ٣٤)

وقال لتلاميذه : « فلا تطلبوا أنتم ما تأكلون ، وما تشربون ، ولا تقلقوا . فإن هذه كلها تطلبها أمم العالم . وأما أنتم ، فأبوكم يعلم أنكم تحتاجون في هذه . بل اطلبوا ملكوت الله ، وهذه كلها تزداد لكم . لا تخف أيها القطيع الصغير ، لأن أباكم ، قد سر أن يعطيكم الملكوت . بيعوا مالككم ، وأعطوا صدقة . اعملوا لكم أكياساً لا تفنى ، وكنزاً لا ينفد في السموات ، حيث لا يقرب سارق ، ولا يبلى سوس . لأنه حيث يكون كنزكم هناك ، يكون قلوبكم أيضاً » . (لوقا ١٢ : ٢٩ — ٣٤)

هذه التعاليم ذاتها ، قدمها كذلك تلاميذ المسيح في وعظهم ، وفي رسائلهم انى الذين دعوهم الى التمسك بالمسيحية دينا . كتب « بولس » في رسالته الى « تيموثاوس » : « أوص الأغنياء في الدهر الحاضر ، أن لا يستكبروا ، ولا يلقوا رجاءهم على غير يقينية الفنى ، بل على الله الحى ، الذى يمنحنا كل شيء بغنى للمتعة . وأن يصنعوا صلاحاً ، وأن يكونوا أغنياء في أعمال صالحة ، وأن يكونوا أسخياء في العطاء كرماء في التوزيع ، مدخرين لأنفسهم أساساً حسناً للمستقبل ، لكي يمسكوا بالحياة الأبدية » .

(رسالة بولس الأولى الى « تيموثاوس » ٦ : ١٧ — ١٩)

وقال يوحنا : « لا تحبوا العالم ، ولا الأشياء التى في العالم . أن أحب أحد العالم ، فأبست فيه محبة الآب . لأن كل ما في العالم شهوة الجسد وشهوة العيون ، وتعظيم المعيشة ليس من الآب ، بل من العالم . والعالم يمضى وشهوته ، وأما الذى يصنع مشيئة الله فيثبت الى الأبد . أيها الأولاد هبى الساعة الأخيرة وهذا هو الموعد الذى وعدنا هو به الحياة الأبدية » . (رسالة يوحنا الأولى ٢ : ١٥ — ٢٥)

وهكذا نجد أن الانجيل يجعل أهل المؤمنين دائماً هو الجزء في الآخرة ، في حياة ما بعد الموت ، على العكس من العهد القديم الذى ركز على تحقيق ما يعد المؤمنين به من ثواب وما ينذرهم من عقاب ، في الحياة الدنيا ، ولا نجد هذا الاتجاه في الانجيل الا في مواضع قليلة :

١ — في فقرة واحدة في الانجيل حيث وعد المسيح بمكافأة مزدوجة في الحياة المقبلة ، وفي هذه الحياة (مرقس ١٠ : ٣٠) غير أن ذكر الجزاء الدنيا في هذه النقطة لم يأت في انجيل متى (انظر متى ١٩ : ٢٩) .

٢ — في فقرات متعددة عند « بولس » ، حيث وعد الأولاد المطيعين بالأعمار الطوال في رسالته الى أهل « أفسس » ، الاصحاح السادس فقرة رقم ثلاثة ، كذلك وعد عامة الناس ، بأن يزيدهم الله كل نعمة « مادية » ، لكي يكونوا ولهم كل اكتفاء ، كل حين في كل شيء يزدادون ، في كل عمل صالح ، فيعطوا المساكن (رسالته الثانية الى أهل «كورنثوس» ٩ : ٨ — ١١) . وفي رسالته الأولى الى أهل « كورنثوس » ١١ : ٢٩ — ٣٠ ، فسر كثرة الوفيات ، والعدد الكبير من المرضى والضعفاء ، بالاخلال ببعض الواجب الديني .

* * *

أما منهج التعليم القرآني ، فيبين للناس صورة مركبة مزدوجة ، تستهدف الحياة الدنيا ، والحياة الأخرى معا ، وتعلن للإنسان بأن عليه أن يتقبل في كلتا الحياتين ، الثمن الأخلاقي ، والبدني ، والروحي ، لما قدمت يداه ، أن خيرا فخير ، وإن شبرا فشر ، ففي الصالحين يقول سبحانه : « ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار » .

(البقرة ٢٠١ ، ثم اقرأ الآيات : ١٤٨ آل عمران ، و ١٣٤ النساء ، و ٥٦ ، ٥٧ يوسف ، و ٣٠ ، ٤١ ، ٩٧ ، ١٢٢ النحل ، ٢٧ العنكبوت ، و ٣١ فصلت) ..

ويقول سبحانه في الطالحين : « أفترءون لبعض الكتاب وتكفرون ببعض ، فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزي في الحياة الدنيا ، ويوم القيامة يردون الى أشد العذاب ، وما الله بغافل عما تعملون » .

(البقرة ٨٥ ، ثم اقرأ الآيات : ١١٤ البقرة ، و ١٢ ، ٥٦ آل عمران ، و ٤١ المائدة ، و ٧٤ التوبة ، و ٧٥ الاسراء ، و ٩ ، ١١ الحج ، و ١٩ النور ، و ٢١ السجدة ، و ٤٠ الزمر ، و ١٦ فصلت ، و ٢٥ نوح) ..

وليس المفهوم المادي للجزاء الأخرى إسلامي النوع ، بل هو عنصر مشترك بين جميع الأخلاق الدينية ، التي تعترف للناس بحياة أخرى ، سوف يجتمع فيها البدن والروح من جديد ، بعد أن يكونا قد انفصلا مؤقتا بالموت ، يجتمعان ليتلقيا معا ثوابا خالدا ، أو عقابا أبديا .

ولما كان المسيح قد تحدث عن حياة أخرى بعد الموت — على عكس ما جاء في العهد القديم — فالمسيحيون يعتقدون ، بأن الله سيثيب الانسان على ما قدم من عمل صالح ، ويعاقبه على ما اقترف من سيئات ، وليس بلازم أن يكون ذلك في الدنيا — فمن لم ينل ثوابه وكذلك من لم يعاقب على ما ارتكب — في الدنيا ، سيأخذه لا محالة يوم الحساب : ((متى ٢٥ : ٤٦)) عذاب أبدى ، والأبرار الى حياة أبدية)) .

غير أن علماء العقيدة المسيحية ، اختلفوا في كيفية الحياة في الدار الآخرة : فريق يرى أنها ستكون بلا أكل ولا شرب ، ولا نكاح ، مستدلين بما ورد في انجيل مرقس ١٢ : ١٨ — ٢٥ ، وعليه فلن يكون هناك نبات ، ولا حيوان ، اذ خلقهما الله في الدنيا ، لسد احتياج الانسان ، فلما انتفت الحاجة ، لزم عدم اعادة خلقهما ، ويؤولون ما يفيد ذلك .

ويرى جمهورهم أن الحياة الأخرى ، ستكون مثل الحياة الدنيا ، فيها أكل وشرب ، ونكاح . الخ . وهذه هي القاعدة العامة لدى الكنيسة ، اذ يعلم آباء الكنيسة وفقهاؤها أنبأهم عقيدة بعث الجسد ، وعقيدة اشتراكه مع الروح في الجزاء ، وهما عقيدتان ، قائمتين على أساس متين من تعاليم السيد المسيح ، والدعاة فقد قال يسوع لحواريه : ((ولا تخافوا من الذين يقتلون الجسد ، ولكن النفس لا يقدر أن يقتلوا ، بل خافوا بالحرى من الذى يقدر أن يهلك النفس والجسد كليهما في جهنم)) . (متى ١٠ : ٢٨)

وقال أيضا : ((يرسل ابن الانسان ملائكته فيجمعون من ملكوته جميع المعثر ، وفاعلى الآثم . ويطرحونهم في أتون النار . هناك يكون البكاء وصرير الأسنان)) . (متى ١٣ : ٤١ — ٤٢)

وكثيرا ما صور جهنم على أنها : ((الى النار التى لا تطفأ)) . حيث دودهم لا يهوت ، والنار لا تطفأ)) (مرقس ٩ : ٤٣ — ٤٤ ، ٤٨)

ويصرخ الفتى الخبيث ، الذى كان يلبس الأرجون ، والبز مترفها ، ولم يكن يتصدق على المسكين « لعازر » حتى مات جوعا ، يصرخ وهو في عذاب جهنم قائلا : ((يا أبى ابراهيم ! ارحمنى ، وأرسل « لعازر » ليليل طرف اصبعه بماء ويبرد لسانى ، لأنى معذب في هذا اللهب)) . (لوقا ١٦ : ٢٤)

ونقرأ في رؤيا القديس يوحنا اللاهوتى : ((وأما الخائفون ، وغير المؤمنين ،

والرجسون ، والقائلون ، والزناة ، والسحرة ، وعبداء الأوثان ، وجميع الكلبة ، فنصيبهم في البحيرة المتقدة بنار وكبريت » . (٢١ : ٨)

وعلى الرغم من أن الكنيسة لم تقل شيئا عن طبيعة النار ، فانها تقرر انها نار واقعية ، لها سماتها من ، اللهب ، والجمر ، والاور الذي لا يخبث . الخ .

ومع أن الاشارة الى الجنة ، كانت أقل ترديدا في العهد الجديد من موضوع النار ، فانها تحمل كثيرا طابع السعادة الحسية ، بجانب السعادة الروحية .

ولقد رأينا آنفا توسلات الفتى الخبيث ، يلتهم قليلا من الماء ليل لسانه . ولذلك يقرر يسوع في أكثر المبارات صراحة وعموما : « وأنا أجعل لكم كما جعل لى أبى ملكوتا . لتأكلوا وتشربوا على مائدتى في ملكوتى ، وتجلسوا على كراسى تدينون اسباط اسرائيل الاثنى عشر » .

(لوقا ٢٢ : ٢٩ — ٣٠)

وقال أيضا للذى دعاه : « اذا صنعت غداء أو عشاء فلا تدع أصدقاءك ولا أخوتك ولا أقرباك ، ولا الجيران الأغنياء ، لئلا يدعوك هم أيضا ، فتكون لك مكافأة . بل اذا صنعت ضيافة فادع المساكين ، الجدد ، العرج ، العمى ، فيكون لك الطوبى ، اذ ليس لهم حتى يكافوك . لأنك تكافى . في قيامة الأبرار » . (لوقا ١٤ : ١٢ — ١٤)

وأكثر من ذلك تحديدا أيضا قوله في آخر اجتماع له مع حواربيه : « وأقول لكم : انى من الآن لا اشرب من نتاج الكرمة هذا الى ذلك اليوم حينما اشربه معكم جيذا في ملكوت أبى » .

(متى ٢٦ : ٢٩ ، ومرقس ١٤ : ٢٥ ، ولوقا ٢٢ : ١٨)

بيد أن الجانب الحسى من نعيم الجنة أكثر ظهورا في رؤيا القديس يوحنا : « من يغلب فسأعطيه أن يأكل من شجرة الحياة التى في وسط فردوس الله » . (٧ : ٢)

« من يغلب فذلك سيلبس ثيابا بيضا » . (٣ : ٥)

« لن يجرعوا بعد ، ولن يعطشوا بعد ، ولا تقع عليهم الشمس ولا شيء من الحر » . (٧ : ١٦)

=

[المـثـبـهـة التـاسـعـة]

ودين الصليب فشأ (١) في الأرض دون سيف ولا قهر ، ودينكم إنما
ظهر بالسيف ، والقهر في الأرض (٢) .

=
وبهذا يتبين خطأ ما ذهب اليه القسيس من أن المسيحية تنكر النعيم
المادى فى الحياة الأخرى .

(١) فى ج : « فشاء » بهمزة .

(٢) هذا ما يردده أعداء الاسلام ، منذ بدء فترة الدفاع المسلح عن
العقيدة الى اليوم ، اذ مازلنا نسمع من المستشرقين ، ومن يدور فى فلـكـهم
من ضعاف النفوس ، أن المسيحية تنكر القتال ، بينما دعا الاسلام الى
انـحـرـب ، والى الجهاد فى سبيل الله أى الى اكراه الناس بالسيف على
الدخول فى الاسلام ، وهذا هو التعصب بعينه ، وغاب عن هؤلاء
الحقائق التالية :

أولاً : نص القرآن الكريم فى مواضع عدة ، على أنه لا اكراه فى الدين
يقول تعالى : « لا اكراه فى الدين ، قد تبين الرشد من الغى » (البقرة : ٢٥٦)

ويقول : « ولو شاء ربك لآمن من فى الأرض كلهم جميعاً ، أفأنت تكره
الناس حتى يكونوا مؤمنين » . (يونس : ٩٩)

ويقول : « فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر » . (الكهف : ٢٩)

ويقول : « فذكر انهما أنت مذكر . ليست عليهم بمسيطر » .
(الفاشية : ٢١ ، ٢٢)

فالاسلام لا يجيز الأحد — ولو كان النبى نفسه — أن يجبر انسانا على
الدخول فى الاسلام .

ثانياً : يمتاز الانسان عن الحيوان ، بالقدرة على التفكير ، ومن خصائص
هذا التفكير ، ميل الانسان الى الحرية فى التعبير عن آرائه ، وفى اعتناق ما يراه
موافقا لطبيعته ، فاذا ما منع من هذا بقوة السلاح ، فان من الطبيعى أن
=

يدافع عن رأيه بالوسائل ، التي يقاتله بها من يريدون كبت حريته ، فان أراد أحد أن يفتن آخر عن عقيدته ، مستعملا الدعاية والمنطق ، دون اللجوء على حمله على ترك عقيدته بالقوة ، لم يكن للمؤمن أن يدافع عن عقيدته ، إلا بالحجة والمنطق ، أما إذا أجبر بقوة السلاح ، لم يكن له من سبيل إلا حمل السلاح أيضا ، للدفاع عن عقيدته ، لأنها أثمن شيء عند من يفهمون معنى الانسانية فهي أثمن من المال والجاه بل أغلى من الحياة نفسها ، وقد أدرك هذا المسلمون الأولون ، فدفعوا حياتهم ثمنا للدفاع عن عقيدتهم ، وتلك سنة الله في خلقه .

« ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض » (البقرة : ٢٥١)

« ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ، وينصرون الله من ينصره ، ان الله لقوى عزيز » (الحج : ٤٠)

ولو لم يقاتل المسلمون لحكم عليهم التاريخ بأنهم أذلوا ، وأهينوا ، فرضوا بالذل ، والهوان ، وتلك سبة تابها الطبيعة الانسانية ، ولما كان الاسلام موافقا — في تعاليمه وشرائعه — لهذه الطبيعة ، لم يرض لاتباعه أن يتصفوا بهذه النقيصة . وعليه فلم يحمل المسلمون السلاح . لا جبار أحد على التخول في دينهم ، بل كان للدفاع عن أثمن شيء لديهم ، ألا وهي حرية ممارسة ما تمليه عليهم عقيدتهم .

ثالثا : يعقد اعداء الاسلام مقارنة بين محمد وعيسى عليهما السلام ، مدعين أن عيسى لم يقاتل أحدا ، بينما قاد محمد معارك كثيرة ، ضد من وقفوا في سبيل دعوته وينسى هؤلاء أن عيسى استمر ثلاث سنوات فقط يدعو الى دينه بدون قتال ، ومكث محمد ثلاث عشرة سنة يتلقى اذى قريش ، دون أن يحمل انسلح فأى المدين أطول !!

أضف الى ذلك أن عيسى قال أثناء هذه المدة القصير : « ما جئت لألقى سلاما بل سيفا » (متى : ١٠ : ٣٤)

بينما لم يذكر محمد في العهد المكي — وهو ثلاث عشرة سنة — شيئا

عن القتال ، فأيهما كان — بصرف النظر عن كون ما يتلقيناه وحيا — أشد ميلا الى السلم ! !

كان يمكن أن تكون المقارنة صحيحة ، لو أن عيسى استمر في دعوته مدة أطول من المدة التي مكثها محمد في مكة داعيا الى الله ، ولم يقاتل ، بينما قاتل محمد !

فإذا تركنا العهد القوي لكل منهما ، وتصفحنا تاريخ كلنا الديانتين لرأينا أن المسيحية لم تعرف سلاما اطلاقا ، بل حمل المسيحيون الناس حملا على اعتناقها ، « فمئذ فجر المسيحية الى يومنا هذا ، خضبت أقطار الأرض جميعا بالدماء ، باسم السيد المسيح ، خضبها الروم ، وخضبتها أهم أوروبا كلها .

والحروب الصليبية ، إنما اذكى لهيبها المسيحيون ، لا المسلمون . ولقد ظلت الجيوش باسم الصليب تنحدر من أوروبا مئات السنين قاصدة أقطار الشرق الاسلامية تقاتل ، وتحارب وتريق الدماء . وفي كل مرة كان البابوات ، خلفاء المسيح ، يباركون هذه الجيوش الزاحفة ، للاستيلاء على بيت المقدس ، وعلى الأماكن النصرانية المقدسة . أفكان هؤلاء البابوات جميعا هراقة وكانت مسيحياتهم زائفة ؟

أم كانوا أذعياء جهالا ، لا يعرفون أن المسيحية تنكر القتال على اطلاقه ؟ أم يقولون : تلك كانت العصور الوسطى ، عصور الظلام ، فلا يحتج على المسيحية بها ؟ ان يكن ذلك بعض ما قد يقولون ، فإن هذا القرن المئتم للعشرين ، الذي نعيش فيه ، والذي يسمونه عصر الحضارة الانسانية العليا ، قد رأى ما رأت تلك العصور المظلمة فقد وقف اللورد اللنبى ممثل الحلفاء (انجلترا وفرنسا ، وإيطاليا ورومانيا وأمريكا) يقول في بيت المقدس ، في سنة ١٩١٨ م حين استيلائه عليه في أخريات الحرب العالمية الأولى : « اليوم انتهت الحروب الصليبية »

وإذا كان من بين المسيحيين قديسيون أنكروا القتال في مختلف العصور ، وسموا بذواتهم الى الذروة من معنى الاخاء الانساني ، بل من معنى الاخاء بعد عناصر الكون كله ، فمن بين المسلمين كذلك قديسون سمت نفوسهم هذا السمو ، واتصلوا بكل الوجود اتصال اخاء ومحبة واشراق ، ملأ منهم النفوس بوحدة الوجود . لكن هؤلاء القديسين من النصارى والمسلمين ، وان صورا المثل الأعلى لا يمثلون حياة الانسانية اثناء تطورها الدائم وفي

وقاتل صاحب شريعتكم الأمم وغلِبهم ، وكان سببا في تغيير أمرنا
وتكفيرنا • وفي كتابه :

« لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم » (١) •

ودخلت العرب بلادنا ، واستأصلت ديارنا ، وهتكت أَسْطَارنا •
[لكنه لما آمن بالله ، ودعا إلى الله ، أعانه الله ، فقاتل] جميع الأمم
فغلبهم بسيفه •

وانما جاء المسيح بن مريم مهينا ضعيفا ، ولم يقاتل أحدا ، فأخذ

دأب جهادها إلى الكمال . إلى الكمال هذا الذي نحاول تصويره ثم يقعد بنا
العقل ويقعد بنا الخيال ، دون شيء من الدقة في ادراكه ، وأن نحن جازفنا
بتصويره تمهيدا لما نحاول من جهود في سبيله ، وهذه أربع وتسعون
وثلاثمائة وألف سنة قد انقضت منذ هجرة النبي العربي من مكة إلى يثرب
والناس في مختلف العصور يزدادون في القتال افتتانا وفي صنع آلاته الجهنمية
الدمرة دقة واتقاناً . وما تزال كلمات نبذ الحرب والغناء النسلح والتحكيم
لا تزيد على أنها كلمات تتال في أعقاب كل حرب تهلك الأمم ، أو على أنها
دعائيات تلقى في جو الحياة من أناس لم يستطيعوا حتى اليوم — ومن يدري !
فعلهم لا يستطيعون يوما — أن يحققوا منها شيئا ، وأن يحلوا السلام
الصحيح سلام الإخاء والعدل محل السلام المسلح نذير الحرب
وطليعة ويلاتها .

والاسلام ليس دين وهم وخيال ، ولا هو دين يقف عند دعوة الفرد وحده
إلى الكمال ، وانما الاسلام دين الفطرة التي فطر الناس جميعا عليها أفراد
وجماعات وهو دين الحق والحرية والنظام . ومادامت الحرب في فطرة
الناس ، فتهذيب فكرتها في النفوس وحصرها في أدق الحدود الانسانية هو
غاية ما تحتل فطرة البشر ، وما يحقق للانسانية تطورها في سبيل الخير
والكمال . وخير تهذيب لفكرة الحرب الا تكون الا للدفاع عن النفس ، وعن
العقيدة ، وعن حرية الرأي والدعوة اليه ، وأن ترعى فيها الحرمات الانسانية
تمام الرعاية . وهذا ما قرره الاسلام . وهذا ما نزل به القرآن .
(هيكل ص ٢٥٣ ، ٢٥٤)

(١) المائدة : ١٧ .

وصلب في مرضاتنا ، فهو الهنا ، وخالقنا ، ورازقنا ، ومميتنا ، ومحيينا ، وهو عز وجل بفضلہ يغفر ذنوبنا ويتعمدنا برحمته •

وأنا [.....] ^(١) قد بذلت لك النصيحة في هذه الرسالة [.....] ^(٢) لما ظهر لي من ذكائك ^(٣) ، فاعتبرها وتدبرها والله يجعلها نورك ، وسبب هداك • آمين آمين •

ولما وقف الصبى على هذه الرسالة زجر موصليها ، وامتنع عن ^(٤) مراجعة القسيس ، تخوفا منه ، لكونه يومئذ بين ظهرائهم ، وفي كنه ديانتهم ^(٥) ، فألحوا عليه في الجواب • وفي خلال ذلك حان [موعد] سفره عنهم فكتب هذا الجواب المسمى بمقامع هامات الصلبان ، وروائع روضات الايمان ^(٦) وثرکه ^(٧) عندهم ومضى وهذه نسخه ^(٨) •

(١) في ع : « يا صاحبي » •

(٢) في ع : « لحيى لك و » •

(٣) في ج : « سلك » وفي ت : « نباهنك » •

(٤) في ج : « من . » •

(٥) في ت : « لكونه مدجن بين أظهر القوم : وفي قبة ديانتهم » •

(٦) لم يتفق المؤرخون على عنوان هذا الكتاب فهو :

— مقامع الصلبان ، في برنامج شيوخ الرعيى ونيل الابتهاج ومعجم المؤلفين •

— مقامع الصلبان ، ومراتع رياض أهل الايمان ، في التكملة •

— مقامع هامات الصلبان وروائع رياض الايمان ، في الذيل والتكملة •

— مقامع الصلبان ومراتع رياض أهل الايمان ، في الاعلام •

كذلك اختلف العنوان في المخطوطات الثلاث التى اعتمدنا عليها كما ذكر سابقا •

ولهذا رأيت أن أختار له عنوان « بين الاسلام والمسيحية » اقتباسا من موضوعه ، ثم ذيلته بما لم يختلف فيه وهو نسبته الى أبى عبيدة نجاى عنوان الكتاب هكذا :

بين الاسلام والمسيحية

كتاب أبى عبيدة الخرجى المتوفى سنة ٥٨٢ هـ •

(٧) في ج : « وغادره » •

(٨) سقط من ع قوله « ولما وقف الصبى . » الى وهذه نسخه •

[رسالة أبي عبيدة الى القسيس (*)]

من فلان الى فلان :

بسم الله الرحمن الرحيم

الله ، فرد ، صمد ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد^(١) .

سلام على المهتدين ، والحمد لله رب العالمين ، مفضلنا بالايمان
على جميع الأجناس ، وجاعلنا خير أمة أخرجت للناس^(٢) ، نوحده الله
بموجبات توحيده ، ونمجده سبحانه حق بمجيده ، ونؤمن به وبملائكته
وكتبه ورسله ، لا نفرق بين أحد من رسله^(٣) ولا نشرك بعبادة ربنا
أحد^(٤) .

(*) صدر صاحب « الفاصل بين الحق والباطل » الرد على القسيس
بآيات شعرية ، فيها محاجة للمسيحيين وهى :

عجبي للمسيح بين النصارى	والى اى والد نسبوه
اسلموه الى اليهود وقالوا	انهم بعد قتله صلبوه
واذا كان ما يقولونه حقا	وصحبا فأيمن كان ابوه
حين خلى ابنه رهين الاعادى	اتراهم أرضوه أم اغضبوه
فلئن كان راضيا بأذاهم	فاحمدوهم لأنهم عذبوه
ولئن كان ساخطا فاتركوه	واعبدوهم لأنهم غلبوه

(١) اقتباسا من سورة الاخلاص .

(٢) « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر
وتؤمنون بالله » . (آل عمران : ١١٠)

(٣) « آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون ، كل آمن بالله
وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله » . (البقرة : ٢٨٥)

(٤) « قل أوحى الى أنه استمع نفر من الجن فقالوا انا سمعنا قرآنا
عجبا . يهدى الى الرشدا فآمنا به ، ولن نشرك بربنا أحدا » .

(الجن : ١ ، ٢)

وصلى الله على سيدنا ، ومولانا ، ونبينا محمد ، خلاصة أصفائه ،
وخاتم رسله ، وأنبيائه ، سيد الآدميين ، المبعوث رسولا في الأميين^(١) .

(١) « هو الذى بعث في الأميين رسولا منهم » . (الجمعة : ٢)

« فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه
لعلكم تهتدون » . (الأعراف : ١٥٨)
فما معنى الأمي ، وما المقصود بالأميين ؟

ورد لفظ الأمي في القرآن الكريم مرتين فقط ، في آيتي ١٥٧ ، ١٥٨ من
سورة الأعراف ، وفي كلا الاستعمالين وصف للنبي صلى الله عليه وسلم بأنه
أمي ، أى لا يعرف القراءة والكتابة ، فالعرب كانت تنسب من يجهلها الى أمه
« الآن الكتاب كان في الرجال دون النساء ، فنسب من لا يكتب ، ولا يخط من
الرجال ، الى أمه في جهله بالكتابة دون أبيه » .

أما لفظ « الأميون » فقد ورد أربع مرات :

(أ) « ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب الا أمانى وان هم الا يظنون » .
(البقرة : ٧٨)

(ب) « فان حاجوك فقل أسلمت وجهي لله ومن اتبعن ، وقل للذين
أوتوا الكتاب والاميين أسلمتم ، فان أسلموا فقد اهتدوا ، وان تولوا فانما
عليك البلاغ ، والله بصير بالعباد » . (آل عمران : ٢٠)

(ج) « ومن اهل الكتاب من ان تأمنه بقنطار يؤده اليك ومنهم من ان
تأمنه بدينار لا يؤده اليك الا مادمته عليه قائما ، ذلك بانهم قالوا ليس علينا في
الاميين سبيل ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون » . (آل عمران : ٧٥)

(د) « هو الذى بعث في الأميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم
ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين » . (الجمعة : ٢)

فالمقصود بالأميين من هم في مقابل أهل الكتاب — وهم العرب — ما عدا
الآية الأولى : فالمراد بهم قوم من أهل الكتاب ، وعليه فيحتمل أن يكون
اللفظ في آيتي آل عمران ، وآية الجمعة مستعملا استعمالا مجازيا ، على
اعتبار أن العرب كانوا جاهلين برسالات السماء ، مثل من يجهل القراءة
والكتابة ، لأنه لم يبعث فيهم رسول من قبل ، أو يكون المراد حقيقة اللفظ ،
لأن الأمية كانت متفشية فيهم .

ولا يرد على استعمال الأول أن وصف النبي صلى الله عليه وسلم بالأمي
==

صلى الله عليه وسلم ، من نبي كريم ، على خلق عظيم^(١) ، جاءنا على فترة من الرسل^(٢) ، موضحا السبل ، داعيا الى خير المال ، ملة أبينا ابراهيم .

« ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه »^(٣) .

« ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين »^(٤) .

« ان الدين عند الله الاسلام »^(٥) .

« ومن يبتغ غير الاسلام دينًا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين »^(٦) .

فصل : في تقديم الاعتذار ، عن النزول الى اجابتك^(٧) ، والاعتذار عن ذلك للاعتراف بأن الالتفات [الى] ما لديكم يخل بعقل الانسان ، ودينه^(٨) .

* * *

في آية الاعراف لا يكون دليلا قاطعا على أنه لم يعرف القراءة والكتابة ، لان قول الله تعالى :

« وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك ، اذن لارتاب المبطلون » .

يمنع صرف اللفظ عن حقيقته ..

(١) « وانك لعلى خلق عظيم » . (القلم : ٤)

(٢) « يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل ان تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير ، فقد جاءكم بشير ونذير ، والله على كل شيء قدير » .

(٣) البقرة : ١٣٠ . (٤) آل عمران : ٦٧ .

(٥) آل عمران : ١٩ . (٦) آل عمران : ٨٥ .

(٧) في ج ، ت : « مجاوبتك » .

(٨) في ت : « للاعتراف بأن دينكم لا مجال لعقل الانسان ودينه » .

[رأى أحد ملوك الهند في المسيحية]

وكما وصف أحد ملوك الهند — وقد ذكرت له الملل الثلاثة — فقال :

أما النصراني ، فإن كان مناصبوه من أهل الملك ، يجاهدونهم بحكم شرعي ، فلقد أرى ذلك بحكم عقلي ، وإن كنا لم نربحكم عقولنا قتالاً^(١) ، ولكن استثنى هؤلاء القوم من جميع العالم^(٢) ، فإنهم قصدوا مضادة العقل ، وناصبوه^(٣) العداوة واستحلوا^(٤) ، بيت الاستحالات مع أنهم حادوا^(٥) عن المسلك الذي انتهجه غيرهم من أهل الشرائع ، وقد كان لهم فيهم كفاية ، ولكنهم شذوا عن جميع مناهج العالم الشرعية ، الصالحة ، والعقلية ، الواضحة ، واعتقدوا كل مستحيل ممكناً ، فلم يعرف عنهم شيء^(٦) ، وبنوا من ذلك شرعاً لا يؤدي البتة ، إلى اصلاح نوع من أنواع العالم ، الا أنه يصير العاقل ،

إذا تشرع به أخرق ، أحمق .

والمرشد سفيها .

والمحسن مسيئاً .

لأن من كان في أصل عقيدته ، التي نشأ عليها^(٧) الاساءة إلى الخالق ، والنييل منه بوصفه بغير صفاته الحسنی ، فخليق به أن يستحل الاساءة إلى مخلوق .

(١) ، (٢) أي أن العقل لا يحكم بالقتال الا مع هؤلاء .

(٣) في ج : « وناصبوا » وفي ت : « وناصبوا » .

(٤) في ج : « وتحلوا » .

(٥) في ج : « مع أنهم حاروا » .

(٦) أي لم يفهم منهم شيء .

(٧) في ج : « التي جرى نشاءه عليها » وفي ت : « التي جرى نشوءه عليها » .

وكذلك ما بلغنا عنهم في خلقهم ، من جهل^(١) وضعف العقل والطمع ،
والبخل ، ومهانة النفس ، وخساسة المهمة والقدر ، وقلة الحياة الا قليلا
منهم •

فلو لم يجب مجاهدة هؤلاء القوم الا لعموم أضرارهم التي
لا تحصى وجوهه [لكفى • • •] ، وكما يجب قتل الحيوان المؤذى بطبعه
[لا يلام المرء على قتل هؤلاء] فكيف وثم من الموجبات ما تقدم •

فهذا ما بدا له من جهلكم ، وليس بمخاصمكم ، ولا مناوئكم ،
ولا بمتهم باتباع الهوى فيكم •

ولم أقدم هذا الفصل قاصدا ثبيان ضلالتك ، لأن ذوائبها قد
سارت مسرى الشمس^(٢) ، وبواظها لاحت لعيون الجن والانس ، ولكن
لأتم الحجة على نفسى ، وأحيل مارمته أولا من الاعتذار عن النزول الى
مجاوبتك ، وأوجب الاختلال بانسانية من التفت الى مقالاتكم ، وعطل
[نفسه ساعة] من نهار [بالاستغفال بـ]^(٣) محالاتكم التي عقيدتها
قذى في عين الحق ، ومقاتلتها قرع على كبد الصبر^(٤) •

* * *

[رأى رئيس سدنة الهياكله بمصر]

وقال أفلاطون رئيس سدنة الهياكله بمصر :

لما ظهر محمد صلى الله عليه وسلم بتهامة ، ورأينا أمره يعلو على

(١) كان هذا حالهم قبل النهضة الأوربية التي كان السبب الرئيسى
فيها — كما يرى الباحثون المعتدلون — اتصال أوروبا بالشرق الاسلامى .

(٢) فى ج : « صارت تستر الشمس » .

(٣) كلمة النص غير واضحة فى ت ، ج ، ١٠ .

(٤) فى ت : « ومقاتلتها فزع فى عين العرف » .

الأمم المجاورة له ، رأينا أن نقصد « اصطفن » البابلي^(١) لنعلم ما عنده ، وتأخذ رأيه ، فلما اجتمعنا على الخروج من مصر ، رأينا أن نذهب^(٢) الى قراطيس معلمنا لنودعه ، فلما دخلنا عليه ورأى جمعنا ، أيقن أن الهياكل قد حدث فيها شيء^(٣) ، فنغشى عليه حيناً غشية حتى ظننا أنه فارق فيها ، فبكينا ، فأومأ إلينا أن اسكتوا فكففنا عن الصراخ ، والبكاء ، فتصبرنا جهدنا ، حتى هدأ ، وفتح عينيه وقال :

هذا ما كنت أنهاكم عنه ، وأحذركم منه ، انكم قوم غيرتم فغير بكم ، وأطعتم جهالا من ملوككم ، فخلطوا عليكم في الأدعية ، فقصدتم البشر من التعظيم بما هو للخالق وحده ، فكنتم في ذلك كمن أعطى القلم مدح الكاتب ، وانما حركة القلم بالكاتب .

قال : فقلت له :

ويحك ! هذا التعظيم انما هو للخالق ، فاجتمعت العامة فأخرجتني من الهياكل^(٤) وكذلك ذكر عنه — أي أفلاطون — أيضا أنه قال :

رأيت في نومي في ليلة حسن فيها اخلاصى ، كأن « أرمانويوس » الملك جالسا ، اذ دخل عليه غلمان بأطباق في أيديهم [فيها] هدايا [يقدمونها له] فردها في وجوههم ووضع خده في الأرض ، يدعو عليهم ويقول :

(١) في ج « اصل من البابلي » .

(٢) في ت : « نسعى » وفي ج : « نصر » .

(٣) في ج : « قد خلت منا » .

(٤) لم يستطع النقاء عندما أراد أن يبين وجهة نظره في وجوب الاستماع لى ما نزل من عند الله على محمد صلى الله عليه وسلم ، لأن العامة — لجاهلين بادراك مثل هذه المواقف — ثارت عليه ، ووقفت بجانب من يدعو الى تمسك بما كان عليه الآباء ، ولو كان ضلالا ، وتلك ظاهرة قابلت الأنبياء جميعا :

=

ياسيدى ! أعطنى ما يخلصك ، ولا يشاركك فيه غيرك وعزيز —
والله — على أن أرى هذا المشهد العظيم ينتقل ، وانتقاله أحسن من
التحريف . واقامة الدعوات على الاختلاط •

فكان على أثر ذلك ظهور محمد صلى الله عليه وسلم بدين الاسلام •
وسياتى فى هذه الرسالة ذكر [أشياء] من ديانتكم ، وأسباب التحريف
المسلم بها ، وقصدكم تعظيم رجل بما هو للخالق وحده ، جرأة على
الخالق تبارك وتعالى ، واستخفافا بحقه ، وذكر اقامة الدعوات على
اختلاط • على أنى بين القصور ، لصغر السن ، واغفال المطالعة ، وقلة
العناية بذلك قبل اعتراضك اياى^(١) •

« واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول قالوا حسينا
ما وجدنا عليه آباءنا ، او لو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون » •
(المائدة : ١٠٤)
« واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله امرنا بها ، قل
ان الله لا يأمر بالفحشاء ، اتقولون على الله ما لا تعلمون » •
(الاعراف : ٢٨)

كما يعانى منها المصلحون فى كل عصر وجيل ، الآن العقبة الكنود أمام
برامجهم الاصلاحية ، هى سهولة اثاره العامة ضدهم ، ويكفى أن تتصفح تاريخ
جمال الدين الأفغانى — كمثلى على ذلك — وتلميذه الشيخ محمد عبده فسرى
أن من اتخذوا الوظائف العامة وسيلة للارتزاق ، وجمع الثروة وققوا فى سبيل
هذا التيار الاصلاحى ، لا حبا خالصا فى الدين ، ولا دفاعا عنه ، وانما خوفا
على ضياع المركز ، وذهاب موارد جمع الثروة الا قليلا منهم دفعه جهله للوقوف
فى وجه التيار الاصلاحى •

(١) سقط من ع من أول رسالة أبى عبيدة حتى هنا ، ووضع بدلا عنها
النص التالى :

« الحمد لله الذى ليس لأزليته بداية ، الأبدى الذى ما الأبدية نهاية . خلق
عيسى من غير ذكر ، وحوى من غير أنثى ، وآدم من تراب ، ان فى ذلك لآية .
=

[ابطال دعوى ألوهية عيسى عليه السلام] واثبات نبوته من نصوص أنجيلهم [

أما بعد :

أيها الأعجمي الألكن ، الطاعن على كتاب الله جهلا ، ولا يعرف
لخطابه فصلا ، والملمس له تأويلا ، وأنت لم تؤت من العلم كثيرا
ولا قليلا .

هلا راجعتك^(١) بصيرتك ، وناجيت بالتحقيق سيررتك ؟ فعلمت أنه
منزل بلغة لا تعلمها ، وعبرة لا تفهمها .

« وما يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم »^(٢) .

ومن أعجب قولك ، الشاهد على جهلك أن تندب مسلما الى الايمان
بالله ، وترغب مؤمنا في عيسى ابن مريم رسول الله^(٣) . وكلتا الخليقتين قد

أحمدته حمد من نزه عن الجوهر والعرض والجسد ، وأشكره شكر من قدسه
عن أن يكون والد ، أو يكون له ولد . وأشهد أنه الملك الحق الذي لا يهزم
ولا يغلب ، القوى الذي يغنى كل شيء ولا يقتل ولا يصلب . وأشهد أن محمدا
عبده ورسوله الذي بشر به عيسى ، ونص عليه موسى صلى الله عليهم
أجمعين ، أن الدين عند الله الاسلام . ومن يتبع غير الاسلام ديناً فلن يقبل
منه وهو في الآخرة من الخاسرين » .

(١) في ج : « عارتك » وفي ت : « أعدت » .

(٢) آل عمران : ٧ .

(٣) من ع ، وفي ج : « أن تندب مسلما الى الايمان بالله عيسى ، وتولى
عيسى ابن مريم رسول الله » وفي ت : الى الايمان بالله . عيسى بن مريم
رسول الله » .

أحكم عندنا مضمارها^(١) ولدينا ثبوتها واستقرارها ، ومنا صدع ظهورها في الخليقة واستمرارها • كواكب الايمان بالله عندنا تتجلى ، ونحن بالمسيح ابن مريم رسول الله أولى • قدرناه حق قدره ، وقلنا بفضلنا المعلوم وفخره ، واعتقدناه بمنزلة تقبلها الأفهام ، وتليق بالعقول والأوهام^(٢) •

« لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون ، ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم اليه جميعا »^(٣) •

وتبرأنا من قوم غدوا فيه على طرفي نقيض : مفتون به ضال ، وظالم بغيض ، وهما في عمى بصائرهما سيان ، ولدى حلبة الكفر فرسا رهان • أما المفتونون به الضالون فقد أوقعوا أنفسهم في خطيئة [ذي شقين] يستحيل غفرانها^(٤) :

[الأول] : الاشرار بعبادة الله غيره •

[الثاني] : أنهم أوردوا عيسى بخلوهم فيه موردا يعتذر عند الله منه يوم الحشر بين يديه ، اذ يقول له ، وهو تبارك وتعالى أعلم :

« أنت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين من دون الله ، قال سبحانه ما يكون لى أن أقول ما ليس لى بحق ، ان كنت قلته فقد علمته ، تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك ، انك أنت علام الغيوب • ما قلت

(١) من ع ، وفى ج : « وكلتا الخيلتين عند أحكم مضمارها » . وفى ت : « وكلتا الحاليتين عند حكم مضمارها » .

(٢) فى ع : وفى ج : « واعتقدناه بمنزل ما تعدق الأفهام لائقة بالعقول والأوهام : وفى ت « واعتقدناه بمنزلة سابقة فى الأفهام لائقة بالعقول والأوهام » •

(٣) النساء : ١٧٢ •

(٤) من ع • وفى ج ، ت « ان للمفتون مزيتين فى الضلال على من أبغضه وسبه أحدهما الاشرار بعبادة الله غيره ، والاخرى أنهم أوردوا » •

لهم الا ما أمرتني به أن أعبدوا الله ربي وربكم ، وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم ، فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم ، وأنت على كل شيء شهيد» (١) .

أما من أبغضه ، أو سبه ولعنه ، فانما أوردوه بفعلهم موردا يكون الله حسيبهم فيه ، والقائم دونه ، يأخذ حقه منهم [٠٠٠] (٢) .

أخبرني أيها الجاعل الهه المسيح من حيث هو من الله روح ! لم تظلم آدم ؟ وأنتم تقولون وتوافقون : ان الله تعالى نفخ فيه من روحه بعد أن سواه من تراب .

وتقولون : ان المسيح نفخه من روح الله في رجل سواه الله تعالى من لحمه مريم ، المتخذة من آدم ، فلحمه اذن بمنزلة ترابه ، ونفخه من روح الله بمنزلة نفخة من روح الله ، فلماذا أوجبت الألوهية لعيسى ولم توجبها لآدم ، وأنت تقر له بروح من الله في حجاب من تراب (٣) ؟

ما أزين بك أن تقول : ان الله خلق عيسى وأمه آية للناس ، عبدا

(١) المائدة : ١١٦ ، ١١٧ .

(٢) زاد في ع : « هذا وقد اطلعت على كتابك ، وعلمت مرامك ، ويعلم اله أنك فضلا عن جهلك لديننا — دين الاسلام — القويم ، لست على شيء من دينك السقيم . فلذلك قد أشفقت عليك ، وحررت لك كتابي هذا زدا على كتابك لعلك بعد تلاوته ، ترجع عن غيك وجهلك ويهديك الله صراطا مستقيما . فأعزني السمع والبصر ، لأشرح لك من نفس كتابيك الانجيل والتوراة ، فساد ما أنتم عليه من الاعتقادات المضحكة ، المخجلة التي لو لم توجد النصرانية إلى وقتنا هذا ، لما أمكن التصديق بوجود طائفة تعقل بين الناس ، فتعتقد أقوالكم ، أو ترضى بهالاتكم . »

ثم أبين بعد ذلك أساس ديننا ، وموافقته للمدنية ، ومساعدته لاشرف مقاصد المجتمع الانساني ، عسى الله أن يكشف عن بصيرتك وتميز الحق من الباطل ، فيتخرج من الظلمات الى النور .

(٣) في ج : « فلحمه اذن بمنزلة ترابه ونفخه من روح الله فهي أوجبت بذلك الألوهية لعيسى فهاك لا توجبها لآدم وأنت تقول انه روح من الله في مخار من تراب » .

ورسولا ، [وهى] صديقة مباركة ، [و] كانا يأكلان الطعام^(١) ، وأكل
الطعام هنا كناية عن التغوط ، وقد كان يجب لله تعالى لو سبق فى حكمه
أن يكون انسانا وينزل لمقابلة^(٢) عباده — كما زعمت — أن يمتنع عن
التغوط ، اذ هو دنية ابتلى بها آدم وبنيه ، مبينة لنقصهم واحتقارهم .
وهو تعالى المختص بالكمال ، والموصوف بالعظمة والجلال فلا يليق به
تلك الدنية ، ولا نعلم فى فرق ملتكم من يقول : ان عيسى لم يكن يتغوط ،
ولا يبول . حاشى الله أن يحقر خلقا له بدنية ، يراها أخس الأدميين عارا
على نفسه ، ثم يتشبه بعبده فيها ، بل كان يتركها دون غيرها من صفات
الانسانية^(٣) .

أليس من الواضح عند ذوى العقول ، أنه لما لم يلزم من عدم
الأب والأُم البشريين لإدم عليه السلام ، أن يكون ابنا لله تعالى ،
ولما لم يبعد خلق آدم من القرب ، لم يبعد أيضا خلق عيسى عليه
السلام من الدم ، الذى كان يجتمع فى رحم أمه عليهما السلام .
فلو أنصفت وطلبت الحق ، لعلمت أن ذلك من البيان ، ما يبلغ الى
الغاية القصوى ، فى تحصيل المرام ، من هذه المسألة ، ولكنك قد اتخذت
التقليد دليلا ، على عدم النظر والتأمل فى الأمور مذهباً ، فلا حول
ولا قوة الا بالله .

أخبرنى أيها المسكين :

متى ادعى عيسى عليه السلام الألوهية تصريحاً ؟ أم متى ذكر الأقانيم
التي تقولونها توضيحاً^(٤) ؟ .

(١) « ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه
صديقة كانا يأكلان الطعام » .

(المائدة : ٧٥)

(٢) فى ج ، ت : « لمباشرة » .

(٣) سقط من ع من أول قوله : « ما أزين بك » .

(٤) زيد فى ع من قوله : « اليس من الواضح » « ... » .

ألم نقرأ في انجيلك الكائن بين يديك عن عيسى ، أنه قال حين خرج من السامرة ولحق بالجليل^(١) : أنه لم يكرم أحد من الأنبياء في وطنه^(٢) ؟ • وفي الانجيل للوقا : أنه لم يقبل أحد من الأنبياء في وطنه فكيف تقبلونه^(٣) ؟ •

وحسبك هذا من دليل على أنه ما ادعى غير النبوة المعلومة •
وفي الانجيل لمرقس^(٤) أن رجلا أقبل إلى المسيح وقال له :
« أيها المعلم الصالح ، أى صلاح أعمل لتكون لى الحياة الأبدية^(٥) »
فقال له : لماذا تدعونى صالحا ليس أحد صالحا الا واحد وهو الله^(٦) .
ولكن إن أردت أن تدخل الحياة فاحفظ الوصايا • قال له : أية الوصايا ؟
فقال يسوع^(٧) : لا تقتل ، لا تزن ، لا تسرق ، لا تشهد بالزور ، أكرم أباك وأمك^(٨) •

(١) في ج ، ت : « بجلجان » •
(٢) « وبعد اليومين خرج من هناك ومضى الى الجليل لأن يسوع نفسه شهد أن ليس لنبي كرامة في وطنه » • (يوحنا ٤ : ٤٣ — ٤٤)
(٣) « فقال لهم : على كل حال تقولون لى هذا المثل أيها الطبيب اشف نفسك • كم سمعنا أنه جرى في كفر ناحوم فافعل ذلك هذا ايضا في وطنك ، وقال : الحق أقول لكم انه ليس نبى مقبولا في وطنه » • (لوقا ٤ : ٢٣ — ٢٤)

(٤) في ج ، ت « لماركس » •
(٥) في ج ، ت « الأنال الحياة الدائمة » •
(٦) في ج ، ت « لم قلت لى صالحا انما الصالح الله وحده » •
(٧) وردت العبارة في ج ، ت هكذا « ... الله وحده .. » وقد عرفت الشروط وذلك الا نسرق ولا تزن ولا تشهد بالزور ولا تخون أكرم أباك وأمك » •
(٨) متى ١٩ : ١٦ — ١٩ أما ما جاء في انجيل مرقس كما أشار المؤلف بهذا الصدد فهو كما يلي : « وفيما هو خارج الى الطريق ركض واحد وجثا له وسأله أيها المعلم الصالح ماذا أعمل لأرث الحياة الأبدية ، فقال له يسوع : لماذا تدعونى صالحا ليس أحد صالحا الا واحد وهو الله • أنت تعرف الوصايا ، لا تزن ، لا تقتل ، لا تسرق ، لا تشهد بالزور ، لا تسلب ، أكرم أباك وأمك » • (مرقس ١ : ١٧ — ١٩)

وفي الانجيل ليوحنا^(١) أن اليهود لما أرادت القبض^(٢) عليه وعلم بذلك ، رفع بصره إلى السماء ، وقال : قد دنا الوقت يا الهى فشرفنى لديك^(٣) ، واجعل لى سبيلا إلى أن أملك كل ما ملكتهى ، الحياة الباقية ، وانما الحياة الباقية ، أن يؤمنوا بك الهما واحدا ، وبالمسيح الذى بعثت ، وقد عظمتك على أهل الأرض واحتملت ما أمرتنى به فشرفنى لديك^(٤) .

وفي الانجيل أن^(٥) عيسى قال لتلاميذه : لا تسبوا أبابكم على الأرض ، فان أبابكم الذى فى السماء وحده ، ولا تدعوا معلمين ، فان معلمكم المسيح وحده^(٦) .

فقوله : ولا تسبوا أبابكم على الأرض [معناه] : لا تقولوا انه غالى الأرض ، ولكنه فى السماء .

ثم أنزك نفسه حيث أنزله الله تعالى وقال : ولا تدعوا معلمين ، فان معلمكم المسيح وحده .

فها هو [ذا] قد سمى نفسه معلما فى الأرض لهم ، وشهد أن الهمم فى السماء واحد .

وفي الانجيل للوقا أن عيسى أحيا الميت بباب مدينة « نائين »^(٧)

(١) فى ج : « ليحنى » . (٢) فى ج ، وفى ت : « التقبض » .

(٣) فى ج : « لذلك » .

(٤) قارن يوحنا : الاصحاح السابع عشر .

(٥) فى ج : « وفى الانجيل لما أن عيسى » .

(٦) ورد النص فى انجيل متى هكذا : « ولا تدعوا لكم ابا على الأرض لأن أبابكم واحد الذى فى السموات » ولا تدعوا معلمين لأن معلمكم واحد المسيح » .
(متى ٢٣ : ٩ - ١٠)

(٧) فى ج ، ت : « نائيم » ،

عندما^(١) أشفق لإمه ، لشدة حزنها عليه فقالوا : ان هذا النبي لعظيم^(٢) ،
وان الله قد تفقد أمته^(٣) .

وفي الانجيل ليوحنا^(٤) أن عيسى قال لليهود :

لست أقدر [أن] أفعل من ذاتي شيئا ، لكنني أحكم بما أسمع ،
لأنني لست أنفذ إرادتي ، بل إرادة الذي بعثني^(٥) .

وفي الانجيل ليوحنا^(٦) أيضا أنه أعلن صوته في البيت وقال لليهود .

قد عرفتموني في موضعي ، ولم آت من ذاتي ، ولكن بعثني الحق ،
وأنتم تجهلون^(٧)ها هو [ذا] قد جعل نفسه ، وموضعه معلومين عند
اليهود ، وجعل الله عندهم مجهولا ، وقال :

انه لم يأت من ذاته ، ولكن الله قد بعثه ، فما زاد في دعواه شيئا
على ما ادعاه غيره من الأنبياء عليهم السلام .

وفي الانجيل أنه قال لليهود — بعد حوار طويل [وكلام] كثير
مذكور بينه وبينهم في ذلك المجلس — حين قالوا له : انما أبونا ابراهيم .

(١) في ج ، ت : « حين » .. (٢) في ج : « العظيم » .

(٣) « ... فأخذ الجميع خوف ومجدوا الله قائلين : قد قام فينا نبي
عظيم وافتقد الله شعبه » .
(لوقا ٧ : ١٦)

(٤) في ج : « ليحنا » .

(٥) ونص انجيل يوحنا : « أنا لا أقدر أن أفعل من نفسي شيئا كما
أسمع آدين ودينونتي عادلة لأنني لا أطلب مشيئتي ، بل مشيئة الآب الذي
أرسلني » .
(يوحنا ٥ : ٣٠)

(٦) في ج : « ليحنا » .

(٧) يشير الى قول انجيل يوحنا : « فنأدي يسوع وهو يعلم في الهيكل
قائلا : تعرفونني وتعرفون من أين أنا ومن نفسي لم آت بل الذي أرسلني هو
حق الذي أنتم لستم تعرفونه » .
(يوحنا ٧ : ٢٨)

قال : ان كنتم بنى ابراهيم فاقفوا أثره ، ولا تريدوا قتلى ، على
أنى رجل أدبت اليكم الحق الذى سمعته من الله • غير أنكم تقفون
أثر آبائكم •

قالوا : لسنا أولاد زنا ، انما نحن أبناء الله ، وأحبأوه •

فقال : لو كان آبائكم لحفظتمونى ، لأنى رسول منه [أى من الله] (*)
خرجت مقبلا ، ولم أقبل من ذاتى ، ولكن هو بعثنى ، ولكنكم لا تقبلون
وصيتى ، وتعجزون عن سماع كلامى ، انما أنتم أبناء الشيطان ، وتريدون
اتمام شهواته ، الى كلام كثير ذكر فى الانجيل الذى بأيديكم ، [عما]^(١)
كان بينه وبين اليهود فى ذلك^(٢) •

وفى الانجيل أيضا : أنه كان يمشى يوما فى اسطوان سليمان فأحاطت
به اليهود وقالت له : الى متى تخفى أمرك^(٣) ؟ ان كنت المسيح الذى
نتظره ، فأعلمنا بذلك^(٤) •

ولم يقولوا : ان كنت الله ، لأنهم لم يعلموا من دعواه ذلك^(٥) ،
ولا اختلاف عند اليهود أن الذى انتظروه [هو] انسان نبى ، ليس
بانسان الله كما ترعمون •

(*) زدنا ما بين القوسين الآن النص يقول : « لانى خرجت من قبل الله
واتيت • لانى لم آت من نفسى بل ذاك ارسلنى » • (يوحنا ٨ : ٤٢)

(١) فى ج : « اذ » وفى ت : « لأنه » •

(٢) قارن يوحنا الاصحاح الثامن •

(٣) نص انجيل يوحنا : « الى متى تعلق انفسنا » • (يوحنا ١٠ : ٢٤)

(٤) راجع يوحنا ١٠ : ٢٥ •

(٥) لم يوفق أبو عبيدة فى الاستدلال بهذا النص ، على أن الانجيل
الموجود بين أيدينا ينكر الوهية عيسى •

=

وفي الانجيل أيضا عنه : أن اليهود أرادوا القبض^(١) عليه ، فبعثوا
لذلك الأعوان ، وأن الأعوان رجعوا إلى قوادهم .

فقالوا : لم لم تأخذوه ؟

فقالوا : ما رأيينا آدميا أنصف منه !

فقلت^(٢) اليهود : وأنتم أيضا مخدوعون^(٣) ؟

أترون أنه آمن به أحد من القواد ، أو من رؤساء أهل الكتاب ؟

انما آمن به من الجماعات ، من يجهل الكتاب .

فقال لهم « نيقوديموس » — وهو من كبار القسس^(٤) — :

أترون أن كتابكم يحكم على أحد قبل أن يسمع منه ؟

فقالوا له : اكتشف الكتاب ! ترى أنه لا يجيء من الجليل^(٥) نبي .

=

كما أخطأه الصواب في الاعتماد عليه — أي النص المشار إليه — بأن
اليهود لم تعلم من دعواه أنه ادعى الألوهية ، ذلك أننا نقرأ بعد فقرات قليلة
أن الحوار تطور بينه وبينهم : «فتناول اليهود أيضا حجارة ليرجموه . أجابه
يسوع : أعمالا كثيرة حسنة أريتكم من عند أبي . بسبب أي عمل منها
ترجمونني . أجابه اليهود قائلين : لسنا نرجمك لأجل عمل حسن بل لأجل
تجديف . فأنك وأنت إنسان تجعل نفسك الها» . (يوحنا ١٠ : ٣١ — ٣٣)

فإذا سلمنا بصحة هذا النص — وذلك بعيد — ، لا يسعنا إلا التصديق
بأن اليهود الذين اشتركوا في هذه المناقشة علموا أن عيسى ادعى الألوهية .

(١) في ج ، ت : « التقبض » . (٢) في ج : « وقالت » .

(٣) في ج : « تخدعون » .

(٤) في ج : « قعود من القسس » وفي ت . « نقود من القسس » .

(٥) تارن يوحنا ٧ : ٤٥ — ٥٢ .

فما قالت اليهود ذلك الا [لأنه]^(١) أنزل لهم نفسه منزلة نبي فقط ،
ولو علمت من دعواه [ادعاء] الالهية لقاتله يومئذ [تقبيحا له وتحريضا
على قتله] .

وكثير من هذا في الانجيل يطول ذكره ، ولا محالة أنك ان سمحت
نفسك بالانقياد الى الحق ، وخلعت الهوى ، علمت أن ذلك كذلك .
وفي الذي اتخذتموه دليلا على صلبه من كلام عاموس النبي ، أن الله
قال على لسانه :

ثلاثة ذنوب أقبل لبني اسرائيل [و] الرابعة لا أقبلها ، [وهى]
بيعهم الرجل الصالح .

[حجة عليكم لا لكم ، لأنه] لم يقل بيعهم اياى ، ولا قال بيعهم
الها متساويا معى ، ويجرى تأويل قوله [هنا] على وجهين :

١ - أما أن يكون عنى بالمبيع عيسى كما ترعمون ، فقولوا [حينئذ] :
انه الرجل الصالح ، أو العبد الصالح كما قال عاموس ، وليس
بالاله المعبود .

٢ - وأما أن يريد بالمبيع غيره ، وهو الذى شبه لليهود فابتاعوه ،
وصلبوه^(٢) ويلزمكم [وقتئذ] انكار صلوبية عيسى [عليه السلام] .

ثم جعلت حجة على اجلال منزلة عيسى عن آدم ، والاعتلاء به الى
منزلة الألوهية ، أنه أحيا ميتا ، ولم ترد أن يكون الله تعالى [قد جعل]^(٣)
له ذلك برهانا على نبوته . ودلالة على صدق رسالته . ثم لم تلبث أن
أوجبت ما نفيت ، وأقررت بما أنكرت ، وكنت كالقائم القاعد فى الحال

(١) فى ت : «الا وقد أنزل لهم نفسه» وفى ج : «الا وقد أنزل الله نفسه» .

(٢) يساق هذا دليلا على عدم صلب المسيح عليه السلام .

(٣) فى ج : « أن يجعل » .

الواحد [وذلك حين] قلت : ان عيسى في حال الألوهية التي تصفونه بها ،
قد أيد نفرا من الحواريين باحياء الموتى — بزعمكم — ، وجعلهم رسلا^(١)
الى الأجناس ، فأحيوا الموتى بزعمك •

فما الذي أوجب أن يكون المسيح في حال الألوهية ، تد أيد بذلك
بشرا^(٢) وجعله رسولا الى الأجناس ، ومنع أن يكون الله عز وجل يؤيد
بشرا ، ويجعله رسولا الى الناس ؟

فان كان المسيح من أجل احياء ميت^(٣) هو الله فكل من أحيانا
بزعمك فهو الله ! •

وباجماع من جميع الملل الثلاثة أن الياس النبي أحيانا الموتى ، وكذلك
اليسع^(٤) فلم تظلمون بعضا دون بعض ؟

(١) في ج ، ت : « وجعل لهم رسالا » .

(٢) في ج : « كثيرا » .

(٣) في ج : « فان المسيح فمن أحيى ميتا » .

(٤) تحدث القرآن الكريم عن الياس مرتين :

(١) « وزكريا ويحيى وعيسى والياس ، كل من الصالحين »
(الانعام : ٨٥)

(ب) « وان الياس ابن المرسلين • اذ قال لقومه الا تتقون • أتدعون بعلا
وتذرون أحسن الخالقين • الله ربكم ورب آبائكم الأولين • فكذبوه فانهم
لمحضرون • الا عباد الله المخلصين • وتركنا عليه في الآخرين • سلام
على ال ياسين • انا كذلك نجزي المحسنين • انه من عبادنا المؤمنين »
(الصافات : ١٢٣ — ١٣٢)

وليس فيهما ما يدل على انه أحيانا الموتى . كذلك لم يذكر مؤلفو قصص
الأنبياء شيئا من ذلك ، باستثناء الثعالبي الذي ذكر أن الياس أحيانا ميتا
بعد موته بأربعة عشر يوما (انظر : ابن كثير ج ٢ ص ٢٤١ — ٢٤٧ ،
الثعالبي ص ٢٢٨) وهو من الاسرائيليات التي نقلها الثعالبي من سفر الملوك
الاول اصحاح ١٧ .

=

ثم قلت : ان الله عز وجل لما كلم العالم على ألف سنة أنبيائه ، الذين جعلهم رسله ، ووسطائه الى خلقه ، ليعلموهم الاقرار بربوبيته ، وشرعوا لهم ترك أوثانهم ، وأصنامهم • الفاشية ضلالتها في جميع الأرض [لم يذعنوا] فنزل هو تعالى بعد ذلك من السماء ، ليكلم الخلق بذاته ، لئلا تكون لهم حجة عليه ، فتنقطع حجتهم بأن كلمهم بذاته ، لا بواسطة • فارتفعت المعاذير عن ضيع عهده بعد أن كلمه بذاته •

أخبرنى أيها المغرور !

ما الذى أوجب ذلك ؟ هل كان علمه^(١) لم يحط بما فعل أنبيائه ، حتى هبط ليطلع على فعلهم ؟

أو هل كانت أنبيأؤه متهمة عنده لمخالفة أمره ؟

أو هل كانت الأنبياء لم تقو على بيان^(٢) ما جاءت به من الايمان

أما اليسع فقد ذكره القرآن الكريم في موضعين :
(ا) « واسماعيل واليسع ويونس ولوطا ، وكلا فضلنا على العالمين » .
(الانعام : ٨٦)

(ب) « واذكر اسماعيل واليسع وذا الكفل ، وكل من الأخيار » .
(سورة ص : ٨٨)

دون أن يبين أن الله أظهر على يديه معجزة احياء الموتى . كذلك لم اعثر في قس الانبياء على ما يؤيد رأى أبى عبيدة ، الا ان العهد القديم ذكر أن اليسع صبي مات بعد اصابته بدوار في رأسه (الملوك الثانى ٤ : ١٦ - ٣٧) ويبدو أن أبا عبيده تأثر بذلك - وهى ظاهرة ابتلى بها كثير من علماء المسلمين - فسلم بأن الياس واليسع أعادا الحياة للموتى ، ونسى ان القرآن الكريم لم يخبر أن الله أيد نبيا غير عيسى عليه السلام بمعجزة احياء الموتى . وعليه فيكون قوله : « وباجماع من جميع الملل الخ » قولا خاطئا .

(١) في ج : « هل كان معلمك » .

(٢) في ج : « هل كانت الأنبياء لم تقوا فيما بان » .

بالله ، وعجزت عن اظهاره في العالم ، وضعفت عن اظهار المعجزات العجيبة الدالة على صدقهم ، حتى هبط هو ففعل ما لم يفعله [من أرسل] من قبله ؟ فلقد قصصتم في الانجيل الذي بأيديكم :

أن اليهود كانت تطالبه^(١) بمثل معجزات موسى بن عمران ، فلا يجيبهم بشيء ، وسأذكر ذلك ، وبعض مواضعه من الانجيل ان شاء الله عز وجل •

أخبرني أيها المخدوع !

ما الذي أظهره دليلا على أنه هو الله حتى تنقطع حجة العالم به دون غيره كما زعمت ؟

وما الذي رأوا من العظمة التي لم يكونوا رأوها حتى ترتفع المعاذير ؟ الأجل أن رأوا يديه ورجليه مكتوفة ! — كما تظن من غير يقين — ، مصفوعا في قفاه ، مبصوقا في وجهه بتاج من الشوك على رأسه^(٢) مصلوبا على جذع^(٣) مسمرة يدها ورجلاه فيه •

وعجبا لتمويهكم أيضا ، باختلافكم في خشبة صلبه • فمن قائل ، كانت من السرو ،

ومن قائل : كانت من الأرز ،

ومن قائل : كانت أطروشا من قنبيط ! !

وقلتم : ان الخشبة قطعت وحملت على عنق الله تبارك وتعالى اذلالا له ، أو تبكيئا ، وصلب عليها •

نثسنعون بذلك خطيئة اليهود ، لتضرموا قلوب عوامكم ضغنا عليهم •

(١) في ج ، ت : « تطلبه » .

(٢) قارن انجيل يوحنا ١٩ : ١ — ٥

(٣) في ج ، ت « على أطروش قنبيط » .

ولقد وجب [وحق الانسانية] تنقيص تلك الألوهية بما لا يخفى
على أحد [ولو كان صبيًا] •

لا جرم أنه لو سبق في حكم الله ، أن يباشر خلقه ، مثل المباشرة التي
ذكرتها ، الإنبأت بذلك التوراة ، والأنبياء تصريحًا ، لا كناية وألغازًا •
ولجل ذلك عن الأفكار ، ولعظيم في الإوهام ، وانتظرت الأمم بأشد أسباب
الانتظار •

ولقد^(١) تأولتم في التوراة ، وفي بعض النبوات [لاثبات التثليث]
بما يخرج عن منهج الحق ، ويبعد عن الصدق^(٢) — ويوجد تأويل من
قبلكم لها ، [وهو] أهدى سبيلًا ، وأقوم قِيلًا ، وأوضح دليلًا —
[مثلًا —] كما تأولتم في الملائكة الثلاثة الذين أتوا بالبشارة [الى]
ابراهيم تحت العفصة ، فقام اليهم ، وبجلهم ، وخاطبهم خطاب رجل واحد
على ما ذكر في تورااة اليهود^(٣) •

جعلتم [ذلك] دليلكم على التثليث • الى غير ذلك من التأويلات التي
هي رمد في عين الايمان ، وشجى^(٤) في صدر كل ناطق ، انسان •

ثم احتال بعضكم^(٥) لذلك الكفر البشيع ، والمجهل الشنيع في وجوه
من العذر [التي] هي أقبح من الذنب ، كالشمس ثلاثة أشياء : جرم ،
ونور ، وحرارة تشبها بالتثليث •

والمحديدة يحميها الحداد ، ثم يمدّها ، فليمد ما شاء ، فإنه ليس يمد
النار وإنما يمد جسم الحديد • تشبها بالله عز وجل ، حين صلب بظنكم •
الى غير ذلك من الهذيان •

(١) في ج ، ث : « أما انكم »

(٢) في ج ، ت : « وينزع عن مبين الصدق » •

(٣) انظر سفر التكوين ١٨ : ١ — ٢٢ •

(٤) في ج : « سحى » • (٥) في ج : « بعضهم » •

وانما استدركتكم العذر بهذه الأقوال الوخيمة ، لتوهموا جهلاءكم^(١)
 أن لتلك البشائع التي تعتقدونها ، وتنطق بها ألسنتكم^(٢) أسراراً وأصولاً
 ثابتة في الحقائق حين ينظرون الى من سواهم من أهل الملل ، يعبدون
 الله وحده ، ولا يشركون به شيئاً ، وإن اختلفوا فيما سوى ذلك •

وقد دعا سيد المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم أربابكم^(٣) الى
 المباهلة حين أنزل الله عليه :

« إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم ، خلقه من تراب ثم قال له
 كن فيكون • الحق من ربك فلا تكن من الممترين • فمن حاجك فيه من
 بعد ما جأك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم
 وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين » (٤) •

فجزعوا لذلك ، وأبوا عليه ، فأوعدهم عليه الصلاة والسلام
 لو باهلو باضطراب ذلك الوادي نارا عليهم ، فتخوفوا نقمة الله تعالى
 حين يظهر^(٥) كرامته عليهم وجأه لديه ، والا فلم لم يجيبوه^(٦) حينئذ
 ويتباهلوا ، ولا يحترقون كما أوعدهم فيكون في ذلك عليه ما لا يخفى^(٧) :

[واذا تأملتم بعين الانصاف] الانجيل الذي بأيديكم ، فانكم تجدون
 فيه نصا على ما قدمت من الدلائل على براءة عيسى مما نسبتموه اليه من
 ادعاء الألوهية لنفسه :

(١) في ج ، ت : « سفهاءكم » . (٢) في ج : « ألسنتهم » •

(٣) في ج ، ت « وقد كان سيد النبيين محمداً صلى الله عليه وسلم
 دعى أربابكم » •

(٤) آل عمران : ٥٩ — ٦١ •

(٥) في ج « سعوا » ، وفي ت : « شنوا » •

(٦) في ج ، ت : « بيكتوه » •

(٧) انظر البخاري ج ٥ ص ٢١٧ وابن كثير : السيرة النبوية ج ٤
 ص ١٠٠ — ١٠٨ •

« ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله »^(١) .

غير أن من ضل بعده الى مدة من نحو ثلثمائة سنة كانوا [مهرة] في استدراك الأكاذيب ، وتقفية الانجيل بها ، فادعوا^(٢) أنه^(٣) يكلمهم في سحب السماء ، وفي أضغاث الأحلام ، وشدوا أزر ذلك^(٤) بأن نصوا في الانجيل :

أن الايمان بعيسى لم يتم الا بعده .
ليجعلوا ما جاءوا به من الكذب تماما لايمانهم
وأصل هذا النص أن عيسى قال لأصحابه :

أن الايمان به لا يتم الا بالذي بعده ، وأكد ذلك في مواضع كثيرة صرح فيها بسيد النبيين والمرسلين سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم . سأذكر منها ما تأتى لي ذكره في هذه الرسالة ان شاء الله تعالى .
ولما هموا بالتحريف^(٥) بعد مدة من وفاة^(٦) الحواريين رضى الله عنهم ، وكرهوا ما ندبهم اليه عيسى ، وأمرهم به فانحرفوا عنه بتأويلات وخيمة اخترعوها ، والى شرائع مضلات شرعوها .

* * *

[بيان اضطراب الانجيل وتناقضها ، وهو الجزء الاول من الرد على الشبهة السابعة]

وفي الانجيل الذى بأيديكم [كثير من المتناقضات]^(٧) .

(١) آل عمران : ٧٩ . (٢) في ج ، ت : « يدعون » .
(٣) في ج : « انهم » . (٤) في ج : « وشدوا ان رد ذلك »
(٥) في ج : « بالتخويف » . (٦) في ج ، ت : « هلاك » .
(٧) ذكر صاحب كتاب « الفاصل بين الحق والباطل » متناقضات أخرى

=

اردنا اثباتها هنا بتصرف مع تصحيح نصوص الانجيل التي أخطأ في نقلها :

« أخبرنى أيها المغرور »

أى ضامن عندكم على صدق رواية دينكم ؟

وأى شهادة لكم على صدق اقوال مؤسسى مذهبكم ؟

انتم تعلمون علم اليقين ، وتقرون مع الناس أجمعين ، أن عيسى عليه السلام لم يأخذ القلم بنفسه مطلقا ، ولم يفرك شبيئا مسطورا من اقواله ، ولم يكلف احدا بجمع مقالاته ، ولا أملى انسانا شريعة .

وانما أحاديثه ومواعظه كانت كلها شفاهيا ، لم تحصرها الدفاتر ، ولا سطرتها الأقلام ، فى زمن المسيح عليه السلام ، ولا فى زمن متقارب منه ، لأن دينكم فشا فى الناصرة بين جماعة من صيادى الأسماك . . . قليل العدد .

ولاختلاطهم باليهود ، واستيلاء الجهل عليهم لم يقدروا على كتابة شئ من اقوال المسيح عليه السلام .

ثم اشتغلت بعد ذلك بالنازعات ، والمدافعات عن النصرانية . . . فلم تفكروا فى تقرير شئ من أصل دينكم ، وبنى هذا الدين . . فى الأذهان تلعب به أيدي الأغراض ، وهو يتقلب بين ما يحوه النسيان ، وبين ما يثبته ويزيد فيه حوالى الأيام ، حتى آل الأمر الى اختلاف مذاهبكم ، وتعدد شرائعكم ، فصار عندكم أزيد من الخمسين انجيلا انتفتم بعد الجيل السادس على خمسة اناجيل اخترعتموها تعرفون منها أربعة مشهورة ، . . . وها أنا أورد عليك عدة من تناقضها ، لتعلم تغييرها ، وتبديلها ، وعدم الوثوق بشئ منها :

١ — قال « لوقا » : « وفى الشهر السادس أرسل جبرائيل الملاك من الله . . . فقال لها الملاك : لا تخافى يا مريم ، لأنك قد وجدت نعمة عند الله . وها أنت ستحبلين وتلدين ابنا وتسمينه يسوع . . . ويملك على بيت يعقوب الى الأبد ولا يكون ملكه نهاية » . (لوقا ١ : ٢٦ — ٣٠)

ثم يذكر بعد ذلك — أى لوقا — أن يسوع حمل الى بيلاطس مذلولاً مهيناً : « وسأله (أى سأل بيلاطس يسوع) بكلام كثير فلم يجبه بشئ . . ووقف رؤساء الكهنة والكتبة يشتمون عليه باشتداد » . . . (لوقا ٢٣ : ٩ — ١٠)

وهذا تناقض ، لأن أحد النصين يجعل يسوع عليه السلام ملكا عظيما :

والآخر يصفه بالذل والمهانة ، ثم ان هذا الملك الذى بشر به لم يتحقق مطلقا ،
أما على رأيكم فقد صلب ، وأما على رأينا فقد رفعه الله تعالى من غير ملك ،
ولا مهانة ،

وقولكم فى هذا كله لا أصل له . ثم ان محاوره تجرى بين عيسى عليه
السلام والنجار اتهمت فى الانجيل اتحاما ، فأى شيء ادخلها فى الانجيل المنزل
من السماء ؟

فالأولى بك أن تقطع أن هذا غير منزل .

٢ — ذكر انجيل « لوقا » انه لما نزل بيسوع عليه السلام الجزع من
اليهود ظهر له ملاك السماء ليقويه . (انظر لوقا ٢٢ : ٤٢)

ثم يذكر ذلك « متى » ولا « مرقس » ولا « يوحنا » !

فان كانوا قد تركوا ذلك ، لم يؤمن أن ينركوا ما هو أهم منه من
الفرائض والأحكام .

وان كان الترك صحيحا فتكون الزيادة كذبا فى النسخة الأخرى ! وليس
هذا سوى التحريف والتبديل مع أن نقل « لوقا » يقتضى رفع المسيح عليه
السلام الى السماء ، لأن الملك لا تقتله اليهود ، وما نزل الا للعصمة من
الأذى ..

وهذا ظاهر وهو مبطل لمعتقدكم فى الصلب . ثم تقوية الملك ان كان
للاهوت المتحد بالناسوت فمحال ، لأن الله تعالى لا يحتاج الى تقوية بغيره
وان كان للناسوت ، فحينئذ أين هو اللاهوت ؟ فما حصل الاتحاد الذى تقولونه .

٣ — قال « يوحنا » ان أول آية أظهرها المسيح عليه السلام هى تحويل
الماء خمر (يوحنا ٢ : ١ — ١١) ، ولم يذكرها الثلاثة الآخر . وإذا أغفلوا
مثل هذا كانوا متهاوتين بالدين ، وان كانت غير صحيحة عندهم ، فكيف ينقل
الدين عن شخص واحد هو يوحنا ، وشرط ثبوت أصل الأديان التواتر .

٤ — قال « يوحنا » أن المسيح غسل أقدام تلاميذه ، ومسحها بمنديل .
كان فى وسطه . (انظر يوحنا ١٣ : ٤ — ١١) وأمرهم أن يقتدوا به فى
التواضع . ولم يذكر ذلك الثلاثة الآخر ، فان كان كذبا دخل الخل ، وان كان
صدقا ، فلم أغفلوه ؟ فدخل الخل أيضا .

=

هـ — قال « متى » : « حينئذ جاء يسوع من الجليل الى الأردن الى يوحنا ليعتمد منه . ولكن يوحنا منعه قائلاً أنا محتاج ان اعتمد منك وانت تأتى » (متى ٣ : ١٣ — ١٤)

وفي موضع آخر يقول : « أما يوحنا فلما سمع في السجن بأعمال المسيح أرسل اثنين من تلاميذه . وقال له : أنت هو الآتى أم ننتظر آخر » . (١١ : ٢ — ٣)

وقال يوحنا : « وفي الفد نظر يوحنا يسوع مقبلاً اليه فقال : هو ذا حمل الله الذى يرفع خطية العالم . هذا هو الذى قلت عنه يأتى بعبدى رجل ... فهذا هو الذى يعمد بالروح القدس » . (١ : ٢٩ — ٣٣)

ولم يشارك أحد من أصحاب الاناجيل « يوحنا » فى الاشارة الى عيسى بأنه حمل الله الذى يرفع خطية العالم . كذلك اضطرب « متى » ، فمرة يحكى عن احتياج « يوحنا » لعيسى وأخرى يبين لنا جزل « يوحنا » — وهو النبى بحقيقة عيسى .

٦ — يحكى يوحنا ان مريم المجدلية جاءت لزيارة قبره ومعها امرأة أخرى، واذا ملك نزل من السماء وقال لهما : لا تخافا فليس يسوع هنا فقد قام بين الاموات . (٢٧ : ١ — ٧)

بينما يحكى « يوحنا » أنها جاءت وحدها فرأت أن الصخرة قد رفعت عن القبر فأسرعت انى « بطرس » وتلميذ آخر ، فأخبرتهما أن المسيح عليه السلام قد أخذ من تلك المقبرة ، فخرج « بطرس » وصاحبه فأبصرا الأكفان موضوعة فى ناحية القبر . وبينما هى واقفة تبكى قال لها يسوع : يا امرأة لماذا تبكين ؟ من تطلبين الخ . (انظر يوحنا ٢ : ١١ — ١٨)

فأى اثروا بين اصح ؟

٧ — لم أغفل « متى » صعود المسيح عليه السلام وذكره « يوحنا » بتعبير غامض (٢٠ : ١٨) وهما من الحواريين الاثنى عشر ، بينما ذكره « لوقا » و « مرقس » وهما ليسا من الحواريين .

(قارن : الفاصل بين الحق والباطل ص ٤٢ — ٤٩) .

[فمثلاً^(١)] استشهدكم بكلام الأنبياء عليهم السلام ، واتخاذكم أقوالهم حجة^(٢) بينكم وبين اليهود • ثم أثبتتم في نص الانجيل أن عيسى قال :

أنا الباب ، فمن دخل علي سلم ، ويجد مرعى أبدا ، ثم عرض بمن قبله من الأنبياء فجعلهم لصوصا وسراقا • فقال آمين ، أقول لكم اني أنا باب الضأن ، والقادمون عليكم كانوا لصوصا وسراقا ، ولا يقبل اللص الا ليسرق شيئا ، ويقتل ، وأنا قدمت لتحيوا ، وتردادوا خيرا^(٣) ولقد رأيتم مفسركم « أوجستين »^(٤) • قد اعتذر عن هذا بهذين لا يلتفت اليه •

وفي الانجيل الذي بأيديكم عنه قال :

ان كنت أشهد لنفسى فشهادتي غير مقبولة^(٥) وغيرى يشهد لى •

ثم في موضع آخر من الانجيل أنه قال :

ان كنت أشهد لنفسى فشهادتي حق ، لأنى أعلم من أين أتيت^(٦) والى أين أذهب •

أخبرنى ! كيف تكون شهادته حقا وباطلا ، ومقبولة وغير مقبولة ؟

وكيف يجمع بين هذين في كتاب منسوب الى الله تعالى ؟ •

(١) في ج ، ت : « ملو من القول ونقيضه ، ولقد رأيتم فيه من النضاد والتناقض ما فيه عجب كاستشهاد » •

(٢) في ج ، ت : « جنة »

(٣) قارن انجيل يوحنا ١ : ٨ - ١٨ •

(٤) في ج ، ت : « لطيفكم أغشيش » وفي ع : « أغشتين » •

(٥) في الانجيل : « فشهادتي ليست حقا » (يوحنا ٥ : ٣١) •

(٦) في الانجيل « من أين جئت » (يوحنا ٨ : ١٤) •

وفي الانجيل الذي بأيديكم عنه ، أنه حين استشعر بوثوب اليهود عليه — بظنكم — قال :

[الآن] قد جزعت نفسي ، فماذا أقول يا أبتاه ؟ فسلمني من هذا الوقت ^(١) وأنه حين رفع في الخشبة صاح صياحا عظيما ، وقال :

ايلى ، ايلى ! لم شبقتنى ^(٢) ، وترجمته : الهى ، الهى لم أسلمتني ^(٣) ؟ ثم في موضع آخر من الانجيل • أنه قال قبل ذلك :

من أحب أن يقفو أثرى فليوهب نفسه ^(٤) •

فحرص على اتلاف النفوس ، فكيف يجزع [هو] مما حرص عليه قبل ؟ أم كيف يكون لها وتجزع نفسه ؟

أم كيف يكون ابنا لله يدعو أن يخلصه من ذلك الوقت فلم يستجب له ؟

وفي الانجيل الذي بأيديكم عن « متى » الحواري ، حين ذكر نسب عيسى عليه السلام :

قال هو ابن يوسف بن يعقوب بن قتان بن اليعازر بن أليود

(١) نص الانجيل : « فقال لهم : نفسي حزينة جدا حتى الموت ... يا أبتاه ان لم يمكن أن تعبر عنى هذه الكأس الا أن أشربها فلتكن مشيئتكم » • (متى ٢٦ : ٣٨ — ٤٢)

(٢) في ج : « لم عرب » ، وفي ت : « لم عذبتني » •

(٣) قارن « متى » ٢٧ : ٤٦ •

(٤) نص في الانجيل : « من أراد أن يأتي ورائي فليترك نفسه ويحمل صليبه ويتبعني • فان من أراد أن يخلص نفسه يهلكها • ومن يهلك نفسه من أجلى ومن أجل الانجيل فهو يخلصها » (مرقس ٨ : ٣٤ — ٣٥)

(٥) في ج : « من يوسف » •

ابن أخيم^(١) [وهكذا الى أن] عد الى ابراهيم الخليل عليه السلام
أربعين أبا^(٢) .

وفي انجيل « لوقا » الحواري يقول في نسب عيسى :

انه ابن يوسف بن هاني^(٣) . وهكذا عد الى ابراهيم
خمسا وخمسين أبا^(٤) .

فكيف يقع هذا الاختلاف في كتاب الله تعالى ؟ حتى أن^(٥) أحد ملوك
العجم غير المنتصرة اطلع [في]^(٦) أناجيلكم على هذا التناقض في نسب
عيسى فعابه عليكم^(٧) وشافه أربابكم فيه ، فلم يكن فيهم من يعتذر عن
ذلك وسقط ما بأيديهم .

ثم ان أحد الأساقفة سمع ذلك على بعد ، فخاطب الملك بعذر
تخيل فيه^(٨) وهو أن النسبين المتناقضين :

أحدهما : نسب طبيعي ، نسب التناسل^(٩) والتوليد .

والآخر نسب شرعي ، نسب الولاء والكفالة .

فاستحسن جمهوركم هذا العذر وعمل عليه .

وفي الانجيل الذي بأيديكم عنه أنه كان يوما قد نهاهم عن التجارة
في بيت المقدس ، وأن اليهود قالت حينئذ : أى علامة تظهر لنا ؟

(١) متى ١ : ١ — ١٧ . (٢) في ج ، ت : « تسعا وثلاثين أبا » .

(٣) في ج ، ت : « يوسف بن متان بن لابي بن ملحا بن منان » .

(٤) في ج ، ت : « تسعا وخمسين » وهو خطأ . انظر لوقا ٣ : ٢٣ — ٣٤ .

(٥) في ج ، ت : « وقد كان » . (٦) في ج ، ت : « من » .

(٧) في ج : « فكأنتم عليكم » . (٨) في ج : « بعد أن تجبل فيه » .

(٩) في ج ، ت : « التنسيل » .

فقال : تهدمون هذا البيت وأبنيه لكم في ثلاثة أيام •
فقالَت اليهود : بيت بنى في خمس وأربعين سنة ، تبنيه أنت فى
ثلاثة أيام ؟ (*) •

ثم فى موضع آخر عنه [يقول انه] لما ظفرت به اليهود — بظنكم —
وحمل الى بلاط عامل [ال] قيصر ، واستدعيت عليه بيعة ، أن شاهدى
زور جاء اليه وقالوا : سمعنا هذا يقول : أنا قادر على بنيان هذا البيت
فى ثلاثة أيام (١) •

أخبرنى ! كيف استجزتم أن تسموهما شاهدى زور ، وقد شهد نص
كتابكم أنه قال ذلك ؟

فان قلت : ان اليهود ظنوا بهذا القول غير ما عنى عيسى ، فان
الشاهدين لم يشهدا على تأويل ، انما شهدا على لفظه ، وما نطق به
لسانه ، وما هو فى كتابكم منصوص (٢) •

وأى تأويل لهذا غير ما يظهر من فحوى مجاوبة اليهود ، من أن
البيت المعنى فى كلامه ، [هو] بيت المقدس ؟

[فقلتُم انما أراد جسمه ، وأنه قام بعد ما صلب بثلاثة أيام ، وأن
الخمس والأربعين هو عدد أرقام اسم آدم بحساب الجمل ، وهكذا من
الهذيانات التى لم تعرف اليهود منها شيئاً ، ولا سمعت أن أسلافها جرى
بينهم وبين عيسى عليه السلام هذا المجلس ولا سوى ذلك مما تصفون
من خرافات كتبكم] (٣) •

(*) نص الانجيل : « آية آية قرينا ؟ ••• فى ست وأربعين سنة بنى هذا
الهيكل » • (يوحنا ٢ : ١٨ — ٢٠)

(١) قارن متى ٢٦ : ٦٠ — ٦١ •

(٢) فى ج ، ت : « وما هو فى كتابكم نص » •

(٣) فى ج ، ت : « فقلتُم فى معنى ذلك أن النخبة التى صنعت منها

=

وفي الانجيل الذي بأيديكم عنه أن يحيى قال فيه : انه يجب أن يكبر
ولا ينقص (١) *

أخبرنى أيها المغرور: عن كان لها تاما كما تصفون * كيف تلحقه
الزيادة ، ويدركه النقصان أو تأخذ الآفات ؟

وقد اعتذر عن سفاف هذه المقالة مفسركم « أوجستين » (٢) ، وأراد
تأويله بنوع [من] الهذيان ، ثم استجى *

وفي الانجيل « للوقا » أن عيسى قال لرجلين من تلامذته :

اذهبوا الى الحصن الذى يقابلكما ، فاذا دخلتما ، فستجدان
جحشا (٣) * مربوطا لم يركبه أحد فحلاه وأقبل به الى (٤) *

=
الخمسة والاربعون من اقطار الأرض، وأن الأحرف التى فى ابتداء السطر اذا حصلت
وجد آدم ، واكدتم التصديق ، فهذا الهذيان الذى لا يؤدى الى معنى باخراج
المعدود من اسم آدم حين نزل حروفه بحساب أبى جاد على خمسة واربعين
من العدد : فأنتم تأولتم قول اليهود بهذا الهذيان ، وأنتم أقررتم انها لم ترد
شيئا من ذلك ، وانها أرادت المدة التى يبنى فيها بيت المقدس ، ومن أعجب
الاشياء أن اليهود لا تعرف شيئا من هذا ولا سمعت أن أسلافها جرى بينهم وبين
عيسى هذا المجلس ، ولا سوى ذلك مما تصفون من مزخرفات أصل مزخرفات
كتبكم » *

(١) نص الانجيل : « ينبغى أن ذلك يزيد وأنى أنا أنقص » *
(يوحنا ٣ : ٣٠)

(٢) فى ج ، ت : « مفسركم ولطيفكم أعمس » *

(٣) فى ج ، ت : « فلوا » *

(٤) نص الانجيل : « اذهبوا الى القرية التى امامكما وحين تدخلونها تجدان
جحشا مربوطا لم يجلس عليه أحد من الناس قط فحلاه واتيا به »
(لوقا ١٩ : ٣٠)

وفي الانجيل « لمتى » يصف هذا الخبر بعينه ، ويذكر [أنه كان معها أثنائه] ^(١) فحسبك [هنا] من خلل ووقوع تشكيك .

وفي الانجيل « للوقا » يخبر عن المرأة التي صبت الطيب على رجلى المسيح ، و [أنكرك ذلك] ^(٢) التلاميذ ، وقالوا : هلا تصدقت به ^(٣) .

وفي الانجيل « لمتى » يصف هذا الخبر بعينه [ويذكر] أنها انما صبت الطيب على رأس المسيح ^(٤) .

فما أبعد اليقين عن خبر فيه هذا الاختلاف ؟

وفي الانجيل أن أم ابني [زبدى] ^(٥) جاءت الى عيسى ، ومعها ابناها ، فقال : ما تريدان ؟

فقلت : أريد أن يجلس ولدى : أحدهما عن يمينك ، والآخر عن يسارك ، اذا جلست فى ملكك .

فقال : تجهلين السؤال . أيصبران على الكأس الذى أشرب ؟

فقالا : نصبر .

فقال : سيشربان بكأس ، وليس تجليساكما عن يميني ، ولا عن شمالي الا الى من وهب ذلك الى ^(٦) .

(١) فى ج ، ت : « أنها انما كانت حمارة متبعة » . قارن متى ١٠: ٢١ — ٢ .

(٢) فى ج ، ت : « شق على » .

(٣) قارن لوقا ٧ : ٢٦ — ٥٠ .

(٤) متى ٢٦ : ٧ .

(٥) فى ج : « سداى » . وفى ت : « أن أم سداى » .

(٦) قارن متى ٢٠ : ٢٠ — ٢٣ .

فها هو ذا عيسى قد أقر أنه ليس له من الأمر شيء^(١) .

ومن أعجب الأشياء ، التماس بعضكم تأويلا لهذه المقالات
المشينة^(٢) . [فتنقلون من الفاسفة تارة ومن العلوم الروحانية أخرى]^(٣)
حين [لا تجدون لنصوصكم مخرجا شرعيا]^(٤) .

وأيم الله ! ما يعلم في معمر الأرض ديانة يتشرع بها انسان^(٥)
تضاد الفلسفات والعقليات التي ادعيتم تجويز محالاتكم عليها مثل
ملككم^(٦) .

ولعمري^(٧) ان العرب ، عبدة الأوثان — الذين بعث الله فيهم سيد
النبين ، والمرسلين ، محمدا صلى الله عليه وسلم — كانوا أشد الكفار^(٨)
عبادة [للأوثان] وأشنعهم الحادا [ورغم هذا] فلقد انتقوا من مثل ما أنتم
عليه حين قالوا عن أوثانهم وأصنامهم :

« ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى »^(٩) .

فكانهم نزهاوا الله تعالى [الا أنهم] جعلوا واسطة بينهم وبينه
جهلا منهم .

(١) ليس هذا النص دليلا على التناقض في الانجيل ، وانما يساق
دليلا على عدم الوهية عيسى ، لأنه فوض الأمر لله العلى القدير .

(٢) في ج : « البشعة » .

(٣) في ج ، ت : « من فلسفة ، وروحانية » .

(٤) في ج : « يهديكم المقبولات الشرعية » ، وفي ت : « حتى نبذتم
المعقولات الشرعية » .

(٥) في ج : « يسرع بها انسانا » .

(٦) في ج : « من مثلكم » .

(٧) في ج ، ت : « ولقد تعلم » .

(٨) في ج ، ت « كانوا شر الكفار » . (٩) الزمر : ٣ .

ما أبين فضل^(١) هؤلاء على من اعتقد أن الله تبارك [وتعالى] ،
نزل من السماء عن كرسى عظمته ، ودخل في امرأة ، وأقام يتخبط تسعة
أشهر في بحر^(٢) بين بول ودم وطمث ثم خرج بعد ذلك الى لطم اليهود
خديه وصفعهم في قفاه وبصقهم في وجهه ، ووضعهم تاجا من الشوك
على رأسه وقصبة في يده استخفافا به ، وتسميرهم يديه ورجليه في
خشبة ، وصلبهم اياه عليها^(٣) ، وايجابه تبارك وتعالى على نفسه
اللعنة ، بذلك ، لأنه تعالى قال في التوراة : « ملعون ، ملعون من تعلق
بالصليب »^(٤) .

ولقد جعلتموه سفيها حين وصفتموه بهذا وهو قادر ، وأوجبتم شكر
اليهود على أنفسهم ، فان فعلهم به أرشد من فعله بنفسه ، حين أعادوه
الى سمائه ، وصرفوه الى كرسى عظمته .

وقد كان سفها بأن أهان نفسه وأنزلها في غير نصابها .
نستعيز بالله من شر هذا الالحاد الذي شرعتموه ، ونستهديه أوضح
سبل الرشاد الذي حرمتوه : ، تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا .
ومما في الانجيل عنه من التناقض أنه قال : لا تحسبوا أنني قدمت
لأصلح بين أهل الأرض ، لم آت لأصلحهم لكن الألقى المحاربة بينهم .
انما قدمت لأفرك بين المرء وابنه ، وبين الابنة وأمها ، حتى يصير أعداء
المرء أهل بيته^(٥) .

(١) في ج : « ما من فضل » . (٢) في ج : « من بحر » .

(٣) قارن « متى » ٢٧ : ٢٨ - ٣١ « مرقس » ، ١٥ : ١٦ - ٢٠ ،
« لوقا » ٢٢ : ٦٣ - ٦٥ « يوحنا » ١٩ : ١ - ٥ .

(٤) نص التوراة : « واذا كان على انسان خطية حقها :أوت فقتل وعلقته
على خشبة فلا تبت ، جثته على الخشبة بل تدفنه في ذلك اليوم لأن المعلق
ملعون من الله » . (سفر التثنية ٢١ : ٢٢ - ٢٣)

(٥) قارن متى ١٠ : ٣٤ - ٣٦ .

وفي الانجيل أيضا عنه أنه قال : انما قدمت لتحيوا وتردوا خيرا ،
وأصلح بين الناس ^(١) .

ففي الأول جعل المسيح نفسه نقمة على العالم ، وفي الثاني رحمة
عليهم ، وهذا كلام نبريء الحواريين منه .

وأنه قال : من لطمك على خدك الأيمن ^(٢) فانصب له الأيسر ^(٣) .

وفي الانجيل عنه أنه قال : لم آت الأنقض شريعة من قبلي ،
انما جئت لأتمم ^(٤) .

وما أشبه هذا ، ثم فيه بعد أحرف قليلة كلام آخر ينقض فيه
شريعة التوراة حرفا حرفا ، في قوله :

أما علمتم أنه قيل للإقدماء : لا تقتلوا ومن قتل فقد استوجب القتل ،
وأنا أقول : كل من سخط على أخيه فقد استوجب العقوبة .

ومن شذف أخاه ، فقد استوجب النفي من الجماعة ، ومن رماه
بالحرق ، فقد استوجب جهنم .

أما علمتم أنه قيل للإقدماء : من فارق امرأته ، فليكتب لها كتاب
الطلاق ؟ .

وأنا أقول : من فارق امرأته منكم ، فقد جعل لها سبيلا إلى
الزنا ^(٥) ومن تزوج مطلقة فهو فاسق .

(١) هذا النص ترجمة لما تحتويه موعظة الجبل .

انظر متى : الاصحاح الخامس والسادس والسابع .

(٢) في ج : « بخديك » . (٣) قارن متى ٥ : ٣٩ .

(٤) قارن متى ٥ : ١٧ . (٥) في ج : « الزواج » .

وقوله : أما بلغكم أنه قيل للقديما : العين بالعين والسن بالسن ؟
وأنا أقول لكم : لا تكافئوا أحدا بسيئة ، ولكن من لطم خدك اليمنى ، فانصب له خدك اليسرى ، ومن أراد مغالبتك ، وانتزع قميصك ، فزده أيضا رداءك ومن سألك شيئا فأعطه ، ومن استسلفك فأسلفه (*) .
أخبرنى أيها المغرور عن هذا الخلاف ! أتعده تتميما أو نقضا
لشريعة من سبقه ؟

وفى الانجيل « لمتى » عن المسيح أنه قال « لبطرس » :
طوبى لك يا شمعون بن الحمام ، وأنا أقول لك انك الحجر ، وعلى هذا
الحجر أبني بيتى ، فكل ما حللته على الأرض يكون محلولا فى السماء ،
وما عقدته على الأرض يكون معقودا فى السماء (١) .

ثم فيه بعد أحرف يسيرة يقول له — أى « لبطرس » :

اذهب [عنى] يا شيطان ، ولا تعارضنى ، فانك جاهل (٢) .

فكيف يكون شيطاننا جاهلا ويطيعه صاحب السماء ؟

وفى الانجيل أيضا نص [يفيد] أنه لم تلد النساء مثل يحيى ، هذا
ما [جاء] فى انجيل « متى » (٣) .

ثم فى انجيل يوحنا أن يحيى بعثت اليه اليهود من يكشفون لهم عن
أمره ، فسألوه من هو : أهو المسيح ؟

قال : لا .

قالوا : أخبرنا ! من أنت ؟

قال : أنا صوت صارخ فى البرية (٤) .

(*) قارن متى ٥ : ٢١ — ٤٤ . (١) قارن متى ١٦ : ١٧ — ١٩

(٢) قارن متى ١٦ : ٢٣ . (٣) قارن متى ١١ : ١١ .

(٤) فى ج ، ت : « أنا صوت مفاد فى المفاز » .

الى كلام كثير ينفي [فيه] عن نفسه ، كونه الياسا ، أو كونه نبيا^(٥)
ولا يجوز لنبي أن ينكر نبوته •

وقال في هذا الكلام [حين]^(١) ذكر عيسى أنه لا يصلح أن يحل
شراك نعله^(٢) ، وسماه حمل الله^(٣) ، وأنتم تقولون : هو الله •

وكذلك تتالون من الانجيل الذي بأيديكم [حين تدعون] أنه لا نبي
بعده [أي بعد عيسى ثم تثبتون] فيه أيضا أنه كان بعده بأنطاكية أنبياء
منهم « برنابا » ، و « سمعان » ، « ولوكيوس » ، و « مناين »^(٤) •

وكذلك في كتبكم أنه قدم أنبياء الله من البيت المقدس ، وقام آخرهم
— وكان يتيما [اسمه] « أغبانوش » — فتنبأ [بحط شامل ومجاعة عامة]^(٥) •

وفيهما [أي الكتب] أن « جرجيس » [جاء] بعده ، وبعث الى ملك
الموطى وهو من أهل فلسطين ، وكان قد أدرك بعض الحواريين •

فأنتم القائلون أن لا نبي بعد المسيح ، وأنتم المصدقون بنبوة هؤلاء
كلهم ولم يكن لهم من الذكر في الكتب ولا [في أخبار الأنبياء] مثل ما للذي
كفرتم •

(*) قارن يوحنا ١ : ١٩ — ٢٧ •

(١) في ج ٥ ت : « وقد » . (٢) في ج : « شراك عينيه » .

(٣) في ج ، ت : « حروف » باهمال الأول • لكن في الانجيل (حمل)
انظر يوحنا ١ : ٣٧ — ٢٩ •

(٤) في ج : « فاربه (بدون نقط) وشمعون ، ولو موسى (بدون نقط)
وما ثل . وهذا خطأ ، إذ جاء في أعمال الرسل الاصحاح الثالث عشر : « وكان
في أنطاكية في الكنيسة هناك أنبياء ومعلمون » برنابا » ، « وسمعان » الذي
يدعى « نيجر » ، « ولوكيوس » القيرواني « ومناين » الذي تربى مع
« هيرودوس » رئيس الربع ، وشارل » . (أعمال الرسل ١٣ : ١)

(٥) في ج : « فتنبأ وقال : انه يكون في بلاد مجاعة ، وقحط شديد » •

« وأقتصر على هذا من تهافت أناجيلكم ، وما اشتملت عليه من الزلل ،
والأباطيل •

ومن طالع كتبكم ، وأناجيلكم وجد فيها من العجائب ما يقضى له
بأن شرائعكم وأحكامكم ونقولكم قد تفرقت تفرق أبدى سبأ ، وأنكم
لا تلتزمون مذهبا [وليس هذا بغريب] فأنجيلكم [ما هي الا] حكايات ،
وتواريخ ، وكلام كهنة ، وتلاميذ وغيرهم • حتى أنى أحلف بالذى لا اله
الا هو أن تاريخ الطبرى عندنا أصبح نقلا من الانجيل ، ويعتمد عليه المعقل
أكثر ، مع أن التاريخ عندنا لا يجوز أن ينبنى عليه شئ من أمر الدين ،
وانما هو فكاهات فى المجالس •

وتقولون مع ذلك : ان الانجيل كتاب الله ، أنزله الينا ، وأمر
المسيح باتباعه •

فليت شعرى ! أين هذا الانجيل المنزل من عند الله ! وأين كلماته من
بين هذه الكلمات ! •

[ان] الذى تنتقلونه عن عيسى عليه السلام لفظا — وهو قليل —
لا يلزم أن يكون منزلا من عند الله ، لأن المسيح عليه السلام كان يتكلم
بأشياء على وجه النصيحة ، ومن مقتضى الطباع البشرية ، وغير ذلك •
فهذا كله ليس من عند الله ، فنحن لا نقول : ان كل ما تكلم به محمد صلى
الله عليه وسلم قرآن • وقد نقل عنه القرآن — الموحى به من ربه لفظا —
نقلا متواترا ، يقطع بصحته الخلف والسلف • أما أنتم فلا يتعين لكم
شئ مما أنزل الله أبدا ، فضلا عن نقله بعد تعيينه •

[ابطال دعوى صلب المسيح من الانجيل]

ثم قلت : انه لا ينكر صلبه [أى عيسى] الا كافر ، وما ذلك الا ضلالات ابتدعتها ، ومحالات على رعاى الأعاجم أجزتموها ، وأيم الله ! انكم لفي شك منه ، ما لكم به من علم الا اتباع الظن ^(١) .

والا فأخبرنى أيها المغرور ! ما معنى قول « يهوذا الأسخريوطى » ^(٢) [وهو من الحوارين ، تلاميذ المسيح ، ارتد عنكم بزعمكم] ودل عليه بظنكم — حين خرج مع اليهود الى طلبه ، قال لهم : انى أستحي منه [ولذا فسوف] أبجل الأمانة عليه — حيث أنكم لا تعرفونه بعينه — أن أقبله . فاذا فعلت فأنتم وذاك ^(٣) .

فهذا يشهد أن اليهود لم تكن تعرفه ، وهذا منصوص فى انجيلكم ^(٤) ومن نصوصكم أيضا أنهم حين أحاطوا بعيسى ومن معه ، خرج بنفسه اليهم وقال : من تطلبون ؟

قالوا : يسوع الناصرى ^(٥) .

قال : أنا هو .

(١) « .. وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم ، وان الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ، ما لهم به من علم الا اتباع الظن ، وما قتلوه يقينا » (النساء : ١٥٧)

(٢) فى ج . ت : « اليهود الأشكوريوت » .

(٣) نص الانجيل : « والذى اسلمه اعطاهم علامة قائلا الذى اقبله هو هو . أمسكوه » (متى ٢٦ : ٤٨)

(٤) فى ج : « وهذا فى انجيلكم أيضا » ، وفى ت : « وهذا فى انجيلكم وفى نصوصكم أيضا » .

(٥) فى ج : « باشر القازرى » .

فنظروا الى يهوذا [نظرة تساؤل عن الاشارة التي اتفقوا معه عليها ، ففعلها] ^(١) فقبضوا ^(٢) عليه بظنكم ^(٣) .

• أخبرنى !

كيف أمنتكم [والحال كما رويتكم] أن يكون قد عمدت الى سواء — [حيث] كانت لا تعرفه — ورفعته الله ، كما رفع أخنوخ النبى ^(٤) .

(١) فى ج : « فنظروا الى أن أظهر يهود الأمارة » .

(٢) فى ج : « فقبضوا » .

(٣) اتفقت الأناجيل الثلاثة — « متى » ، « ومرقس » ، « ولوقا » — فى رواية التبص على عيسى عليه السلام — كما يزعمون — ، اذ نصت على أن « يهوذا الأسخريوطى » قبل عيسى ، فعرفه الجند ، فقبضوا عليه ، وخالفهم فى ذلك « يوحنا » فقد جاء فى انجيله :

« فأخذ يهوذا الجند وخداما من عند رؤساء الكهنة والفريسيين وجاء الى هناك بمشاعل ومصابيح وسلاح ، فخرج يسوع وهو عالم بكل ما يأتى عليه وقال لهم : من تطلبون ؟ أجابوه : يسوع الناصرى . قال لهم يسوع : أنا هو . وكان يهوذا مسلحه أيضا واقفا معهم . فلما قال لهم انى أنا هو رجعوا الى الوراء وسقطوا على الأرض . فسألهم أيضا : من تطلبون . فقالوا : يسوع الناصرى . أجاب يسوع : قد قلت لكم انى أنا هو . فان كنتم تطلبوننى فدعوا هؤلاء يذهبون . لئتم القول الذى قاله ان الذى أعطيتنى لم أهلك منهم أحدا . . . ثم أن الجند والقائد وخدام اليهود قبضوا على يسوع وأوثقوه . ومضوا به » (يوحنا ١٨ : ٣ — ١٢)

(٤) فى ج : « خنوخ » ، فاسمه فى التوراة العبرية : « خنوخ » وفى الترجمة العربية « أخنوخ » .

من هو « أخنوخ » هذا ؟

جاء ذكره فى الكتاب المقدس خمس مرات :

(١) أخنوخ بن يارد بن مهلائيل بن قينان بن أنوش بن شيت بن آدم عليه السلام (التكوين ٥ : ١ — ٢٠) ، ثم أخبر أن الله أخذه :

=

« وسار » أخنوخ « مع الله ، ولم يوجد ، لأن الله أخذه » (التكوين ٥ : ٢٤) .

(ب) ذكر كاتب « أخبار الأيام الأول » نسبه ، وهو مطابق لما ورد في سفر التكوين . (١ - ١)

(ج) كذلك أورده « لوقا » في أنجيله ، عندما تحدث عن نسب المسيح ، فاتفق مع سابقه في سلسلة نسبة — أى أخنوخ — (حتى آدم عليه السلام) . (لوقا ٣ : ٣٧) .

(د) جاء في الرسالة الى العبرانيين : « بالايمان نقل » أخنوخ « لى لا يرى الموت ، ولم يوجد لأن الله نقله » . (١١ - ٥) .

« اتفق هذا النص مع نص سفر التكوين ، وإن اختلفت الألفاظ ، ففى سفر التكوين « . . أخذه . . » وهنا « . . . الله نقله » ، فاليهود والمسيحيون يفسرون كلا التعبيرين بأن الله رفعه الى السماء .

(هـ) أما ما حكى في « رسالة يهوذا » فلم يخرج عن كونه أخبارا بأن : « أخنوخ » هو النبی السابع بعد آدم ، بلغ رسالة ربه الى الناس مبينا لهم انه سوف يعاقب الفجار على ما اقترفت أيديهم . . . الخ » . (قارن « رسالة يهوذا » ١٤ - ١٦)

يفضح من هذه النصوص اتفاق الكتاب المقدس بقسميه : العهد القديم ، والعهد الجديد — على :
— سلسلة نسب « أخنوخ » .
— وأن الله رفعه حيا .

ماذا تقول المصادر الاسلامية عنه ؟

لم يذكر القرآن الكريم هذا الاسم اطلاقا ، الا أن المؤرخين عندما تحدثوا عن ادريس عليه السلام ، قالوا انه ابن يارد بن مهللئيل ابن قينان بن انوش ابن شيث بن آدم عليه السلام ، واسمه في التوراة « أخنوخ » .

ثم رووا قصة عن كعب ، تفيد أن الله رفعه الى السماء ، ردا على سؤال لابن عباس عن تفسير قوله تعالى : « (ورفعناه مكانا عليا) » .

=

والعلمك صدقتم [يهوذا] الاسخريوطى^(١) في دلالاته عليه ، [و]
في نص انجيلكم ، أنه مرتد ، كافر ، ملعون • فشهادته اذن غير جائزة ، أو
لعله عندما عاينه ، وأدركته الندامة ، جعل الامارة على غيره من التلاميذ ،
وسارع التلميذ الى وقايته بنفسه •

والدليل على قيام هذا الاحتمال أنه في نص الانجيل الذي بأيديكم أن
« يهوذا الاسخريوطى » أدركته الندامة حينئذ ، و [أعاد]^(٢) لهم
المثلاثين • درهما التى كان باعه بها ، اذ أعلمهم أنه ليس [هو] ذلك
[المقبوض عليه] •

فقالت له اليهود : وما علينا^(٣) ! •

=
(انظر : ابن كثير : قصص الأنبياء ج ١ ص ٧١ — ٧٥ ، والثعالبي
ص ٤٢ — ٤٣ ، والطبرى : جامع البيان في تفسير القرآن : ج ١٦ ص ٧٢) •
ولا يخفى أن هذا كله اسرائيليات ، اذ تدل الآية القرآنية على أن الله رفع
قدره ، لا على أنه رفعه الى السماء ، فتوجيهها الى المعنى الذى روى عن
كعب متأثر بتيار انتشار الاسرائيليات فى المجتمع الاسلامى •

كذلك اعتمد المؤرخون فى نسب « ادريس » عليه السلام على ما جاء فى
الكتاب المقدس بشأن « اخنوخ » ، ويبدو لى أن ولوعهم بذكر نسب كل نبى
ورد اسمه فى القرآن ، دفعهم الى القول بأن « ادريس » هو « اخنوخ » ،
اذ عندما تصدوا لكتابة قصص الانبياء ، وجدوا أن القرآن الكريم أشار الى
بعضهم اشارات عابرة — لأنه ليس كتاب قصص فى المقام الأول بل هو
تشريع — لذا بحثوا عما سكنت عنه فى الكتاب المقدس ، فكان عملهم هذا
غير علمى — فى محيط المجتمع الاسلامى — اذ المصدر الذى يعتمد عليه فى
البحث العلمى ، يشترط فيه أن يكون صحيحا ، وخاصة ما يتعلق بشرح ما جاء
فى القرآن الكريم ، وعليه فقول المؤرخين المسلمين ان « ادريس » هو « اخنوخ »
يفتقر الى دليل صحيح من مصادر التشريع الاسلامى •

(١) فى ج ، ت : « الاشكريوث » .

(٢) فى ج : « وحرف » . (٣) قارن متى ٢٧ : ٣ — ٤ .

فأنت ترى هذه الغدامة ، وهذا القول لليهود [وتقرأها في]
أنجيلكم^(١) وقلتم :

(١) تتلخص ملاحظات أبى عبيدة التى استنتجها من الانجيل للتدليل على
أن الشخص الذى صلبته اليهود ثم يكن عيسى فيها يلى :

(ا) لم يكن عيسى بشخصه معروفا لدى رجال الشرطة ، التى أمرت
بالقبض عليه ، ولذا أخذوا معهم « يهوذا الاسخريوطى » ليعينه لهم .

(ب) ثبت أى يهوذا ندم على استعدادده لمعاونة الشرطة ، فى تعيين شخص
عيسى من بين التلاميذ ، ورد لهم المبلغ الذى أخذه منهم .

(ج) يحتمل بناء على هاتين الملاحظتين — وهما مذكورتان فى الانجيل نصا —
أن يهوذا أدركته الغدامة قبل وصوله مع رجال الشرطة ! الى المكان الذى فيه
عيسى مع تلاميذه ، فعين لهم أحد التلاميذ على أنه عيسى ، ولم ينكر التلميذ
رغبة فى انتاذ معلمه فأخذ ، وصلب .

ولا يرفع هذا الاحتمال ذهاب مريم المجدلية الى القبر ، واخبارها بقياسم
عيسى عليه السلام ، لأنها لم تكن مع التلاميذ ، حين ذهبت الشرطة للقبض
عليه ، ولم يخبروها بأن المقبوض عليه ليس عيسى ، حتى لا ينتشر الخبر ،
فتعاود السلطات البحث عن عيسى . كذلك لم يكذبوها حين روت أنه قُبل
من قبره ، لأن فى ذلك رفعا لشأنه . وعاملا تويلا لحمل الناس نفسيا على الايمان
بالمسيحية .

اعتقدت مريم بأن المصلوب هو عيسى ، فصدمت نفسيا ، ولم تصدق
الواقع ، فأمنت — تحت تأثير الصدمة — بإمكان رجعته بعد موته ، وتلك
ظاهرة معروفة فى كل الجماعات الدينية ، فاننا « اذا تتبعنا تطوّر الجماعات
الدينية فى معتقداتها وجدنا أن عقيدة الرجعة لانسان معين تنم عن تقدير المعتقد
لهذا الانسان المعين ، وعن حبه له ، بل عن شدة الوله به ، وعن هذا الحب
الشديد ، والرغبة المتزايدة فى الحرص على بقائه ، ولقائه ، ومحادثة ، ينشأ
شك الحب فى قتل من يحبه أو موته ، لو سمع بأنه قتل ، أو مات . فإذا اصطدم
بالحقيقة الواقعة ، وهى أنه لم يعد يراه يقظة ، ولم يعد يتحدث اليه مشافهة
بعد فوات وقت طويل على ذلك ، لم يصدق بهوته أو قتله مع ذلك ، ويؤمن
بغيبته فحسب . ثم بناء على ذلك بأوبته ورجعته يوما ما . طالبت فترة الغيبة
أم قصرت . لأن الحب القوى يخلق املا قويا قد يتعارض مع واقع الأمر .

انه خنق^(١) نفسه^(٢) . وتأويل المفسرين منكم في خنق نفسه :
أنه^(٣) أراد الاسراع عاجلا الى جهنم ، قبل نزول عيسى اليها ، ليخرج^(٤)
من فيها حين فداهم بدمه من عذابها . فأراد يهوذا أن يكون من جملة
المخرجين .

وقلتم : ان عيسى أبى الا أن يكون [أى يهوذا] فيها من المخلدين^(٥) .
فأما^(٦) اليهود فانها قتلت رجلا لم تعينه — باقرار كتابكم —
ولم^(٧) تعرفه الا بشهادة يهوذا الأسخريوطى ، أنه ذلك المطلوب وأما

والنفس موزعة بين الأمل القوى ، والوانع الذى لامراء فيه ، لا تترك الى
طرف منهما . وهذه حال الشك .

ولكن عيشة النفس في الأمل أهدأ وأرغد ، لأن متعتها فيه أطول ، ولأنه
ملجؤها عند فرارها من الواقع . ولهذا ترجح البقاء فيه عن النزول الى عالم
الحقيقة ، وهذا هو حال ترجيح أحد طرفي الشك . وهو هنا ترجيح غيبة
المحبوب ، دون الاعتقاد بقتله ، أو موته الذى نمثل الواقع ، ثم يصبح هذا
الترجيح عقيدة بالغيبة .

فإذا اطمأنت النفس عندئذ الى غيبة المحبوب تحول هذا الاطمئنان الى
أمل قوى في عودته ، لأنها شديدة الحرص من قبل على رؤيته يقطعة ، ومشافهته
في الحديث . ثم يتحول هذا الأمل بعد مرور فترة أو فترات عليه الى عقيدة
برجعته . (البهي : انجائب الالهى ج ١ ص ٩٢ — ٩٣)

اشتد هذا الأمل عند مريم ، فتخيلته واقعا ، فأخبرت بأنها رأت عيسى
عليه السلام ، وكلمها ، ولم يكن ذلك سوى هواجس النفس ، التى لا تدع
للوانع من شدة ما ألم بها من الحزن .

(١) في ج : « خلق » . (٢) متى ٢٧ : ٥ .

(٣) في ج : « اذا » . (٤) في ج : « فيخرج » .

(٥) يشير بذلك الى ما ورد في الانجيل على لسان عيسى عليه السلام :
« ويل لذلك الرجل الذى به يسلم ابن الانسان . » كان خيرا لذلك الرجل
لو لم يولد » (مرقس ١٤ : ٢١)

(٦) في ج : « وأما » . (٧) في ج : « لا تعينه ولا » .

أنتم فلا كتاب عندكم صادق بتحقيق ذلك ، ولا خبر قاطع للحجة •
كيف لا ، ونصوص الانجيل ، والكتب النصرانية ، متضافرة دالة
على عدم صلب عيسى عليه السلام ووقوع الشبه على غيره ، وذلك من
وجهين :

أحدهما : جاء في الانجيل أن المصلوب قد استسقى اليهود ، فأعطوه
خلا ممزوجا بمرارة ، فذاقه ولم يشربه ، فنادى : الهى ! الهى ! لم خذلتنى ؟
والأنجيل كلها مصرحة بأنه عليه السلام كان يطوى أربعين يوما وليلة ،
ويقول للتلاميذ : ان لى طعاما لستم تعرفونه • ومن يصبر على العطش
والجوع أربعين يوما وأربعين ليلة ، كيف يظهر الحاجة والمذلة والمهانة
الأعدائه بسبب عطش يوم واحد ! هذا لا يفعله أدنى الناس ، فكيف
بخواص الأنبياء ؟ أو كيف بالرب تعالى ، على ما تدعونه ؟ فيكون حينئذ
المدعى للعطش غيره ، وهو الذى شبه لكم •

ثانيهما : الهى ! الهى ! لم خذلتنى ؟ هو كلام يقتضى عدم الرضا
بالقضاء وعدم التسليم لأمر الله تعالى • وعيسى عليه السلام منزّه عن
ذلك • فيكون المصلوب غيره ، لا سيما وأنتم تقولون ان المسيح عليه السلام
نزل ليؤثر العالم على نفسه ، ويخلصه من الشيطان ورجسه • فكيف تروون
عنه ما يؤدى الى خلاف ذلك ؟ مع روايتكم فى توراتكم أن ابراهيم
واسحاق ويعقوب وموسى وهارون عليهم السلام لما حضرهم الموت ، كانوا
مستبشرين بلقاء ربهم ، فلم يجزعوا من الموت ، ولم يهابوا مذاقه ولم
يعيبوه ، مع أنهم عبيد الله ، والمسيح — بزعمكم — ولد ، ورب ، فكان
ينبغى أن يكون أثبت منهم ، ولما لم يكن ذلك دل على أن المصلوب غيره •

ولعلك تقول : ان القول بالقاء الشبه على عيسى عليه السلام
يفضى الى السفسطة والشك فى الحقائق ، والدخول حينئذ فى الجهالات ،
وما لا يليق بالعقلاء ، لأننا اذا جوزنا القاء شبه الانسان على غيره ، فاذا

رأى الانسان ولده لم يثق بأنه ولده ، ولعله غيره ألقى عليه شبه ولده ، وكذلك القول في امرأته وسائر معارفه • لا يثق الانسان بأحد منهم ولا يسكن اليه •

ونحن نعلم بالضرورة أن الانسان يقطع بأن ابنه هو ابنه ، وأن كل واحد من معارفه هو من غير شك ولا ريب ، بل القول بالشبه يمنع الوثوق بمدينة الانسان ووطنه اذا دخله ، ولعله مكان آخر ، ألقى عليه الشبه ، فلا وثوق بوطنه ، ولا بسكنه ، ولا بالفه ، ولا بشيء مما يعرفه •

بل اذا غمض الانسان عينه عن صديقه بين يديه ، ثم فتحها في الحال ، ينبغي له أن لا يقطع أنه صديقه ، لجواز أن يلتقى شبهه على غيره •

لكن جميع ذلك خلاف الضرورة ، فيكون القول بالشبه محال ، كالقول ان الواجد نصف العشرة ، والمثلث هو عين المربع •

ويكون قصدك من ذلك كله أن يكون المصلوب هو عين عيسى عليه السلام • فان قلت ذلك ، أجيبك بما يلي :

ان قولك هذا تهويل ليس عليه تعويل ، لأن البراهين القاطعة والأدلة المساطعة قائمة على أن الله خلق الانسان وجملة أجزاء العالم ، وأن حكم الشيء حكم مثله ، فما من شيء خلقه الله تعالى في العالم الا وهو قادر على خلق مثله ، اذ لو تعذر خلق مثله ، لتعذر خلقه في نفسه ، فيلزم أن يكون خلق الانسان مستحيلا ، بل جملة العالم ، وهو محال بالضرورة •

واذا ثبت أن الله تعالى قادر على خلق مثل لكل شيء في العالم ، فجميع صفات جسد عيسى عليه السلام لها أمثال في حيز الامكان في العدم ، يمكن خلقها في محل آخر ، غير جسد عيسى عليه السلام فيحصل الشبه قطعاً •

والقول بالشبه قول بأمر ممكن ، لا بما هو خلاف الضرورة ، ويؤيد

ذلك أن التوراة مصرحة بأن الله تعالى خلق جميع ما للحية في عصاة موسى عليه السلام ، وهو أعظم من الشبه ، فان جعل حيوان يشبه حيوانا أقرب من جعل نبات يشبه حيوانا ، وقلب العصا حية تسعى مما أجمع عليه اليهود والنصارى ، كما أجمعوا على جعل النار لابراهيم عليه السلام بردا وسلاما ، وعلى قلب الماء خمرا ، فاذا جوزتم مثل هذا ، جوزتم أيضا اللقاء الشبه من غير استحالة^(١) .

ثم ان الانجيل عندكم ناطق بأن عيسى عليه السلام نشأ بين ظهور اليهود في مواسمهم وأعيادهم وهياكلهم ، يعظهم ويعلمهم ، ويناظرهم ، ويعجبون من براعته وكثرة تحصيله ، حتى كانوا هم يقولون : أليس هذا ابن يوسف ؟ أليست أمه مريم ؟ أليس أخواه عندنا ؟ فمن أين له هذه الحكمة ؟

واذا كان كذلك في غاية الشهرة والمعرفة عندهم ، فلم نص الانجيل على أنهم وقت ما أرادوا القبض عليه لم يحققوه ، حتى دفعوا الأحـد تلاميذه — وهو يهوذا — ثلاثين درهما ليدلهم عليه . فجاء ليلة الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر نيسان ، ومعه جماعة من اليهود ، ومعهم السيوف والعصى من عند رؤساء الكهنة ، وقال لهم التلميذ المذكور : الذي أقبله هو مطلوبكم فامسكوه .

فلما جاء قال : السلام عليك ، ثم قبله ، فقال له يسوع : لماذا جئت يا صاحب ؟ فوضعوا أيديهم عليه وربطوه . وتركه التلاميذ كلهم وهربوا ، وتبعه « بطرس » من بعيد . فقال له رئيس الكهنة : أستحلفك بالله الحي أن تقول لنا ، هل أنت المسيح ؟ فقال له المسيح : أنت قلت ذلك ، وانسى أقول لكم : انكم من الآن لا ترون ابن الانسان حتى تروه جالسا عن يمين القوة آتيا في سحاب السماء^(٢) .

(١) راجع تفسر آخر لكيفية اللقاء الشبه في ص ١٦٢ . مهموشة رقم ١ .

(٢) قارن : متى ٢٦ : ٦٣ — ٦٤ .

فلا شك أن هذا الالتباس العظيم مع تلك الشهرة العظيمة نحو ثلاث سنين في المحاورات العظيمة ، والمجادلات البليغة ، كلها تدل على وقوع التشبه قطعاً ، خصوصاً أن في الانجيل ، أنه أخذ في حندس من ليل مظلم من بستان فشوهت صورته ، وغيرت محاسنه بالضرب والسحب وأنواع النكال . ومثل هذه الحالة توجب الالتباس بين الشيء وخلافه ، فكيف بين الشيء وشبهه ، فمن أين لكم ، أو لليهود القطع بأن المصلوب هو عين عيسى عليه السلام دون شبهه ؟ بل انما حصل الظن والتخمين ، كما قال الله تعالى :

« وما قتلوه يقيناً • بل رفعه الله اليه » (١) •

ثم في الانجيل أيضاً : أن يسوع عليه السلام كان مع تلاميذه بالبستان ، فجاء اليهود في طلبه ، فخرج اليهم عليه السلام ، وقال لهم : من تريدون ؟ قالوا : يسوع • وقد خفى شخصه عنهم ، ففعل ذلك مرتين [يوحنا ١٨ : ٤ - ٨] وهم ينكرون صورته ، وما ذلك الا دليل التشبه ، ورفع عيسى عليه السلام • لا سيما وقد حكى بعض منكم أن المسيح أعطى قوة التحول من صورة الى صورة •

قال متى في انجيله [متى ٢٦ : ٣١ - ٣٤] : بينما التلاميذ يأكلون طعاماً مع يسوع عليه السلام قال : كلكم تشكون في هذه الليلة ، فانه مكتوب أنى أضرب الراعى غنفترق الغنم •

فقال « بطرس » : فلو شك جميعهم ما أشك أنا •

فقال يسوع : الحق أقول لك : انك في هذه الليلة تنكرنى قبل أن يصيح الديك •

فقد شهد عليهم بالاشك ، بل على خيارهم ، « بطرس » ، فانه خليفته

(١) النساء : ١٥٧ ، ١٥٨ •

عليهم ، فقد انخرم حينئذ الوثوق بأقوالكم ، وجزم بالقاء الشبه على غير عيسى عليه السلام •

وصح قوله تعالى . « وان الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ، ما لهم به من علم الا اتباع الظن » (١) •

ومثل هذا كثير •

ومن هنا نعلم أن هذه الإنجيل ليست قاطعة في صلبه ، بل فيها اختلافات وشكوك كثيرة ، كما قدمت لك • وان أردت أن أزيدك توضيحا ، تذكر ما فعله « يهوذا » ، ويحتمل أن يكون قد كذب في قوله لليهود : ويدل على وقوع ذلك منه ، ظهور الندم منه بعد ذلك •

وقول المسيح عليه السلام : يا صديق ويا صاحب ! لم أقبلت ؟ ولو كان مصرا على الفساد ما سماه صديقا •

ثم لا تنسى أن الانجيل شهد أن المسيح عليه السلام ، شهد للتلاميذ الاثنى عشر بالسعادة [متى ١٩ : ٢٨] ، وشهادته حق • ولا شك أن السعيد لا يتم منه الفساد العظيم ، اذا شرع فيه ، ويهوذا أحد الاثنى عشر فيلزم :

اما أن يكون يهوذا لم يدل عليه •

أو يكون المسيح عليه السلام ما نطق بالصدق •

أو يكون كتابكم قد تحرف وتبدل •

فاختاروا لكم واحدة من هذه الثلاث •

ثم لنا قول آخر هو : يحتمل أن المسيح عليه السلام ذهب في الجماعة الذين أطلقهم الأعوان ، وكان المتكلم معهم غيره ممن يريد أن يبيع نفسه من الله تعالى وقاية للمسيح عليه السلام •

(١) النساء : ١٥٧ •

وهكذا ليس ببعيد في أتباع الأنبياء عليهم السلام ، فكيف أتباع الاله
على زعمكم ؟

ويمكن أن الأعوان قد اتخذوا عليه رشوة وأطلقوه ، كما أخذوا
رداء الشاب الذي كان يجرى وراءه عند القبض وأطلقوه أيضا •

ثم اذا نقلتم أن يهوذا الحواري مع جلالته قبل الرشوة ، على أن
يعين على أخذه ، فقبول الأعوان الرشوة لاطلاقه أقرب •

ثم هل يستحيل أن يكون الله تعالى قد صور لهم شيطانا أو غيره
بصورته فصلبوه ، ورفع المسيح عليه السلام ؟ يدل على ذلك أنهم سألوه ،
فسكت •

وفي تلك السكتة تتعين النكتة • وهذا ممكن والله تعالى على كل
شيء قدير •

واذا كان ليس عندكم نصوص قاطعة بصلبه ، كما بينا لكم وجوه
احتمالات مانقلتموه ، واليهود ليسوا قاطعين بذلك ، لأنهم اعتمدوا على
قول « يهوذا » ، فأى ضرورة تدعوكم الى اثبات أنواع الاهانة والعذاب
في حق رب الأرباب على زعمكم ؟ ان هذا لمن عجب العجائب ! (١) •

* * *

[ابطال دعوى الصلب بدليل تاريخي]

وانما قيل لكم بعد نحو (٢) مائتين وثلاثين من السنين :

أنه قد كان في سالف الدهر رجل من أمره كذا — وبأضغاث أحلام
من امرأة اسمها [مريم المجدلية] (٣) ، ادعت أنها رأت في منامها هذيانا ،

(١) زيد في ع من : « كيف لا ونصوص الانجيل (الى) عجب

العجائب » . (٢) في ج ، ت : « زمان » .

(٣) في ج ، ت : « اسمها الا انه . . . » .

فقبلتم بأقوالها ، وشرعتم بها من غير يقين ^(١) ، ولا تواتر متصل — وسمع ذلك القيصر ابن « هيلانة » ^(٢) حين كثر عدوه وكاد ملكه يذهب ، لاختلاف ^(٣) رعاياه ، وأنصاره من الروم عليه ، فأراد أن يحملهم على شريعة ، ينظم بها سلوكهم ، ويؤلف متفرقهم ، فاستشار من لديه ، من أهل النظر ، فوقع اختيارهم على أن يتعبد القوم بطلب دم ، ليكون ذلك أقوى ، لارتباطهم معه ، وأكد بجدهم في نصرته • فوجد اليهود يزعمون أن في بعض تواريخهم خبرا عن رجل ، كان منهم ، هم بنسخ حكم التوراة والانفراد ^(٤) بالتأويل فيها ، فطلبوه ^(٥) وهو في نفر [يسير] ^(٦) وظفروا بواحد اعتقدوا أنه المطلوب ^(٧) فصلبوه ، وما عندهم تحقيق بكونه ذلك المطلوب بعينه ، الا فقدهم اياه من حينئذ ^(٨) ، فعمد « قسطنطين » الى من وجد من أمة عيسى [فوجدتهم] قد اختلفت آراؤهم ^(٩) بعد المسيح بأربعين سنة ، والتفت اليهم غير محسوسين في الأرض • لا يظفر بواحد منهم الا قبل ، ومثل به ، فاستخرج « قسطنطين » ما بقى من رسم الشريعة بأيديهم ، وجمع عليه وزرائه ، فأثبت ما شاء ، وما رآه موافقا لاختياره •

كالقول بالصلوبية ، ليعتبد قومه بطلب دم •

والقول بترك الختان لأنه شأن قومه •

ثم [أكد ذلك بـ] خلق منامه ، وذلك أول شيء أظهره من هذا

(١) في ج : « من غير نفس » •

(٢) في ج ، ت : « غير أن « قسطنطين » تيسر الملك بن هلاني » •

(٣) في ج : « باخلال » • (٤) في ج ، ت : « وينفرد » •

(٥) في ج : « تعهدوا » : وفي ت : « فعهدوا اليه » •

(٦) من ع •

(٧) في ج ، ت « أنه ذلك المطلوب » •

(٨) في ع : « ولم يحققوا أنه هو الا بكونه لم يوجد بعد ذلك » •

(٩) في ج ، ت • « دعاويها » •

الأمر • فجمع أنصاره ورعاياه من الروم وذلك على رأس سبع سنين من ملكه^(١) •

فلما اجتمع اليه أنصاره ورعاياه ذكر لهم أنه كان يرى في منامه آتيا أتاه ، فيقول له : بهذا الرسم تغلب ، ويعرض عليه هيئة الصليب • فأعظمت ذلك العامة ثم بعث الى [امرأة كانت] كاهنة في ذلك الزمان ، وكانت ذات جأش وقوة ، فتشهدت له أنها رأت مثل ما رأى ، فقوى تصديق العامة لذلك •

وفي هذا كله لا يعلمون لذلك الرسم تأويلا ، و [لم يكن] «قسطنطين» [قد] كشف لهم شيئا من أمره • وخرج بهم الى عدوه ، ووعظهم ، وهول عليهم أمر الرسم ، فحصل له كل ما أراد من جد القوم ، واجتهادهم معه •

فلما عادوا الى أوطانهم سألوه عن تأويل ذلك الرسم ، وألحوا عليه فيه • فقال :

« أوحى الى في نومي أنه كان الله تعالى هبط من السماء الى الأرض فصليته اليهود » •

فهاهم ذلك كثيرا مع ما [تقدم] عندهم من تصديقه ، وعظم عليهم الخطب فيه ، فانقادوا الى «قسطنطين» انقيادا حسنا ، وصح له منهم ما أراد ، وشرع لهم هذه الشرائع [التي بأيديهم الى اليوم أو أكثرها]^(٢) •

وقد ظهر لجماعة من أهل العلم غير أولى الشرائع في ذلك الزمان أن هذا الشخص الذي تعظمه النصارى ، وتصفه بالألوهية ، لم يكن :

(١) قسطنطين (٢٧٤ — ٣٢٧ م) امبراطور روماني تولى الحكم في عام ٣٠٦ ، ولم يعمد الا على سرير الموت •

(٢) في ج ، ت : « على بعض ما هي عليه » •

و [لا وجد] ^(١) في العالم ، ولكن « قسطنطين » ابتدع ذلك كله ، واتفق مع نفر من أحبار اليهود ، وعلمائها على [أن يعطى لهم ما يطلبونه] ^(٢) من متاع الدنيا ، ويشهدون له عند قومه بأن ذلك الشخص كان عند اليهود فصلبته . وأن تضع الأحبار ذلك مسطورا عند اليهود ، ففعلت وألقت من أخباره شيئا ، وشهدت أن ذلك القول ، جمع بعد صلب ذلك الشخص بسنين قلائل ، فبقيت النصرى على ذلك ، والأحداث في شريعتهم مع افتراءات بمنامات تدعيها النساء ، ومن لا يوثق به ^(٣) فيدون ذلك ويتشرع به زائدا على ^(٤) ما كان بأيديهم .

فلما ^(٥) بعث الله رسولا كريما ، وأنزل عليه كتابا حكيما ، وأيده بالآيات ، وأنجده بالمعجزات ، فصدع بالحق المبين ، وقطع الشك باليقين ، نكستم على أعقابكم ، ومن نكص على عقبيه فلن يضر الله شيئا .
وأما قولك :

« فأخذوه ، وصلبوه ، وغار دمه في اصبعه ، لأنه لو وقع منه شيء في الأرض ، لبيست ، الا شيء وقع فيها ، فنبت في موضعه النوار » .

فهذا من أعجب ما قيل ، ولا احتياج الى مجاوبتك ، ولعمري لو أن شيطاننا يتقول على لسانك ، وهو يريد الاضحاك بك ، ما بلغ منك ما بلغت من نفسك بهذا القول .

(١) في ج ، ت : « لم يكن وجوده في العالم » .

(٢) في ج ، ت : « على أن يبذل لهم ما شاءوا » .

(٣) في ج : « ومن لا يؤثر » .

(٤) في ج ، ت : « الى » . (٥) في ج : « فلما أن » .

[ابطال دعوى صلب المسيح بالأدلة العقلية]

ثم قلت : « انه لما لم يمكن أن ينتقم الله من عبده العاصي آدم الذى كلمه ، واستهان بقدره لاعتلاء جلالة السيد ، وسقوط منزلة العبد ، أراد أن ينتصف من الانسان الذى هو اله مثله ، فانتصف من خطيئة آدم بصلب عيسى المسيح [عليه السلام] » •

أخبرنى أيها المخدوع أولا عن هذه المماثلة ! كيف وجبت لعيسى بالله تعالى ؟ [ثم] اذا كان الله لم يرد الانتقام من آدم لاعتلاء قدر السيد ، وسقوط منزلة العبد ، فالأولى أن يعفو عن الذنب ويتوب على المذنب • وان الأبعد عنه عز وجل أن يعاقب أحدا بذنب غيره ، [ان هذا] لغاية الظلم [ونهاية الجور] •

أبيت التوبة^(١) احتيالا للصوابية وإثباتها ، ونسبت الى الله [تعالى] ما ينسب الى شرار الآدميين من الحقد ، والغائلة ، ونفيت عنه ما يليق به عز وجل من العفو والصفح ، وقلت : انه انتصف من الانسان الذى هو اله مثله •

وفى [اعتقادكم وفى] الانجيل الذين بأيديكم أن الصلب لحق جسم عيسى المتخذ من آدم ، وأن النصف اللاهوتى لم يلحقه الصلب ومخالفة ذلك عندكم كفر •

فاذا كان هذا ، فالى الآن لم ينتقم الله ، ولا انتصف من اله مثله كما قلت ، انما انتصف ، وانتقم من انسان من نسل آدم • فكيف ينبغى لله أن يظلم انسانا فيعاقبه بذنب جده ؟ وكيف أجزت^(٢) [لنفسك] أن تقول : انتصف من اله مثله ؟

(١) فى ج : « فأنيت من الظلم الثواب » بدون نقط على الكلمة الأخيرة •

(٢) فى ج ، ت : « استجزت » •

ما أبين خلال هذه المقالات ، و [أوضح]^(١) ضلالها !

أخبرني أيها المغرور عن رجل أخطأ عبده [في حقه]^(٢) ، فبقى بعده مدة غاضبا عليه ، [ساكتا] على معاقبته ، حتى ولد لنفسه ولدا ، فعمد الى قتله^(٣) بذنب العبد الذي كان أذنب له !

ألست ترى ذلك من قتله ولده [أنه أراد أن] يشفى نفسه على ذلك العبد ، [فأصبح]^(٤) ذلك زائدا في كربه ، وداعيا الى دوام حزنه ؟ وهل يحدث هذا على نفسه^(٥) عاقل أو من لا عقل له ؟

ان الذى دعاكم الى القول بصلب عيسى ، ما أقررتم به من الفداء حين قلتم :

ان آدم وجميع ولده الى زمان عيسى كانوا كلهم ثاوين فى الجحيم بخطيئة أبيهم آدم ، حتى فداهم عيسى باهراق دمه عنهم فى خشبة الصليب ، ثم نزل [فى ذلك الوقت]^(٦) الى الجحيم ، وأخرج منها جميعهم الا « يهوذا الأسخريوطى » .

أخبرني أيها المغرور عن موسى بن عمران ! كيف تفهم أن الله تعالى أدخله الجحيم وخلده فيها^(٧) بعد أن كلمه ، واصطفاه وفضله ، وبعثه الى عبادته نبيا ، وهاديا ، ولم يكفر بعد [ذلك] ؟

وكذلك ابراهيم الذى كان قد اتخذ خليلا واصطفاه ، وفضله بهدايته ونبوته وأظهر على يديه توحيده ؟

(١) فى ج ، ت : « أبدى » . (٢) فى ج ، ت : « عليه » .

(٣) فى ج : « فقتله » . (٤) فى ج ، ت : « فيكون »

(٥) فى ج زيادة هى : « بعد على ذلك العبد أن يكون زائدا فى كربه

بكرب » بدون نقط على الكلمة الأخيرة . (٦) فى ج ، ت : « لحينه » .

(٧) فى ج ، ت : « كيف استحار الله أن يخلده فى الجحيم بعد أن كلمه » .

ولا جرم أنه لو كان ذنب آدم بقى فى أعناق أولاده ، حتى أنقذوا منه بدم الله لمنطقت به التوراة ، ولصرحت به الأنبياء ! لأنه أمر شنيع ، ومصاب للعالم بشيع ! ففى أى موضع من التوراة ذكر ؟ أو فى أى صحيفة من صحف الأنبياء سطر ؟

أما أنكم أتيتم على ذلك بشواهد من التوراة ، وكتب الأنبياء [فـ] تأويلكم فيها لا يخفى على العواجز ^(١) ضعفه ، ولا يستر على [عقول] صغار الولدان سخره ^(٢) .

فمن أوضح دليل [لكم] على ذلك ، قوله فى التوراة عن يعقوب بن إسحاق عليهما السلام ، أن ابنه يوسف جاء [هـ] بابنيه « منسى » و « أفرايم » ، ليبارك له عليهما فجعل يوسف ابنه « منسى » — وهو الكبير من ولديه — عن يساره ، كى يكون عن يمين يعقوب ، اذا وقف به أمامه ، وجعل « أفرايم » عن يمينه ، كى يكون عن يسار يعقوب ثم قربهما اليه ، فخالف يعقوب بذراعيه ، وجعل يده اليمنى على رأس الأصغر واليسرى على رأس الأكبر ، ثم بارك على يوسف ، وعلى ولديه . فشق ذلك على يوسف فأخذ بيد أبيه ، ورام رفعها عن رأس الصغير الى رأس الكبير ، وقال : لا يحسن هذا يا أبتاه لأن هذا أكبر ولدى ، فاجعل يمينك على رأسه ، فكره ذلك الشيخ ، وقال : قد علمت ذلك يا بنى ، وستكثر ذرية هذا ، ولكن أخوه الأصغر يكون أكثر ذرية ونسلا ^(٣) .

فتأولتم ذلك [بأن] مخالفته بيديه اعلام بالصلب !

[فما أغرب هذا الأمر ، وكيف رضيتم بتأويل ذلك بهذا الهذيان] ^(٤) .

(١) فى ج ، ت : « العجايز » .

(٢) فى ج ، ت : « الولدان نوله وسخره » .

(٣) قارن سفر النكوين ٤٨ : ١٣ — ٢٠ .

(٤) من ع ، أما فى ج ، ت « وما يحتاج الى تأويل ذلك بهذا الهذيان » .

وفي نص التوراة سبب مخالفته بيديه من فضل « أفرايم » على « منسى » . فان كان لا بد من تأويل مستدرك^(١) على نص التوراة ، فهنم الى تأويل أحسن موقعا في النفوس من تأويلك !

وذلك أن مخالفة يعقوب بيديه عند البركة اعلام [بـ] أن الله سيخالف بهذه البركة عن ولد اسحاق ، اذا أسخطوه بالعصيان ، ويصيرها في ولد اسماعيل ، وذلك ما فعل الله بولد اسماعيل عليهم السلام ، اذ بعث منهم سيد النبيين والمرسلين محمدا صلى الله عليه وسلم .

وكذلك تأولتم في قول داود : أعطوني في مطعمي المرار^(٢) ، وسقوني الخ^(٣) ، ان الله تكلم بذلك على لسانه مخبرا عن الصلب . وقلتم : ان الله تبارك وتعالى حين ربط على الخشبة استسقى ماء من^(٤) اليهود فسقوه خلا . تأولتم في كلام داود ما لم يرد ، لتثبتوا من صلب المسيح ما لم يكن .

وتأويل كلام داود معلوم ، ومن كثير مما يجري بين الناس مفهوم . [فاذا] أسخطك المسخط بفعله ، تقول [له] أطعمتني المر ، أو جرعتني^(٥) السم والحنظل ، وما أشبه ذلك على طريق المثل . و [قد] قال داود ذلك حين أسخطته [اليهود] بعصيان الله ، والحيد عن الهدى^(٦) ، وخالفته فيما أمر به من المعروف ، ونهى عن المنكر .

(١) في ج « مشترك » .

(٢) في ج : « أطعموني في مطعم المران » .

(٣) أصل النص : « (ويجعلون في طعامي علقما، وفي عطشي يسقونني خلا) ، (مزامير ٦٩ : ٢١) »

(٤) في ج : « استسقى ما عند » .

(٥) في ج : « أجرعتني » . وفي ت : « سقيتني » .

(٦) في ج : « الهوى » .

أخبرني أيها المبرور !

من كان الممسك للسموات والأرض ، اذ كان الله [كما ترعمون]
مربوطا في خشبة الصليب ؟

هل بقيا [ساكنين] ؟ أم كان استخلف عليهما غيره ، وهبط هو لربط
نفسه في خشبة الصليب ؟ ••••• وليوجب اللعنة على نفسه ، بما قال في
التوراة : ملعون ملعون من تعلق بالصليب ! ! (١) •

عجبا له !! انه المنتقم والمنتقم منه ، والحقود والحقود عليه ، وانه
الظالم ، يأخذ نفسا بذنب غيرها ، وهو المظلوم ، لأنه صلب بذنب غيره •
وعجبا لتفاوت غائلته ، وحقده !! كيف يمتنع عن المعاييب (٢) —
وليس هو عندكم غير [من اتصف بهذه المعاييب] — ، حتى سمرت يداه ،
ورجلاه ؟ •

ولا قنع من آدم صاحب الذنب [بالتوبة] حتى غرست الخشبة في
ظهره [تكفيرا] لما [ارتكبه آدم] في الجنة (٣) •
أخبرني ! •

ما الذي أوجب لآدم عليه السلام أن يكون موصوفا لديكم بهذه
الشتائم ، وهو أبو البشر ، والله قد تاب عليه واجتباه ؟
أستغفر الله من شر ما جئتم به ، وهو الغفور الرحيم •
ثم وصفتم فيما جئتم به من كذب [حادثة] الصلب ، وأحاديثها

(١) اصل النص في التوراة : « واذا كان على انسان خطية حقها الموت ،
فقتل وعلقته على خشبة ، فلا تبت جثته على الخشبة ، بل تدفنه في ذلك
اليوم لان المعلق ملعون من الله » • (تثية ٢١ : ٢٢ — ٢٣) •

(٢) في ج : « كيف لم يقنع من المعاييب » ، وفي ت : « حيث لم يقنع
من المعاييب » •

(٣) في ج : « لما كان قد سلخ في الجنة » ، وفي ت : « لما كان قدسلم
في الجنة » •

الفاسدة^(١) اذ قلتم : قام بعد ثلاثة أيام من القبر •

وتحدثتم عن مريم المجدلية ، ومريم أم يعقوب أنهما اشتريتا حنوطا وأقبلتا الى القبر ، وقالتا : من ينزع لنا الصخرة من على فم القبر .
فزالت الصخرة من ذاتها ، فنظرنا الى فتى قاعد فى الجانب الأيمن [من القبر] مغطى بثوب ، وذلك فى يوم الأحد قبل طلوع الشمس^(٢) •

— عجباً لتوثقكم على الله ، وتحديدكم الجانب الأيمن من القبر ، وقبل طلوع الشمس من اليوم ، لتحقيقوا كذبكم على رعاى الأعاجم ، فقال لهما ذلك المغطى بالثوب : [ولم يكن غير تراب]^(٣) المصلوب قام ، ومضى الى الجليل ، قولاً لتلاميذه ينهضون اليه [وهكذا جملة من الهذيان قصصتم عليها فى ذلك]^(٤) •

* * *

[ابطال دعوى ألوهية عيسى بدليل عقلى]

ثم كتبتم فى الانجيل الذى بأيديكم : أن الرب صعد ، فصار على يمين الرب فى أثر الصليب^(٥) •

أخبرنى أيها [المخدوع]^(٦) عن هذين الربين :

من خلق منهما صاحبه ؟ فال مخلوق منهما ضعيف عاجز ، ليس بآله ، وإذا أراد أمراً ، لمن الحكم منهما ؟ فان كان أحدهما مضطراً الى مشاورة

(١) فى ج ، ت : « الفاجرة » •

(٢) انظر مرقس ١٦ : ١ — ٨ •

(٣) فى ج : « المغطى بالثواب تراباً المصلوب ... » :

(٤) من ع ، وفى ج : « ثم ان نحنا سمع صوتاً من السماء هذا ما يقول الأول والآخر الإله الذى كان ميتاً فحيى مع جملة من الهذيان ركضتم فى ذلك » ، وفى ت : « باشر القازورى » • (٥) انظر مرقس ١٦ : ١٩ •

(٦) من ع ، وفى ج ، ت : « المغرور » •

الآخر ، ومساعدته ، كان المضطر عاجزا مقهورا ، ولم يكن لها قادرا ،
وان كان قادرا على مخالفته ، ومدافعته ، فهو اذن اله مداهن ، ويكون
الآخر ضعيفا ، عاجزا مقدورا عليه .

أما [تعلم] أيها المغرور أنه « لو كان فيهما آلهة الا الله
لفسدتا »(*) .

« ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله ، انن لنذهب كل اله بما
خلق ولعلا بعضهم على بعض ، سبحان الله عما يصفون »(١) .

ومن عجيب تناقضكم اتفاقكم(٢) على أن التثليث آب ، وابن وروح
قدس ، وأن كل واحد من هذه الثلاثة لا يبصر ، ولا يلحقه ما يلحق
الخليقة(٣) وأن عيسى كان يبصر ، ويجوع ، ويشبع ، ويأكل ، وغير ذلك من
صفات الخليقة(٤) ثم جعلتموه الابن من تلك الثلاثة ، ويلحقه ما ليس
يلحقها !

فان قلتم : ان نصفه هو اله تام ، والنصف الآخر ليس باله ، فيلزمكم
— اذا دعوتهم — [أن تقولوا] : يا نصف المسيح ارحمنا !

واذا قيل لكم : من الهكم ؟ فقولوا : هو نصف المسيح !

وكيف يكون نصفه خالقا ، ونصفه معبودا لنصفه ، وليس باله تام ؟

على أنكم لم تفعلوا شيئا من ذلك ! وكفى دليلا على ذلك قولك في
رسالتك :

« لما لم يمكن أن ينتقم الله من عبده آدم لسقوط منزلة العبد ،

(*) الانبياء : ٢٢ . (١) المؤمنون : ٩١ .

(٢) في ج ، ت : « واتفاقكم » .

(٣) في ج : « وان كان واحد من هذه الثلاثة لنصر ، ولا يلحق الخليقة » .

(٤) في ج : « ويتجاوز غير ذلك من ... » .

انتصف من الانسان الذي هو اله مثله ، وأن الانتصاف انما كان من الجسم ، فهو المائل » •

فاذا جعلتموه كله [الها] فأنتم تعبدون غير الله ، [ولا فرق عندكم بين الله وبين] مخلوقاته •

وقلتهم :

« ان الابن اله تام ، وأن الآب يستحق من الألوهية والقدم ، ما لا يستحقه الابن » •

فاذا كان ذلك ، فالابن اذن اله غير تام [حيث ^(١)] لا يستحق من الألوهية مثل ما يستحقه الآب • وهذا من مكابرتكم العقول •

وقالت اليعقوبية^(٢) — [وهى] من فرق ملتكم — : ان الله نزل فدخل في بطن مريم ، واتخذ من لحمها جسدا فصار الله مع الجسد نفسا واحدة •
وقالت النسطورية^(٣) : ليست النفس هى الله ، وانما هى بعضه •

(١) فى ج : « حين لا يستحق » •

(٢) هم اتباع يعقوب البراذعى ، توفى عام ٥٧٨ م •

(٣) اتباع نسطور الحكيم المتوفى عام ٤٥١ م •

وقد أخطأ الشهرستاني فى تحديد زمن حياة نسطور (ج ١ ص ٢٢٤) حيث قال : النسطورية : أصحاب نسطور الحكيم الذى ظهر فى زمان المأمون • « قالوا : ان الله تعالى واحد ذو اقانيم ثلاثة : الوجود ، والعلم ، والحياة ، وهذه الاقانيم ليست زائدة ولا هى هو ، • فنأثرهم بالفلسفة الاغريقية فى شرحهم النصوص الدينية دفعهم الى أن يؤولوا التثليث تأويلا عقليا ، فأروا أن التصديق بالثلاث عبارات ليس قولا بالتثليث فى الواقع ونفس الامر ، لأن محلولاتها ترجع فى الحقيقة الى شىء واحد • هو « الوجود » • فالوجود هو الجوهر ، وهو الذات الواحدة فى الواقع و « العلم » ، و « الحياة » صفتان ، أو اعتباران له ، وبهذا لا يوجد كثرة حقيقية فيه • وعلى هذا : فالحق وكلمة الله ، والروح القدس ، تلك العبارات التى التى وردت فى النص

==

ومن كلام اليعقوبية : أن الله أخذ ذلك اللحم ، والدم فوردهما في نفسه فصار ذلك اللحم الله •

[ثم] اتفقت أن أقانيم الآب ، والابن ، والروح القدس غير مختلفة، بل هي [أقنوم] واحد •

فإذا كان هذا ، الأب هو الابن ، وهما روح القدس ، الكل شيء واحد، وهذا توحيد • فلم خصصتم المسيح بالابن ، ولم تقولوا انه الأب • وقد قلتم : ان الأب ، والابن والروح القدس شيء واحد ؟

ثم جعلتم جوهر البدن شيئاً معبوداً وليس من الثلاثة ، فهؤلاء اذن أربعة ، وقد بطل التثليث ، وصار^(١) تربيعاً • فان أبيتم الا ثلاثاً فقد جعلتم نفى العبد وإثباته سواء ، وكابرتم العقول •

* * *

[الرد على الشبهة الأولى]

وأما قولك ، انك ترى الأحكام الشرعية حكمين : حكماً توراًوياً [وهو] من لطمك فالطمه •

المسيحي لا تدل على ذوات ثلاث في واقع الأمر ، بل الله هو الذات الواحدة ، وهو وحده أصل العالم ، وكلمته على معنى علمه والروح القدس على معنى القوة المدبرة ، حالان أو اعتباران لذاته •

« والنساطرة بهذا التأويل عدوا من أصحاب مذهب « الوحدة » أو يمكن أن يعدوا من أصحابها • ونذلك اعتبرتهم الكنيسة البيزنطية وهي كنيسة الشرق الأدنى خارجين عن الجماعة المسيحية المؤمنة ، كما اعتبرتهم زنادقة هذه الجماعة ، وهم من أجل ذلك يستحقون في نظرها لعنة الرب والمسيح » . (البهي : الجانب الالهى ج ١ ص ١٢٠ — ١٢١) وذلك في مؤمر خلقيدون الذي انعقد في عام ٤٥٠ م •

(١) في ج : « وجاز » .

وآخر انجيليا وهو :

من لطم خدك الأيمن فانصب له الأيسر^(١) •

ولا ثالث لهما !

فأخبرني أولا عن تفضيلك الحكم الانجيلي على الحكم التوراي في قولك لي : أنت ترى فضل هذا على الآخر !!

كيف [أجزت]^(٢) ذلك ، وأنت قد نسبت الى الله عز وجل أنه أبى أن يغفر ذنب آدم حين عصاه [بالأكل]^(٣) من الشجرة التي نهاه عنها ؟

وقلت : ان الله لم يزل غاضبا عليه زمانا حتى انتصف منه بصلب المسيح ! فلو كان العفو بحكم شريعتك أفضل ، ما سبق المخلوق اليه •

فلتعلم ما جئت به من التناقض في تفضيلك حكما نسبت ضده الى الخالق سبحانه [وتعالى] •

ولا جرم ! أن العفو أفضل ، انما جادلتك بتناقض عقيدتك •

ثم أقول :

ان دينك الحكمين اللذين أعدمتهما ثالثهما ناقصان • لم يتم فيهما رحمة الله على عباده ، ليكون فضل اتمام للشريعة الفرقانية ، والأمة الاسماعيلية المعظمة كما شهدت لها العجوز القبطية •

وبيان نقص دينك الحكمين ، أن الناس قد ينزل بهم الخطب الذي لا يصلح فيه الاقتصاص والانتقام ، فان يكن الداعي لهم [ومرشدهم]^(٤) حينئذ يأخذهم بحكم التوراة لم يكن ذلك صالحا •

(١) في ج ، ت : « من . . . اليمنى . . . اليسرى » •

(٢) في ج ، ت : « استجزت » •

(٣) في ج ، ت : « بأكل » • (٤) من ع •

وربما نزل بهم الخطب الذي يصلح فيه الاقتصاص والانتقام ،
فان يكن — [قائدهم]^(١) حينئذ يأخذهم بالحكم الانجيلي جرأهم ذلك
علي. اقتراف^(٢) ذنب آخر ، وهذا كله واضح .

فان يكن الراعى مع أحد الخطبين يأخذ بما يخالفه التماسا للمتدين ،
فقد أفسد نظام السياسة ، وما فضل شريعة لا تصلح نظام أهلها ؟
وان هو أخذ بما يوافق السياسة ، وخالف الشريعة ، كان فى ذلك
ما لا يخفى وما فائدة شريعة لا يستطيع امتثالها ؟

فهذان حكمان ناقصان عما فيه صلاح العالم ، الى أن جاءت الآية
الكبرى ، المعلمة بنور البشرى ، الواردة بخير الدارين : الأولى والأخرى
[وهى] القرآن [الكريم] الذى تكلمت على الناس فيه النعمة ، وتمت
لهم بأحكامه الرحمة ، فنطق وهو أصدق القائلين ، وحكم وهو أعدل
الحاكمين فقال :

« وان عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما عوقبتهم به ، ولئن صبرتم لهو خير
لصابرين . واصبر وما صبرك الا بالله »^(٣) .
« وأن تعفوا أقرب للتقوى »^(٤) .
فكل حكم أخذ به الراعى مما يراه صالحا لمقامه ، كان فيه موافقا
للشريعة .

[الرد على مطاعن الأساقفة]

ثم قلت :

« وأما دينكم ، فقد ألف كثير من أساقفتنا كتباً فى الطعن عليه ،

(١) من ع . (٢) فى ج ، ت : « اجترام » .
(٣) النحل : ١٢٦ ، ١٢٧ . (٤) البقرة : ٢٣٧ .

وذكروا صاحب شريعتكم ، ووصفوا أشياء : فرأينا أنكم لستم على الحق وانما الحق معنا » .

فاحتججت في تعييبك ديني بما اقترفه أساقفتكم وقلت « وصفوا أشياء » ، ولم تذكر شيئا من تلك الأشياء ، فأنا سأذكرها ان شاء الله ، وأقيم البرهان على كذب أساقفتكم الطاعنين المقترين .
فأما قولك :

« فرأينا أنكم لستم على الحق ، وانما الحق معنا » فلا أحتاج الى مجاوبتك على هذا الكلام ، وحسبى ما فيه من الرعونة والسخافة .

وأما طعنكم في ملة الاسلام ، وتجروؤكم الى خلق الأكاذيب [عليها] ، والنيل منها فغير بعيد على من كانت عقيدته وديانته ما تقدم من [اذلال الخالق]^(١) والتحقير لعظمته : ووصفه تعالى بغير صفاته الحسنى .

وخليق بمن دان بمثل هذا كله ، أن يجرى على سنن مثله من الطعن أيضا في دين الله ، وكتابه الحكيم ، ورسوله الكريم .

ومع هذا فان من الأسباب الذي دعتم الى ذلك ، أن الله تبارك وتعالى لما بعث سيد النبيين والمرسلين محمدا صلى الله عليه وسلم ، رحمة للعالمين ، [ومنقذا]^(٢) مما كانوا فيه من الضلال المبين . كانوا ما بين عابد وثن ، [وضال]^(٣) مثلكم ، وقد [غفل]^(٤) لما سبق في الحكمة الأزلية أن يكون فضل التمام للشريعة الفرقانية ، والأمة الاسماعيلية المعظمة ، كما شهدت لها العجوز القبطية .

(١) في ج : « اذامه الحق » .

(٢) في ج ، ت : « ومستغفرا » .

(٣) في ج ، ت : « وغاو » .

(٤) في ج : « نبي » بدون نقط ، وفي ت : « فتن » .

قال الله تعالى في المصحف الأول^(١) لهاجر أم اسماعيل عليه السلام :
نى أجعله فى أمة عظيمة •

ولابراهيم حين دعا فيه : سمعت فى اسماعيل ها أنا^(٢) قد باركته ،
ركثرته جدا جدا^(٣) •

والمراد بهذا كله محمد صلى الله عليه وسلم ، ولكنه كنى عنه بجده
اسماعيل [عليه السلام] •

ومما يبين هذا قوله أيضا فى اسماعيل : ويقابل جميع الناس ،
ويقابلونه ، ويضع فسطاطه فى بلاد اخوته^(٤) •

ولا محالة أن هذه صفة محمد صلى الله عليه وسلم ، لا صفة جده
اسماعيل • ومثل هذه الكناية بالجد عن الحفيد فى الكتب كثيرة ، من ذلك
فى الزبور الذى بأيديكم قوله :

سبحوا للرب تسبيحا جديدا ، سبحوا الذى يسبحه^(٥) الصالحون
ليفرح اسرائيل بخالقه^(٦) •

(١) لعله يقصد المصحف الذى نزلت على ابراهيم عليه السلام •

(٢) فى ج ، ت : « هذا وذا » •

(٣) ونص ما جاء فى التوراة : « واما اسماعيل فقد سمعت لك فيه •

ها أنا أباركه وأثمره وأكثره جدا اثنى عشر رئيسا يلد وأجعله أمة كبيرة » •
(تكوين ١٧ : ٢٠)

(٤) نص ما جاء فى التوراة — وهو جزء من الحوار الذى دار بين هاجر

وبين « ملاك الرب » حين ظهر لها على العين التى فى طريق شور — :

« ها أنت حبلئى فتلتين ابنا وتدعين اسمه اسماعيل لأن الرب قد سمع

لنلتك • وانه يكون انسانا وحشيا يده على كل واحد ويد كل واحد عليه •

وأمام جميع اخوته يسكن » • (تكوين ١٦ : ١١ — ١٢)

(٥) فى ج ، ت : « هيكله » •

(٦) نص ما جاء فى الزبور : « هلوليا • غنوا للرب ترنيمة جديدة تسبجته

فى جماعة الاتقياء • ليفرح اسرائيل بخالقه » • (مزامير ١٤٩ : ١ — ٢)

وكيف يفرح اسرائيل وكان قبل الزبور بزهاء خمس مائة سنة ؟

• وانما أراد ليفرح بنو اسرائيل •

ومثل هذه الكناية قوله :

أقسم الله بفخر^(١) يعقوب أن لانضع عنهم أعمالهم الى الانقراض^(٢) •

• وانما أراد بفخر بنى يعقوب •

ولما بعث الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم الى كافة خلقه شاهدا ، ومبشرا ، ونذيرا ، وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا ، صدع^(٣) بما جاء به من عند الله ، ودعا العالم الى الله وحده ، ولم يشرك بعبادته أحدا • وهدهم [الى الديانة] الحنفية^(٤) دين ابراهيم ، التى هى دين الله ، ودين أوليائه • وبين لهم ما اختلفوا فيه بما أوحى الله اليه من كتابه المبين ، الذى هو الآية الكبرى ، المعلمة بنور البشرى ، الواردة بخير الدارين الأولى ، والأخرى •

وكملت بنبوته على جميع المخلوقات الرحمة ، واتسعت عليهم برسالته ، وظهور دينه النعمة ، وأنجز لهم به ما قد وعد به على السنة أنبيائه ورسله الأكرمين •

وكان من اتقى الله من زعماء أهل الكتابين ، لما سمعوا بأمره ، ساروا اليه باحثين عليه وعلى دينه ، فظهر عليهم بساطع برهانه ، وأذهب كفرهم بايمانه ، فلم يلبثوا حين عرفوا الحق من ربهم ، أن آمنوا به ، واتبعوه على دينه •

(١) فى ج ، ت : « لسفاهه » .

(٢) لعله يشير بذلك الى ما جاء فى العهد القديم : « قد أقسم الرب بفخر يعقوب أنى لن أنسى الى الأبد جميع أعمالهم » • (عاموس ٨ : ٧)

(٣) فى ج ، ت « فصدع » : (٤) فى ج : « وهدهم الحنفية » .

وفيهم أنزل الله من القرآن :

« إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجدا • ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولا • ويخرون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعا » (١) •

ولا محالة أن البكاء دال على صحة العقيدة ، وثبات اليقين وإخلاص النية • ومعرفة الحق •

وقوله تعالى :

« الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون » (٢) •

وقوله تعالى :

« قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب » (٣) •

وقوله تعالى :

« ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون • وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق ، يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين » (٤) •

وكثير مثل هذا •

فعند ذلك تزلزلت النصرانية ، وسقط ما بأيديهم من المحالات ، وانقضت عرى ديانتها ، وهدت قواعدها ، ودخلوا في دين الله أفواجا • [وقد أثار هذا] (٥) حسد نفر من مضلي زعمائهم ، وأهل الذكر فيهم ،

(١) الاسراء : ١٠٧ - ١١٠ (٢) التخصص : ٥٢

(٣) الرعد : ٤٣ (٤) المائدة : ٨٢ ، ٨٣

(٥) في ج : « لرست حسد » بدون نقط ، وفي ع : « فرتب حينئذ » ، وفي ت : « فوثب حينئذ نفر . . . » •

فلفقوا^(١) ما بأيديهم وقفوه بأشياء كثيرة استدركوها على استدراك
« قسطنطين » .

ثم لم تزل لهم محافل يستدركون فيها على ما قدموا ، وينتشئون
الكتب ، ويصنفون الدواوين في خلق الأكاذيب على سيد النبيين والمرسلين
محمد صلى الله عليه وسلم ، وشتم عرضه على نحو ما فعلوا بالخالق
سبحانه وتعالى عن قولهم علوا كبيرا .

فمن تلك الأكاذيب قولهم :

ان محمدا كان يقول لقومه ، لست أموت ، ولكن أرفع الى السماء ،
فلما مات تركوه يومين حتى نتن ، ثم دفنوه .

وكنفيهم معجزاته ، ولم يذكروا منها^(٢) شيئا الا خبر أم معبد^(٣)
وخبير الذئب^(٤) .

(١) في ج ، ت : « ولفقوا » . (٢) في ج : « مثلها » .
(٣) ورد عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم — وهو في طريق
الهجرة من مكة الى المدينة — ومعه أبو بكر ، ومولاه عامر بن فهيرة ودليلهم
عبد الله بن أريقط الديلي فسألوها : هل عندها لبن يشترونه منها ؟ فلم
يجدوا عندها شيئا ، وقالت : لو كان عندنا شيء ما أعوزكم القرى . وكانوا
محلطين . فنظروا الى شاة في كسر خيمتها فقال : ما هذه الشاة يا أم معبد ؟
فقال : خلفها الجهد . فقال : اتأذنين أن أحلبها ؟ فقالت : ان كان بها حلب
فاحلبها . فدعا بالشاة ، فمسحها ، وذكر اسم الله فذكر الحديث في حلبه منها
ما كفاهم أجمعين ، ثم حلبها وترك عندها اناءها مלאى ، وكان يروى الرهط .
(ابن كثير : شمائل الرسول ص ٤٥)
(٤) حدثنا يزيد ، حدثنا القاسم بن الفضل الحمداي ، عن أبي نضرة
عن أبي سعيد الخدري قال : عدا الذئب على شاة فأخذها ، فطلبه الراعي ،
فانتزعها منه . فأتى الذئب على ذنبه فقال : الا تتقى الله ؟ . . تنزع مني رزقا
ساقه الله الى ؟ فقال : يا عجبى . . ذئب يقى على ذنبه يكلمنى كلام الانس !
فقال الذئب : الا أخبرك بأعجب من ذلك ؟ محمد صلى الله عليه وسلم بيثر ب
يخبر الناس بأنباء ما قد سبق . . .
(ابن كثير : شمائل الرسول ص ٢٧٣)

وقولهم : اننا رأينا لمسلمة صاحب اليمامة كتابا تحدى به ، لو رآته العرب ، وسائر المسلمين لارتدوا عن الاسلام اعجابا بنظمه .

وكدفعهم في حسن نظم القرآن ، واعجازه الذي لا يشك فيه انسان .

وكجحدهم ما فيه من الاخبار عن المعجزات . وعن الغيوب وكجحدهم بشاره^(١) الكتب والأنبياء من قبل محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

الى غير ذلك من الأكاذيب التي لم يخلوا^(٢) منها توقعا منهم على الله تبارك وتعالى ، وجراءة عليه ، كما وصفهم « عوبديا »^(٣) الذي تنبأ فيكم عند بنى اسرائيل ، فذكر وقاحة قلوبكم وتمادى على وصف طلب طباعكم^(٤) .

وأنا أذكر لك الآن ما يوضح لك كذبهم على سيد الأولين والآخرين ، وأكتفى بذكر القليل عن التطويل .

وانما أريد أن تتحقق [ويبدو أمامك] خلاف ما قالوه ، ويتبين كذبهم عليه توقعا منهم :

قالوا عنه ، انه قال : لا أموت .

وفي القرآن مكتوب :

« انك ميت وانهم ميتون »^(٥) .

وفيه أيضا :

« وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل ، أفئن مات أو قتل

انقلبتم على أعقابكم ، ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا »^(٦) .

(١) في ج : « بشاره » . (٢) في ج ، ت : « يستحيوا » .

(٣) في ج : « عفويدنا » بنقط النون فقط ، وفي ت : « عوزرياء » .

(٤) اقرأ رؤيا عوبديا في العهد القديم .

(٥) الزمر : ٣٠ . (٦) آل عمران : ١٤٤ .

وفيه :

« وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد ، أفئن مت فهم الخالدون »(*) .

وقال : « بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة »^(١) .

وقال : « اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد »^(٢) .

ينهى بذلك قومه أن يتخذوا قبره مسجدا حتى لا يؤدي^(٣) بهم ذلك الى الفتنة به فيعبد من دون الله ، كما فعلت النصارى في عبادة عيسى ابن مريم .

وكان عليه السلام يستعيز بالله من عذاب القبر^(٤) .

وباجتماع من أمته أنه فاح لهم منه رائحة المسك حين مات ، وكان على بن أبي طالب ، وأبو بكر الصديق رضى الله عنهما يقولان :
« بأبي أنت وأمي طبت حيا وميتا »^(٥) .

فهذا بعض ما هو منصوص في الكتب ، ونقلته عنه ثقات أمته الذين عنوا بأخباره ، وتقلدوها ديناً . ورأوا ، وعينوا اعلانا وسرا ، وكثير مثل هذا يستغنى عن ذكره .

فمن نقل اليكم — معشر الغاوين — أنه قال :

لا يموت ويرفع ؟

(*) الانبياء : ٣٤ . (١) البخارى ج ٣ ص ٢٩ .

(٢) قارن البخارى ج ٦ ص ١٣ .

(٣) في ج : « حتى يحرق بهم .. » باهمال الياء ، وفي ت : « خشية أن يحرق بهم بذلك الى الفتنة » .

(٤) قارن البخارى ج ٢ ص ٢٣ .

(٥) ابن كثير : السيرة ج ٤ ص ٥١٨ .

• وان كان الذى رفع من الأنبياء الى السماء أفضل من الذى فى الأرض ، فلم تفضلون موسى بن عمران على ادريس ، وأحدهما مرفوع [كما جاء فى توراتهم]^(١) والأفضل مقبور ؟

وأما قولكم ، انكم رأيتم لمسيلمة صاحب اليمامة كتابا تحدى به ، لو رأته العرب لارتدت عن دينها اعجابا بنظمه ، فهذه مجاهرة عظيمة بالباطل ، واسراف بالتوقع على الله [تعالى] •
أخبرنى :

كيف عرفتم أحوال مسيلمة ، وجهلها العرب ؟
وكيف قرأتم كتابه على بعدكم^(٢) وعميت عنه العرب ؟
وانا لنراكم جاهلين بأحوال المسيح وأمه ، الذين ادعيتهم الانفراد بولائهما •

[لقد]^(٣) ذهبت فى ذلك الى التمويه على أعدائكم بحسب ما جرت به عوائدكم ! •

• وان كان اتصل بكم شيء من كلام مسيلمة [فليس الا] من أيدي المسلمين ومما كتبوه فى تواريتهم^(٤) اذ لم يغادروا من حوادثهم صغيرة ولا كبيرة الا أحصوها لعلو همهم ، وشرف نفوسهم •
فليت شعرى !

ما الذى استحسنتم من كلام مسيلمة المتقول على الله عز وجل ؟

(١) كما بينا ذلك سابقا فى ص ١٥٩ — ١٦١ •

(٢) فى ج : « بغادكم » •

(٣) فى ج : « أما أنكم » ، وفى ت : « الا أنكم ذهبت » •

(٤) فى ج « كتبوا يميته » •

أقوله : « يا ضفدع نقي ما تنقين ، أعلاك في السماء ، وأسفلك في الطين ، لا الشارب تمنعين^(١) ، ولا الماء تكدرين »^(٢) .

أم قوله : « والمبذرات زرعاً . والحاصدات حصداً . والذاريات قمحاً . والمطاحنات طحناً . والخابزات خبزاً . فالثارديات ثرداً . فاللاقمات لقماً . وسمناً . لقد فضلتكم على أهل الوبر . وما سبقكم أهل المدر . رفيقكم فأمتعوه^(٣) . والمعتز فأووه . والباغي فناوئوه »^(٤) .

أم قوله : « تفكروا في نعمة الله عليكم ، اذ جعل لكم الشمس سراجاً . وجعل لكم في الأرض أنهاراً ودجاجة ، وكباشاً ، ونعاجاً ، وفضة ، وزجاجاً ، وذهباً ، وديباجاً ، وأخرج لكم من الأرض رماناً ، وعنباً ، ورطباً ، وتمراً ، وأباً » .

أم قوله : « لقد من الله على الحبلى ، اذ أخرج منها نسمة تسعى . ما بين فرث وحشاً^(٥) . فمنهم من يموت ويدس في الثرى ، ومنهم من يعيش ويبقى الى أصل ومنتهى . والله يعلم السر وأخفى . ولا تخفى عليه الآخرة والأولى » ؟ .

أم قوله : « والشمس وضحاها . في ضوئها ومتجلاها . والليل اذا عدأها . يطلبها ليغشاها . فأدركها حتى أتاها . فأطفأ نورها ومحاها » ؟ .

(١) في ج : « المتعين » .

(٢) الطبري : تاريخ ج ٣ ص ٢٨٤ .

(٣) من ع ، وفي ج : « زيفكم فامنعوه » . وفي الطبري : تاريخ : ريفكم فامنعوه .

(٤) من الطبري : تاريخ وفي ج : « فباوه » وفي ع : « فاووه » انظر الطبري تاريخ ج ٣ ص ٢٨٤ ، وابن كثير : السيرة النبوية ج ٤ ص ٩٩ .

(٥) قارن ابن كثير : السيرة النبوية ج ٤ ص ٥٦ — ١٠٠ ، ابن هشام ج ٢ ص ٥٧٧ .

فهذه [نبذ] من كلام مسيلمة كذاب اليمامة ، وأجدر بكم — معشر
النصارى — أن لا يقع استحسانكم الا على مثل هذا الكلام !

فمن كان قد ارتضى الهه صليبا ، [فهو خليق] بأن يرضى بمسيلمة
رسولا ، وبكلامه هذا فرقانا ؟

* * *

[الكلام على اعجاز القرآن الكريم]

ومن أعجب الأشياء دفع مضليكم فصاحة القرآن الذى هو حاضر
الى الآن ، يظهر فيه كذبهم ، ويوجب عند كل متكلم خزيهم • وقد كان
فصحاء العرب ، وشعراؤها ، وأئمة البيان فيها ، ورؤوسها تمشى الى
استماعه سرا وجهرا ، ولا تدفع فيه ، وهم أعداؤه يومئذ ، وخصماؤه ،
والمستهلكون أنفسهم فى رده • وهو ومن اتبعه مستضعفون فى الأرض
يومئذ ، مبالغ فى أذاهم • وكان يقرأ عليهم :

« قل لمن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن
لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا » (*) •

ثم قال : « قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات » (١) •

ثم رجع الى سورة واحدة فقال : « قل فأتوا بسورة مثله » (٢) •

ثم قال : « ولن تفعلوا » (٣) •

فما أجابوه بحرف اذعانا الى اعجازه ، والمقاء بأيديهم لديه ، والا
فما منعهم حين سمعوه قد قرأ عليهم ذلك [أن يعارضوه به] أن يقولوا :

(*) الاسراء : ٨٨ • (١) هود : ١٣ •

(٢) يونس : ٣٨ • وفى البقرة : ٢٣ : « فأتوا بسورة من مثله » •

(٣) البقرة : ٢٤ •

هذا رجل قد تخطى رقابنا — معشر العرب — على ما فينا من خطيب بليغ،
وشاعر هميم ، وذوى عقل ، وحكم ، وعلم ، وتجربة ، ونظر. فى العواقب ؟
وقالوا :

انكم متى عارضتموه بسورة واحدة مثل كتابه فهو كاذب ؟
كيف يجوز هذا على مثلنا ، وهو وحده ، ونحن كثير ، والكلام كلامنا ؟
وقد علمت جميع الأمم أنه فاض بياننا ، وجاشت بالبلاغة صدورنا ،
فهلموا الى شىء يغنينا عن استهلاك أنفسنا فى محاربة هذا الرجل ،
ومكابدته الى ما هو أيسر علينا ، وذلك أن نؤلف كلاما فى سورة واحدة
مثل كتابه فيكون كاذبا ، كما حكم على نفسه اذا فعلتم ؟

اعتبر أيها المغرور فى نفارهم^(١) عن ذلك ، ولم يفعلوا شيئا منه ،
وفى قوله لهم : « **ولن نفعلوا** » فيحتمل هذا وجهين لا محيص عنهما :
اما أن يكون القوم قد ميزوا عجزهم فستروا أنفسهم عن معارضته .
واما أن يكونوا قدروا على ذلك فمنعهم الله كما لو قال لهم :

ان أحدكم لا يقدر أن ينطق باسم أبيه فيعتري ألسنتهم ما يمنعهم عن
ذلك . وهذا لا يقدر عليه الا الخالق سبحانه وتعالى .
وقد كانت العرب بالغت فى ايذائه بأقوالها ، وأفعالها ، فما دفع
أحدهم قط فى اعجاز كتابه ، بل كان منهم من نسبه الى السحر ، وأين
السحر من القرآن ؟ وانما السحر بخيالات . وحيل ، ثم يضمحل ويزول
باطله ، والقرآن هو اليوم كما كان يومئذ .

وقد كتبت أمتة جميع ما أودى [به] من سب ، وهجر ، ونفى ،
وضرب ، وجرح ، وحصر فى الشعاب وغير ذلك من أنواع الايذاء ، فما

(١) احدى مصادر الفعل الثلاثى : نفر ، وله مصدران آخران : نفورا ،
ونفيرا ، ومعنى الفعل فى هذا المقام : تباعد .

روى أن أحدهم عارضه بسورة قط ، ولا يجوز أن يكون ذلك فيخفى ،
لما في سجية الخلق من اللهج بنقل الأخبار (١) .

• وإن كان عليهم فيه شيء .

• وأيضا فقد كتبوا هجوه ، ورددوه ، وهو أبلغ في الإثم .

• وأيضا قد قرأ عليهم في ذلك : « ولن تفعلوا » .

فلو فعلوا لكان سببا في تفوق قومه وتكذيبه حيث قال :
« ولن تفعلوا » ففعلوا !

وقد كانوا قالوا للوليد بن المغيرة المخزومي : اختر لنا ما نقول
لجماعة العرب اذا قدموا الكعبة [في] الموسم !

ففكر وقال : ماذا تقولون أنتم ؟

• قالوا : نقول : هو شاعر .

قال : اذن يكذبوكم ، لقد رأينا الشعر كله ، هزجه ، ورجزه ،
وقريضه ، ومبسوطه ، فما قوله بالشعر .

• قالوا : هو ساحر .

قال : اذن يكذبوكم ، لقد رأينا السحرة ، وسحرهم ، فما هو بعقد
السحر ، ولا نفثه .

• قالوا : فهو مجنون .

قال : اذن يكذبوكم ؟ لقد رأينا الجنون ، فما هو بخنقه ، ولا بخالجه ،
ولا وسوسته .

(١) في ج : « من اللهوج مثل الأخبار » وفي ت : « من اللهوج بنقل . . . » .

- قالوا : فما تقول أنت ؟

فأطال فكرته ، ثم دخل منزله ، وأغلق [الباب] دونهم ، فصاحوا به ،
وهموا برجمه ، فتطلع عليهم فقال بعد فكرة طويلة :

هو ساحر ، جاء بسحر^(١) يلقي اليه من نحو بابل ، يفرق بين المرء
وقلبيه ، وما أنتم بعالمين من هذا شيئا الا علم أنه باطل^(٢) .

وفي الوليد يقول الله عز وجل :

« انه فكر وقدر • فقتل كيف قدر • ثم قتل كيف قدر • ثم
نظر • ثم عبس وبسر • ثم أدبر واستكبر • فقال ان هذا الا سحر
يؤثر »^(٣) .

وكفى بحالهم [هذا] شهيدا على عجزهم !

كانوا اذا جاءهم محمد صلى الله عليه وسلم بمعجزة ، قالوا : هذا
سحر ، ونحن لا نعلم السحر ، فلما جاءهم بالقرآن قيل لهم :

كيف عجزكم بهذا ؟ لعلمكم تقولون : انا لا نعلم البلاغة ، والخطابة ،
ولا يمكنكم التوحيح بذلك^(٤) فأراد الله خزيهم كيفما انقلبوا •

وقد كانوا يعلمون أن محمدا صلى الله عليه وسلم لم يتعلم قط الا
ما تعلموا ولا صاحب الا من صحبوا ، ولا فارقهم بمكة قط الا بسفرة
واحدة الى الشام مشى معهم قدما بقدم ، ولم يقيم فيها الا ما يقيم البائع
لبضاعته ، مثل ما يفعل المسافرون بالتجارة من بلد الى بلد •

(١) في ج : « بسحره » ،

(٢) راجع الطبري . جامع البيان ج ٢٩ ص ٩٩ ط بولاق (١٣٢٩ هـ)
ابن كثير : السيرة النبوية ج ١ ص ٤٩٩ - ٥٠٥ ..

(٣) المدثر : ١٨ - ٢٤ .

(٤) في ج : « ولا يمكنهم التوسخ بذلك » .

فقد استبان أن العرب لم تدفع قط في اعجاز كتابه ، فكيف^(١) يلتفت الى مقال العجم الجاهل^(٢) الجاعلين مع الله لها آخر ؟

ومن أعجب توقع أسأفتكم على الله نفيهم معجزات رسوله صلى الله عليه وسلم ، ولم يثبتوا شيئا منها الا خبر أم معبد ، وخبر الذئب^(٣) .

ثم قالوا :

لو نقل قومه غير هاتين لنقلناه أيضا .

وهذا نوع من الوقاحة ، وباب [من] السفسطة كمثل ما روى عن [رجل من] المشعوذين [أنه] نام ليلة في نور القمر^(٤) فتصدع رأسه ، فقام ورفع عينيه نحو القمر ، وقال له :

يا مصدع الرؤوس ، ويا مكرب النفوس ، ويا مقرب الآجال .
ويا قاطع الآمال ، أية منفعة فيك ؟ أو لأى شىء تصلح ؟ تالله لا تصلح
الا لأصلاح القتا [ء] واليقطين ، فلا كان القتا [ء] ولا اليقطين^(٥) .

فأراد هذا المشعوذ — حين أوجع رأسه القمر — [أن] يجحد منافعه
المعلومة في هذا العالم ، ثم أوجب له منها أضعف ما وجد ، ليوهم
الجاهل أنه لو علم له فضيلة سوى ذلك لذكرها .

والى هذا النوع من التوقع والشعوذة ذهب مفلوكم ، حين
أوجع محمد صلى الله عليه وسلم رؤوسهم بمقامع الحق ، وقد علموا
أنه^(٦) لم يعط الله نبيا آية الا أعطى محمدا صلى الله عليه وسلم أعجب
منها أو مثلها .

(١) ج : « وكيف » . (٢) في ج : « مثال العجم الدعى » .

(٣) في ج ، ت « ولم يثبتوا شيئا منها وثم أتبتوا خبر أم معبد » .

(٤) في ج : « قام ليلة الضوء القمر » ، وفي ت : « ليلة لنور القمر » .

(٥) القتا ، الواحدة قتاة : نوع من النبات ثمره يشبه ثمر الخيار .

اليقطين الواحدة يقطينة : ما لا سلق له من النبات كالقئا ، وغلب على

القرع المستدير . (٦) في ج : « وقد سلموا أنهم » .

ولا محالة ، ان آية واحدة خارقة للعادة تدل على صدق نبوة من
جاءت على يديه ، اذا دعا الى الله [تعالى] ، اذ وقع الاتفاق على أن الله
لا يريد بها كاذبا عليه .

ثم استرسل مزلوكم في التوقع بأن قالوا : لم تذكر في القرآن
آية له ولا أخبار عن الغيب .

[بعض ما في القرآن من المعجزات]

وأنا أذكر لك الآن بعض ما نص فيه ليتحقق كذبهم ، وتوقعهم
على الله تعالى ، ولو لم أذكر من ذلك غير واحدة لكنت [مؤيدة]^(١)
لكذبهم .

فمن ذلك [ما تناقله]^(٢) جميع أسلافنا [الذين عاصروا]^(٣) محمدا
صلى الله عليه وسلم ، وقد سألته قريش آية ، فشق لهم القمر على
نصفين^(٤) ، حتى كان جبل أبي قبيس بين فلقتيه ، وقرأ عليهم [في ذلك]
قرآنا باقيا الى [الأبد]^(٥) قوله :

« اقتربت الساعة وانشق القمر . وان يروا آية يعرضوا ويقولوا
سحر مستمر . وكذبوا واتبعوا أهواءهم ، وكل أمر مستقر »^(٦) .
فوصف [الله] تعالى انشقاق القمر و [أثبت]^(٧) عليهم رؤيتهم
ذلك بقوله : « وان يروا آية » .

(١) في ج ، ت : « مودنه » .

(٢) في ج : « ما تناقلوا » باهمال التاء والنون .

(٣) في ج ، ت : « أنهم عاصروا » .

(٤) راجع ابن كثير : شمائل الرسول ص ١٣٨ — ١٤٤ .

(٥) في ج : « التقدم » . (٦) القمر : ١ — ٣ .

(٧) في ج ، ت : « ادعى » .

ووصف ، كيف نسبوا ذلك الى [السحر]^(١) ، ووصف تكذيبهم اياه ، واتباعهم أهواءهم ، ثم قال : « فتول عنهم »^(٢) .

وانشقاق القمر^(٣) أعجب من انشقاق البحر ، وقد تعلم أن انشقاق البحر لموسى لم يكن شقاً يقطع في معظم البحر من إحدى ضفتيه المحيطتين به الى الأخرى ، وإنما كان قطع طريق من بحر القلزم الى مغاز شور .

* * *

[بعض ما ورد من معجزات النبي صلى الله عليه وسلم]

وكذلك سقى محمد صلى الله عليه وسلم أصحابه في غزوة تبوك ، وهم عشرة آلاف من الرجال^(٤) ومن معهم من غيرهم من قدح صغير ، قدر ما يشرب انسان ، فوضع يده عليه ونبع الماء من أصابعه كالعيون حتى شربوا^(٥) ، وفعل بهم مثل ذلك في غزوة الحديبية وهم ألف وستمئة

(١) في ج ١: « الحضر » . (٢) القمر : ٦ .

(٣) انظر ص ٢٥٦ — ٢٥٧ .

(٤) اختلف الرواة في تحديد عدد من اشترك في غزوة تبوك ، ويبدو أن نوعية الأحداث التي لابتستها (الاستنفاذ في الحر ، نشاط المنافقين في تعويق الخروج ، تخلف عبد الله بن أبي سلول فيمن تخلف من المنافقين ، وأهل الريب ، سنوك المسلمين مع الثلاثة الذين خلفوا ، الخ) شددت اهتمام المؤرخين ، مما جعل التنصيص على العدد أمراً ثانوياً ، بل لم تذكره بعض كتب السيرة المعتمدة — من أمثال الطبري — إلا أن ابن كثير روى أن العدد كان أكثر من ثلاثين ألفاً . انظر : ابن كثير : السيرة النبوية ج ٤ ص ١١ ، الطبري : التاريخ ج ٣ ص ١٠٠ — ١١١ .

(٥) روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر في طريقه الى تبوك بالحجر ، فمفع المسلمين من الشرب ، أو الوضوء من ماء بئرها ، فلما أصبح الناس — ولا ماء معهم — شكوا ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا الله ، فأرسل الله سبحانه أمطرت حتى ارتوى الناس ،

رجل (١) .

وانفجار الماء من اللحم أعجب من انفجاره من الحجر ، وأيضا
موسى حين فجر من الحجر قالت بنو اسرائيل :

لم تخص ذلك الحجر بعينه ؟ وانما نريد أن يكون هذا الآخر ،

واحتملوا حاجاتهم من الماء . وليس في ذلك ما يدل على نبع الماء من
أصابعه صلى الله عليه وسلم .

غير أن الطبري يروي عن يزيد بن رومان أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم أقام بتبوك بضعة ليلة ، ولم يجاوزها ، ثم انصرف الى المدينة ، فكان
في الطريق ماء يخرج من وشل ما يروي الراكب والراكبين والثلاثة ، بواد يقال
له وادي المشقق ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من سبقنا الى ذلك
الماء فلا يستقين منه شيئا حتى نأتيه . قال فسبقه إليه نفر من المنافقين
فاستقوا ما فيه ، فلما أتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف عليه فلم
ير فيه شيئا ، فقال : من سبقنا الى هذا الماء ؟ فقيل له : يا رسول الله ،
فلان وفلان ، فقال أو لم ننهم أن يستقوا منه شيئا حتى نأتيه ! ثم لعنهم
رسول الله ، ودعا عليهم .

ثم نزل صلى الله عليه وسلم ، فوضع يده تحت الوشل (الوشل : حجر
أو جبل يقطر منه الماء قليلا قليلا) فجعل يصب في يده ما شاء الله أن يصب
ثم نفضه به ومسحه بيده ، ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بما شاء
الله أن يدعو فانخرق من الماء ، كما يقول من سمعه : أن له حسا كحس
الصواعق ، فشرب الناس واستقوا حاجاتهم منه . . . فلم ينبع الماء من
أصابعه بالصورة التي يرويها أبو عبيدة في النص في هذه الحادثة (الطبري
تاريخ ١٠٠ - ١١١ ، ابن هشام ، القسم الثاني ص ٥٢٢ ، ابن كثير :
السيرة النبوية ج ٤ ص ١٦) .

(١) لم تذكر كتب السيرة أن عدد الرجال في غزوة الحديبية ألفا وستمائة ،
بل تراوحت رواياتهم بين سبعمائة رجل وخمسة عشرة مائة (قارن : ابن هشام ،
القسم الثاني ص ٣٠٨ - ٣٠٩ ، ابن كثير : السيرة النبوية ج ٣ ص ٣٢٥ -
٣٢٦ ، الطبري : تاريخ ٠٠ ج ٢ ص ٦٢١) .

فأبى عليهم ذلك (*) .

ولم يخصص محمد صلى الله عليه وسلم قدحا بعينه ، وإنما قال لهم : « اثبتوني بقدرح » ، فانطلقوا حتى وجدوا قدحا جاءوه به ، فوضع يده عليه وانفجر الماء منه .

ولسنا ننكر اعجاز ما جاء به موسى عليه السلام ، وغيره من الأنبياء : بل نحن أولى بهم منكم ، وإنما أقول : ان من نسب شيئا من آياتهم الى السحر لزمته الحجة ، [وهى ^(١)] أن اقتصار موسى على جبر بعينه أقرب الى التهمة من استدعاء محمد قدحا من الإقداح غير مخصوص .
وأياضا فان فى التوراة أن السحرة فعلوا كل ما فعله ^(٢) موسى بمصر ^(٣) الا البعوض فانهم لم يقدرُوا عليها ^(٤) .

واسترجع محمد صلى الله عليه وسلم [الشمس] ليدرك على ابن أبى طالب [الصلاة] فرجعت بمحضر أصحابه ^(٥) ، « ويشوع بن نون »

١ (١) روى فى التوراة أن بنى اسرائيل — حين أصابهم العطش ولم يجدوا ماء — تذرُوا على موسى وقالوا له : « لماذا أضعفنا من مصر لنهيننا وأولادنا ودواشيننا بالعطش » .
(خروج ١٧ : ٣)

فأمره الله أن يضرب صخرة فى حوريب بالعصا التى ضرب بها البحر .
فانفجر منها الماء : « وعصاك التى ضربت بها النهر خذها فى يدك واذهب .
ها أنا أقف أمامك هنالك على الصخرة فى حوريب فتضرب الصخرة فتخرج منها ماء ليشرب الشعب » .
(خروج ١٧ : ٥ — ٦)

ولم يذكر ما يشير الى اعتراض بنى اسرائيل عليه فى اختيار حجر معين كما ذهب الى ذلك أبو عبيدة .

(١) فى ج ، ت : « على أن . . » .

(٢) فى ج : « كما » ، فى ت : « كما فعل » .

(٣) راجع خروج : الاصحاح السابع والثامن .

(٤) خروج ٨ : ١٨ ،

(٥) ذكر ابن كثير حديث رد الشمس ، ثم عقب على ذلك بقوله : وقد

=

انما استوقفها فوقفت وفي بعض كتبكم أن ، « يشوع » انما استوقف ضياءها بعد ما غابت^(١) .

وقبض محمد صلى الله عليه وسلم يوم بدر على تراب ورمى به وجوه الكفار من قريش^(٢) وقال : « شأهت الوجوه »^(٣) .

فما منهم الا من أصاب عينيه منه شئ ، فانهزموا وقرأ عليهم بذلك قرآنا باقيا : « وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى »^(٤) .

ثم ما عاينه جميع من حضر بدرا ، مؤمنهم وكافرهم من قتال الملائكة معه حتى أن أبا داود المازني رضى الله عنه قال : « اتبعت مشركا يوم بدر ، لأقتله ، فسقط رأسه بين يدي قبل أن أضربه ، فعلمت أن غيري قتله » .
[ومن ذلك آية المطر والنعاس]^(٥) يقول الله تبارك وتعالى :

رواه الشيخ أبو الفرج بن الجوزي في الموضوعات من طريق أبي عبد الله بن منده ، . . ومن طريق أبي جعفر العتيبي . حدثنا أحمد بن داود ، حدثنا عمار بن مطر ، حدثنا فضيل بن مرزوق فذكره .
ثم قال : وهذا حديث موضوع ، وقد اضطرب الرواية فيه وهذا تخليط في الرواية .

قال : وأحمد بن داود ليس بشئ ، قال الدارقطني : متروك كذاب .
(ابن كثير : شمائل الرسول ص ١٤٥)

(١) انظر : يشوع ١٠ : ١٢ — ١٤ .

(٢) في ج : « ورمى به أوجه قريش » وفي ت : « جيوش الكفار » .

(٣) الطبري : تاريخ . . . ج ٢ ص ٤٤٩ .

(٤) الأنفال : ١٧ .

(٥) في ج ، ت : « وأمطرهم فيه مطرا أبذلهم الكتيب لانهم كانوا معه اليوم ثلاثمائة رجل أكثرهم على أقدامهم » وكان لاعداء ذلك المطر ما لم يستطيعوا بسببه أن يحصروا إلى العدو القصوى وأجازه النبي وأصحابه ، ثم نزل عليهم النعاس في ذلك فزال عنهم الجزع لكثرة عدوهم حتى لقد وقع السيف من يدهم من كثرة ما غشيهم النعاس . . والنعاس في مثل هذا اليوم آية لأنه يوم يزول عن من كان به ، وفيما فعل من المعجزات يوم بدر من قتال الملائكة معه والمطر والنعاس » .

« اذ يغشاكم النعاس أمنة منه وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به الأقدام . اذ يوحى ربك الى الملائكة أنى معكم فتبتوا الذين آمنوا ، سألنى فى قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان . نلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ، ومن يشاقق الله ورسوله فإنا الله شديد العقاب » (١) .

وقوله تعالى :

« ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة ، فاتقوا الله لعلكم تشكرون . اذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين . بلى ، أن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين » (٢) .

ومن ذلك ما حدث فى السنة التى بعثه الله [فيها] من رمى السماء بالشهب ، بما فيه عبرة (٣) لمن عقل وقرأ عليهم قرآنا باقيا ، قوله تعالى : « وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا » الى آخر قوله تعالى : « أم أراد بهم ربهم رشدا » (٤) .

وقد كان بعض العرب قصدوه يوما ليؤذوه ، وهو يصلى الى جانب الحرم ، وكانوا يسمعون قراءته ، ولا يرون شخصه (٥) ، وقرأ بذلك قرآنا

(١) الأنفال : ١١ — ١٣ ؛ (٢) آل عمران ١٢٣ — ١٢٥ .

(٣) فى ج : « غيره » . (٤) الجن : ٨ — ١٠ .

(٥) لم تكن هذه الحادثة من أسباب نزول الآية . بل ذكر العلماء أن المعنى لقوله تعالى : « وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا » أنه زين لهم سوء أعمالهم ، فهم يعمهون ولا يبصرون رشدا ولا يتنبهون حقا ، وروى عن مجاهد فى قوله : « من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا » قال : عن الحق فهم يترددون . وقال ابن زيد : جعل الله سدا بينهم وبين الاسلام والايان فهم لا يخلصون اليه (الطبرى : جامع البيان ج ٢٢ ص ٩٩) .

باقيا ، قوله تعالى : « وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون » (١) .

ومن ذلك ما فعل بأبى جهل بن هشام [حين جلس] (٢) بحجر ما يطيق حمله [يريد أن يهشم] (٣) به رأسه ، اذا صلى والناس ينظرون اليه ، فلما سجد النبي صلى الله عليه وسلم ، وهم بالقاء الحجر عليه ، رجع منهزما ، ويداه يابستان على حجره ، لا يقدر على القائه عنهما حتى أنقذته قريش من يده ، وسألوه عن خبره فقال :

« قمت لأفعل ما قلت لكم ، فلما قربت منه عرض لى دونه فحل من الابل ، لا والله ما رأييت مثل هامته ، ولا قفزته ، ولا أنيابه بفحل قط ، فهم أن يأكلنى » . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « ذلك جبريل لو دنا منه لأخذه » (٤) وقرأ بذلك قرآنا باقيا قوله تعالى :

« أرايت الذى ينهى عبدا اذا صلى . أرايت ان كان على الهدى . أو أمر بالتقوى . أرايت ان كذب وتولى . ألم يعلم بأن الله يرى » (٥) .
وكلمته عليه السلام ذراع مسمومة (٦) .

ولما [هاجر لشدة قومه] (٧) دخل الغار مع صاحبه فنسجت على

(١) يس : ٩ .

(٢) فى ج : « ليجلس » ، وفى ت : « ليجيئن بحجر ما يطيقون حمله ليفضخ به رأسه اذا صلى » .

(٣) فى ج : « نصح به » . بدون نقط .

(٤) ابن كثير : السيرة النبوية ج ١ ص ٤٦٥ .

(٥) العلق : ٩ — ١٤ .

(٦) ابن كثير : السيرة النبوية ج ٢ ص ١٩٥ — ٢٠١ .

(٧) فى ج : « ولما فر من قومه من شدتهم عليه » وفى ت : « خرج من قومه » .

بابه العنكبوت ، وفرخت القطة^(١) ، [وأتى]^(٢) قومه ، وهموا [بدخول]
الغار ، فقال أحدهم : « لو دخله لخرق هذا النسيج ، ونفرت هذه
القطة » •

وقال له صاحبه : « لو أن أحدهم ينظر ما تحت قدميه لأبصرنا » •
قال له : « يا أبا بكر • ما ظنك باثنين الله ثالثهما »^(٣) •

وأصاب أصحابه جوع في غزوهم فسأل أبا هريرة ، فذكر تمرات
في مزوده ثم استخرجها احدى وعشرين ثمرة ، فصفاها صلى الله عليه
وسلم في ردائه يقول في كل واحدة منها^(٤) « بسم الله وبركته » ثم دعا
في العسكر الى الغداء ، وهم زهاء ثلاثة آلاف ، فأكلوا حتى شبعوا ،
ورفع الرداء والتمر يتساقط منه ، وقال الأبي هريرة : « أعده الى مزودك » •
يقول أبو هريرة : « فوالذي نفسى بيده ! لقد جهزت منه ستين
وسقا في سبيل الله وأصبحت باقية حتى يوم الحرة »^(٥) •

وأطعم أيضا يوم الخندق [جنده] — وهم ثلاثة آلاف — من تمرات
ما ملأت كفه ، جاءت بها أم عمرو بنت رواحة ، فدعا بها وصفها في ردائه ،
فأكل الناس ، وضم ردائه على أكثر مما أخذ منها^(٦) •

وأطعم أيضا يوم الخندق [جمعا كبيرا] في بيت جابر بن عبد الله

(١) القطة تجمع على : قطا وقطوات ، طائر في حجم الحمام ضرب بها
المنزل في الاهتداء فيقال « أهدى من القطة » •

(٢) في ج ، ت : « ولحق قومه ، وتهموا الغار » •

(٣) راجع ابن كثير : السيرة النبوية ج ٢ ص ٢٣٩ — ٢٤٠ •

(٤) في ج ، ت : « في كل واحد منهم » •

(٥) ابن كثير : شمائل الرسول ٢٢١ — ٢٢٣ •

(٦) راجع ابن هشام ج ٢ ص ١٥٨ •

من قصعة فيها ثريد شعير وعنز حتى شبعوا ، ثم بقى لجابر بن عبد الله ما كفى أهله (١) .

ورد عين قتادة بن النعمان الأنصاري يوم أحد بعد ما فقئت ، فكانت أحسن عينيه ، وكانت الأخرى تمرض ، ولا تمرض هي ، فلقب قتادة العينى (٢) .

[ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بأقصى الحديبية على ثمد قليل الماء فشكى إليه] (٣) فأخذ سهما من كتانته ، وأعطاه البراء بن عازب ، وأمره بالهبوط فيها وأن يغرز السهم في ثغرها ، [فثار ماؤها] حتى لم يدركوا لها قعرا (٤) .

الى غير ذلك من المعجزات التى لا تحصى كانطاق المعجماء (٥) وما سبج في كفه من الحصباء (٦) ، وامطاره الماء من السماء (٧) ، والريح المرسلة الى أعدائه ليلا بالخذق ، وقرأ بذلك قرآنا باقيا ، قوله تعالى : **« يا أيها الذين آمنوا انكروا نعمة الله عليكم اذ جاءكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها »** الآية (٨) .

وكثير من معجزاته المنقولات على لسان صلحاء أمته على قرب العهد وكثرة الناقلين ، ولو أنى قصدت أن أسمى آياته كلها ، لضخم [هذا الكتاب

(١) المصدر السابق ج ٢ ص ١٥٨ .

(٢) ابن كثير : السيرة النبوية ج ٣ ص ٦٦ ، البداية والنهاية ج ٣ ص ٢٩١ .

(٣) في ج : « وهو من دواء البحر وشكى اليه في غزوة الحديبية بعد رمانه هاو .. » ، في ت : « وشكى اليه في غزوة الحديبية غور ماء بها » .
(٤) انظر ابن كثير : السيرة النبوية ج ٣ ص ١٤ - ١٥ ، الطبرى : تاريخ .. ج ٢ ص ٦٢٤ .

(٥) راجع ابن كثير . شمائل الرسول ص ٢٨٢ وما بعدها .

(٦) المصدر السابق : ص ٢٥٢ - ٢٥٨ .

(٧) حدث بعد صلاة الاستسقاء . (٨) الأحزاب : ٩ .

وطال عليك قراءة هذا الباب [^(١)] وانما [ذكرت] ^(٢) بعضها لتقف على كذب أسأفتكم وتوقعهم ^(٣) على الله تعالى فيما هو للعيون أوضح من الشمس .

* * *

[بعض ما في القرآن من الاخبار بالغيب]

وأما ما في القرآن من اخباره عما يكون ، فقوله تعالى :

« الم • غلبت الروم • في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون • في بضع سنين ، لله الأمر من قبل ومن بعد ، ويومئذ يفرح المؤمنون • بنصر الله ، ينصر من يشاء ، وهو العزيز الرحيم • وعد الله ، لا يخلف الله وعده » ^(٤) .

فهلا علم الله تعالى أنه ان أنجز له هذا الوعد يكون سببا لاتباع الناس له !

واذ سمعه يتقول عليه مثل هذا — كما تزعم — [ألا] يكبه في اخلاف وعده .

فما كانت أيها المغرور الا بضع سنين ، وغلبت الروم ملك الفرس بالبحرين وتملكوا أكثرهم ^(٥) • والبضع من العدد ما دون العشرة • وقوله تعالى :

« لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق ، لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين محلقين رؤوسكم ومقصرين • • » الآية الى قوله :

(١) في ج : « يضخم ديوان ذلك » ، وفي ت : « لعظم ديوان ذلك » .

(٢) في ج : « ت » ، « أنكر » . (٣) في ج ، ت : « وتوقعكم » .

(٤) الروم : ١ — ٦ .

(٥) ويلز : موجز تاريخ العالم ص ١٩٥ ، الطبرى : جامع البيان

ج ٢١ ص ١٢ .

« فجعل من دون ذلك فتحا قريبا »^(١) وقوله : « ومغانم كثيرة يأخذونها »^(٢) .

[فصدق وعده ، فدخلوا] مكة والبيت .

كما وعده الصالحات والفتح القريب [وهو] دخول خيبر قبل ذلك بقليل في قوله تعالى :

« وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا ، يعبدونني لا يشركون بي شيئا »^(٣) .

وقوله تعالى : « واذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم »^(٤) الآية

ولا يجوز أن يقول رئيس قوم لقوم : وعدتكم بذا وهو لم يعد .

وقوله تعالى : « سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق »^(٥) .

فقوله : « في الآفاق » يعني [فتح] الأمصار .

وفي أنفسهم : فتح مكة .

وقوله تعالى : « ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون »^(٦) .

وقوله تعالى : « وأخرى لم تقدرُوا عليها قد أحاط الله بها »^(٧) .

يعنى ما يستقبلون من فتح الأمصار .

وقوله تعالى : « وأرضا لم تطأوها »^(٨) يعنى أرض الفرس .

(٢) الفتح : ١٩ .

(٤) الأنفال : ٧ .

(٦) التوبة : ٣٣ ، الصف : ٩ .

(٨) الأحزاب : ٢٧ .

(١) الفتح : ٢٧ .

(٣) النور : ٥٥ .

(٥) فصلت : ٥٣ .

(٧) الفتح : ٢١ .

وقوله تعالى عن اليهود : « ان يضروكم الا اذى ، وان يقاتلوكم يولوكم الأدبار ثم لا ينصرون » (١) .

[فلما قاتلوه حقيقة ولوا الأدبار] (٢) .

وقوله تعالى : « والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا لنبوئنهم في الدنيا حسنة » (٣) .

فلما هاجروا أنزلهم المدينة ، وفتح عليهم ما لا يخفى .

وقوله تعالى : « فسيتقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون » (٤) .

وقوله تعالى : « قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم ، وبئس المهاد » (٥) .

وقوله تعالى : « سيقول لك المخلفون من الأعراب شغلنا أموالنا وأهلونا فاستغفر لنا » (٦) .

وقوله تعالى : « سيقول المخلفون اذا انطلقتم الى مغانم لتأخذوها نرونا تتبعكم » (٧) .

وقوله تعالى : « سيهزم الجمع ويولون الدبر » (٨) .

وقوله تعالى : « اذا جاء نصر الله والفتح . ورأيت الناس يدخلون من أبوابهم » (٩) [الى آخر] السورة .

وقوله تعالى في القرآن مثل هذا كثير . وفيما نقله السلف الصالح

(٢) من ع .

(٤) الأنفال : ٣٦ .

(٦) الفتح : ١١ .

(٨) القمر : ٤٥ .

(١) آل عمران : ١١١ .

(٣) النحل : ٤١ .

(٥) آل عمران : ١٢ .

(٧) الفتح : ١٥ .

(٩) النصر : ١ — ٣ .

من أهل ملتنا في كتبهم ما لا يحصى ، ولا يدفعه^(١) الا مجادل أو كافر ولو [لا] أنى [أخشى أن] أخرج عن غرض هذه الرسالة لتماذيت على ذكر ذلك ، وليس في ذكر ما قدمت من المعجزات والمعانيات خروج عن الغرض لأنه يبين خلاف ما ذهب اليه مصلوكم ، وما افترضوه^(٢) على الله وعلى رسوله .

واذ قد بينت^(٣) ذلك فلتعلم أن من الأنبياء الذين أنتم بهم مؤمنون [من لم تكن له] آية كداود [عليه السلام] ، [إذ] لم يذكر له في الزبور آية وكحزقيال [الذى] نص عندكم [عنه] أنه اجتمع [اليه نفر] يسألونه معجزة فقال :

« ان الرب يقول : أقسم قسما باسمى أنى أنا الحى . وأنى لا أجد جوابا عما تريدون »^(٤) .

وكذلك اجتمعت قريش الى محمد صلى الله عليه وسلم وسألوه انشقاق القمر^(٥) فكان ذلك ، فلما عاينوه تولوا عنه وعنتوا [عليه] .

(١) في ج : « ولا يدفع » ، وفي ت : « ولا يدفع فيه » .

(٢) في ج : « نظركم الذين أنتم به مؤمنون وما افترضتموه » .

(٣) في ج : « يثبت » .

(٤) ذكر حزقيال : « أن أناسا من شيوخ إسرائيل جاءوا ليسألوا الرب فجلسوا أمامى . فكان الى كلام الرب قائلا يا ابن آدم كلم شيوخ إسرائيل وقل لهم : هكذا قال السيد الرب هل أنتم آتون لتسألونى . حى أنا لا أسئل منكم يقول السيد الرب . هل تدين يا ابن آدم . عرفهم رجاسات آبائهم وقل لهم ... » . (حزقيال ٢ : ١ - ٥)

(٥) أجمعت كتب التراث الاسلامى على أن آية انشقاق القمر وقعت فعلا تصديقا لمحمد صلى الله عليه وسلم (راجع أخبارها عند ابن كثير : شمائل الرسول ص ١٣٨ - ١٤٤ ، والبداية والنهاية ج ٣ ص ١١٨ - ١٢٢ : =

وغيرها من كتب التفسير ، والحديث والسيرة النبوية) غير أن بعض المفكرين المحدثين يشكون في هذا وهم فريقان : أحدهما يتخذ هذا الشك طريقا للطعن في القرآن الكريم وهم المستشرقون . أما الآخر فيرى أن انشقاق القمر سيأتي في آخر الزمان ، والتعبير عنه بالماضي لبيان تأكيد وقوعه ، كما في قوله تعالى : « أتى أمر الله » فان المراد : يأتي أمر الله .

وتؤيد نتائج أبحاث علم الفلك هذا الرأي ، فلقد توصل العلماء ، خلال أبحاثهم ، الى أنه لا بد في المستقبل القريب — وطبقا لقانون دوران الأجرام السماوية — أن يقترب القمر من الأرض ، حتى ينشق من شدة الجاذبية وتتناثر أجزاؤه في الفضاء « Man does not Stand Alone P. 24 » . وسوف نحدث عملية انشقاق القمر هذه بناء على نفس القانون الذي يحكم المد والجزر في البحار ، فالقمر هو أقرب جيراننا في الفضاء ، ولا يبعد عن الأرض غير ٢٤٠.٠٠٠ ميلا ، وهذا القرب يؤثر على البحار مرتين يوميا ، حيث ترتفع فيها أحيانا أمواج يبلغ طولها ستين مترا ، وأما تأثير هذه الجاذبية على سطح الأرض فيبلغ عدة بوصات !!

ان المسافة الفاصلة بين الأرض والقمر مناسبة تماما لصالح أهل الأرض . ولو نقص هذا الفاصل الى خمسين ألفا من الأميال — على سبيل المثال — فسوف يحدث طوفان شديد في البحار ، وسوف تغطي أمواجه أكثر مناطق الأرض المأهولة ، وسوف يفرق كل شيء ، حتى لتتحطم الجبال من شدة تموج البحار وسوف تحدث شقوق مروعة على سطح الأرض من وطأة الجاذبية !!

ويرى علماء الفلك أيضا أن الأرض قد مرت بكل هذه الأدوار أثناء عملية التكوين ، حتى وصلت الى بعدها الحالي من القمر ، بناء على قانون الفلك ، وهذا القانون هو نفسه سوف يأتي بالقمر قريبا من الأرض مرة أخرى ويرون أن من المتوقع حدوث هذا قبل بليون سنة (هذا مجرد تعبير عن الامكان العلمي ، وحدوده الزمنية . وليس ببعيد أن تقع هذه الظاهرة في وقت أقل مما حدده الفلكيون وكلامهم لا ينفي هذا) وعندئذ سوف ينشق القمر ، وسوف يتناثر حول فضاء الأرض في صورة حلقة . أليست هذه النظرية من أعظم موافقات العلم لتلك النبوءة الواردة في القرآن الكريم حول انشقاق القمر ، حين تقترب القيامة ؟ (إخا ص ١٤٦ — ١٤٧) .

ثم اجتمعوا اليه بعد مدة ، فسألوه أن يأتي اليهم بالله والملائكة قبيلاً^(١) . وسألوه أن يرد لهم أجدادهم الماضين^(٢) ، ويكون فيهم قصى بن كلاب ليسألوه أحق [ما] أتى به أم لا ؟

وطلبوا منه أن يرحل عنهم جبال مكة ، ويفجر لهم في بطائعها أنهارا ، وسألوه أن يسقط عليهم من السماء كسفا . وأن يكون له بيت من زخرف . ويرقى في السماء ، ويأتيهم بكتاب مع ملائكة يشهدون ، وهذا كله منصوص في السورة السابعة عشر من القرآن ، فقال تعالى : « قل سبحان ربي هل كنت الا بشرا رسولا »^(٣) .

وقال تعالى : « وما منعنا أن نرسل بالآيات »^(٤) يعني هذه الآيات التي طلبوا [ها] منه ، ثم قال « الا أن كذب بها الأولون »^(٥) يشير الى تكذيبهم بانشقاق القمر قبل ذلك ، وتكذيب الأنبياء من قبله .

ثم ذكر ناقة صالح وقال في آخر الآية : « وما نرسل بالآيات الا تخويفا »^(٦) .

[فجعل ارسال الآية تخويفا]^(٧) ثم قال في آخر الآية [التالية] : « ونخوفهم فما يزيدهم الا طغيانا كبيرا »^(٨) .

فقال : « ونخوفهم » [أن] نرسل اليهم بالآيات فيكفرون .

وقال تعالى :

« وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها ، قل انما الآيات عند الله ، وما يشعركم أنها اذا جاءت لا يؤمنون . ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون »^(٩) .

(١) ابن كثير : السيرة النبوية ج ١ ص ٤٨٠ .

(٢) المصدر السابق ص ٤٨٠ .

(٣) الاسراء : ٩٣ . (٤) الاسراء : ٥٩ .

(٥) من ع . (٦) الاسراء : ٦٠ .

(٧) الانعام : ١٠٩ ، ١١٠ .

فأخبر تعالى أنه لو أرسل هذه الآية التي طلبوها لعتوا وتمادوا على كفرهم [كما فعلوا]^(١) في انشقاق القمر وغيره .

وفي الانجيل الذي بأيديكم عن المسيح أن اليهود أتوه [يسألونه معجزة] فقد فهم وقال : ان القبيلة الخبيثة القاصرة تطلب آية ولا تعطى ذلك^(٢) .

وفيه أيضا : أنه مر بسمعان الصياد ، وأخيه وهما يصيدان السمك فقال : « اتبعاني أجعلكما تصيدان الناس » فتبعاه بلا آية^(٣) .

ومن أعجب الأشياء أنكم تؤمنون بنبوّة مريم وحنة^(٤) وهما امرأتان بلا كتاب ولا معجزة ، ولا ذكر [تا] في صحف الأنبياء ، وتكفرون بسيد المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم ، وله كتاب يعجز الانس والجن ، ومعجزات ليست لنبي قبله ، وبشارات^(٥) في كتب الأنبياء عليهم السلام .

* * *

(١) من ع .

(٢) قارن : متى ١٣ : ٣٨ — ٣٩ ، لوقا ١١ : ٢٩ .

(٣) انظر : متى ٤ : ١٨ — ٢٠ .

(٤) قرر مجمع أفسوس (٤٣١) أن مريم أم للاله ، ولذا فهي بريئة من الخطيئة الموروثة ، وكذا من كل الخطايا الشخصية ، رفعها الله — بالجسد — الى السماء وأعطاه حق الشفاعة ، وفضلها على جميع أوليائه وأصفيائه .

ويرى علماء الكنيسة البروتستانتية أن أدلة الكنيسة الكاثوليكية على ذلك ليست الا أساطير ، ولذا فهم ينظرون اليها نظرة اجلال واحترام مقط على اعتبار أنها أم عيسى عليه السلام ولدته ولادة خارقة للعادة .
(انظر : « Nölle, Artkel Maia »)

أما حنة فقد وصفها الانجيل بأنها نبية . (قارن لوقا ٢ : ٣٦ — ٣٨) .

(٥) في ج : « وذكر بشارات » .

[بعض ما ورد في التوراة والانجيل من التبشير به]

[صلى الله عليه وسلم]

فأما انكار مصلوكم ذكره في الكتب قبله ، وبشارات الأنبياء به ،
فجريا بذلك على سبيلهم في الغواية والتوقع على الله تعالى •

وأنا أذكر لك ما يبين كذبهم مما هو بين أيديكم في الانجيل والتوراة
والزبور ، والنبوات ، وأورد ذلك على نحو ما قصدت اليه من الايجاز ،
والاكتفاء بالقليل ، اذ به يستبين كذب أساقفة التضليل ، والحمد لله على
ما منحنا من هدايته •

فمن ذلك في المصحف الخامس من التوراة الذي بأيديكم الى اليوم
قال الله لموسى بن عمران :

« انى أقيم لبني اسرائيل من اخوتهم نبيا مثلك ، أجعل كلامى على
فيه ، فمن عصاه انتقمته منه » (١) •

فان قلت : ان ذلك هو يشوع بن نون • [فماذا تقول فيما ذكر]
بعد [في التوراة] ؟ قال الله في آخر التوراة ، أنه لا يخلف من
بنى اسرائيل نبيا مثل موسى (٢) •

فلا محالة أن الذى بشرت به التوراة لا يكون من بنى اسرائيل ،
لكن من اخوة بنى اسرائيل ، ولا محالة أنهم العرب والروم ، فأما الروم

(١) والنص في التوراة هو : « أقيم لهم نبيا من وسط اخوتهم مثلك
وأجعل كلامى في فيه فيكلمهم بكل ما أوصيه به • ويكون أن الانسان الذى
لا يسمع لكلامي الذى يتكلم به باسمى أنا اطلبه » (تثنية ١٨ : ١٨ — ١٩)

(٢) قارن التثنية ٣٤ : ١٠ •

فلم يكن منهم نبي سوى أيوب ، وكان قبل موسى بزمان^(١) ، فلا يجوز أن يكون هو الذي بشرت به التوراة ، فلم يبق إلا العرب ، فهو اذن محمد صلى الله عليه وسلم .

وقد قال الله في التوراة ، حين ذكر اسماعيل جد العرب ، أنه يضع فسطاطه في وسط بلاد اخوته^(٢) . فكنى عن بنى اسرائيل باخوة اسماعيل ، كما كنى عن العرب باخوة بنى اسرائيل في قوله :
« سَأَقِيمُ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ أَخَوْتِهِمْ مِثْلَكَ » .

وقد ناظرني يوما أحد رهبان اليهود ، وأهل الذكاء منهم في هذا فقال :

« هذا كله صحيح لا أجد اعتراضا عليه ، غير أنه قال : سأقيم لبني اسرائيل ، ولم يكن محمد [رسولا] إلا الى العرب » .
فقلت له :

ما على الأرض أحد يجهل^(٣) أن محمدا صلى الله عليه وسلم قال :

(١) لم يكن أيوب من الروم ، وإنما كان عربيا ، ظهر قبل موسى . وكان يسكن أرض (عوص) في شرقي فلسطين أو حوران .

وهو عند مؤرخي العرب من بنى ابراهيم الخليل ، بينهما خمسة آباء . وهو بعض شراح التوراة قبل ابراهيم وترجح دائرة معارف البستاني الرأي القائل بأنه قبل ابراهيم بأكثر من مائة سنة .

غير أن الطبري ذكر في رواية عن وهب بن منبه أنه كان من الروم وذكر نسبه على أنه من ولد ابراهيم وهذا تضارب غابراهيم لم يكن من الروم .

(٢) نص ما جاء في التوراة الموجودة بين أيدينا : « وَأَوَامَ جَمِيعِ أَخَوْتِهِ يَسْكُنُ » . (تكوين ١٦ : ١٢)

(٣) في ج : « يجهل هذا أن محمدا . . . » وفي ت : « ما على الأرض من يجهل . . . » .

« بعثت الى الأبيض والأسود ، والعبد والحر ، والذكر والأنثى »^(١) .

وهذا كتابه ينطق [بالحق] أنه مبعوث الى الخلق كافة ، فلو أمكنك أن تقول :

« [انه] ادعى أنه مبعوث الى العرب خاصة ، لكنت لك حجة »
فقال :

« لا يمكننى — ولا غيرى — دفع ذلك ، وبذلك أخبرنا أسلافنا من اليهود عنه أنه قال : « بعثت الى الخلق كافة »^(٢) .

الا فرقة من فرق اليهود يقال [لها] العيسوية^(٣) تقول بنبوته ومعجزاته ، وتنكر أنه بعث الى غير العرب ، ولسنا على شيء مما عم عليه . ثم عطف على يهودى [كان]^(٤) بجنبه وقال له :

نحن قد جرى نشؤنا على اليهودية ، وبالله ما أدى ! كيف نتخلص من هذا العربى ؟ [وغاية ما أقول] ان أقل ما يجب علينا أن نأخذ به أنفسنا [هو] النهى عن ذكره بسوء .

وفى التوراة :

« جاء الرب من سيناء ، وأشرق لهم من سحير ، وتلألأ من

(١) نص الحديث : « أعطيت خمسا لم يعطهن احد قبلى ، كان كل نبي يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى كل احر والأسود . . . » (الهيئى : مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ج ٨ ص ٢٥٨ — ٢٥٩) ، ولم أعثر فى كتب الحديث على ما ورد فى النص : « والعبد والحر ، والذكر والأنثى » .

(٢) لم ترد كلمة « الخلق » فى الحديث ، بل « الناس » : بعثت الى الناس كافة . (ابن حجر : فتح البارى ج ٢ ص ٧٩)

(٣) انظر الشهرستانى ج ١ ص ٢١٥ — ٢١٦ .

(٤) فى ج ، ت : « يهودى الى جانبه » .

جبل^(١) فاران ومعه جماعة من الصالحين^(٢) .

فمجيئه من جبل سيناء أن الله أنزل فيه التوراة ، وكلم عليه موسى .

واشراقه من جبال سكير ، [أن دين عيسى بن مريم انما أشرق من

جبال سكير]^(٣) وهى جبال الروم من أدوم^(٤) .

واستعلاؤه من جبال فاران ، أن الله بعث محمداً منها ، وأوحى إليه

فيها ، ولا اختلاف أن فاران هى مكة^(٥) .

وقال فى التوراة : « ان الله أسكن هاجر وابنها اسماعيل فاران »^(٦) .

وفى التوراة التى بأيديكم أن الله قال لابراهيم حين دعاه فى ابنه

اسماعيل :

قد أجبئك فى اسماعيل ، وباركت عليه وكثرته ، وعظمته جدا

جدا^(٧) . وقال : « أجعله أمة عظيمة »^(٨) يريد أمة محمد صلى الله

عليه وسلم .

وقال فى التوراة أيضا لهاجر أم اسماعيل حين دعتة : « قد سمعت

خشوعك فى اسماعيل ، وستكون يديه فوق يد الجميع ، ويد الجميع

مبسوطة اليه بالخضوع »^(٩) .

(١) فى ج ، ت : « واستعلى من جبال » .

(٢) قارن : تثنية ٣٣ : ٢ ، (٣) من ع .

(٤) ادوم : لفظة عبرانية : معناها أحمر ، وهى اسم لعيسو الابن البكر

لإسحاق . دعيت البلاد التى أعطاها الله له بأرض أدوم نسبة اليه ، وكانت

تسمى قبلا بجبل سكير ، وذلك نسبة الى سكير جد الحوريين .

(٥) فاران : كلمة عبرانية معربة ، وهى من أسماء مكة ، وقيل : هو اسم

لجبال مكة .

(٦) تكوين ٢١ : ٢١ . (٧) قارن تكوين ١٧ : ٢٠ .

(٨) قال الله لابراهيم : « وأجعله أمة كبيرة » (تكوين ١٧ : ٢٠)

ولهاجر : « لأننى سأجعله أمة عظيمة » (تكوين ٢١ : ١٨) .

(٩) قارن تكوين ١٦ : ١٢ .

ولا محالة أن اسماعيل وولده لم تكن أيديهم الا تحت يد اسحاق ،
لأن النبوة كانت في ولد اسحاق ، فلما بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم ،
جعل يد بنى اسماعيل فوق يد الجميع ، ورد النبوة فيهم ، وأنماهم ،
وعظمتهم ، وبارك عليهم جدا جدا كما قال في التوراة •

وقال أيضا فيها :

أقبل السيد من سيناء ، وترا [عى] لنا ، وأقبل من جبال فاران ،
ومعه آلاف من الصالحين ، ومعه كتاب نارى ، وهو ختم الأجناس ،
وهو [و] جميع الصالحين في قبضته ومن تدانى من قدميه ، يصيب
من علمه (١) •

فاعتبر قوله ، واطرح الهوى ، تصب ان شاء الله •

وفى الزبور الذى بأيديكم :

« سبحوا الرب تسبيحا حديثا • سبحوا الذى هيكله الصالحون ،
ليفرح اسرائيل بخالقه • وبنات صهيون من أجل أن [الله] اصطفى لهم
أمة ، وأعطاهم النصر [وأيد] الصالحين منهم بالكرامة ، يسبحون
الله على مضاجعهم ، ويكبرونه بأصوات مرتفعة ، بأيديهم سيوف ذوات
شفرتين لينتقم الله [بهم] من الأمم الذين لا يعبدونه ، يوثقون ملوكهم
بالقيود ، وأشرفهم [بالأغلال] (٢) •

أخبرنى !

من [هذه] الأمة التى سيوفها ذوات شفرتين ينتقم الله بهم من
الأمم الذين لا يعبدونه ؟

ومن الجعوث بالسيف من الأنبياء ؟

ومن الذين يكبرون الله بأصوات مرتفعة فى الآذان ؟

(١) قارن تثنية ٣٣ : ٢ — ٣ . (٢) قارن مزمور ١٤٩ •

وفى الزبور الذى بأيديكم أيضا فى صفه محمد صلى الله عليه وسلم :
 « ويجوز من البحر الى البحر ، ومن منقطع الأنهار الى منقطع
 الأنهار ، وأنه يختر أهل الجزائر بين يديه على ركبهم ، ويجلس أعداؤه
 بالتراب ، ويأتيه ملوك بالقرايين ، وتسجد له ، وتدين له الأمم بالطاعة
 والانقياد ، لأنه يخلص [المظلوم من الظالم] وينقذ الضعيف الذى
 لا ناصر له ، ويرأف بالضعفاء والمساكين ، ويدوم أمره الى آخر
 الزمان » (١) .

وفى الزبور : « أن الله أظهر من صهيون اكليلا محمودا » (٢) .
 فالاكليلا : ضرب مثل للرياسة . ومحمود : هو محمد عليه السلام .
 وفى الزبور : « تقلد أيها الجبار السيف ، فان ناموسك ، وشرائعك
 مقرونة بيمينك ، وسهامك مسنونة ، والأمم يخرون تحتك » (٣) .

وفى الزبور : « يقول الله تعالى لداود عليه السلام : سيولد لك ولدا
 أدعى له أبا ، ويدعى لى ابنا ، فقال داود : اللهم ابعث جاعل السنة ،
 كى يعلم [الناس] أنه بشر » (٣) .

اعتبر قول داود ، حين أفزعه ذلك وراعه ، [فب] دعا الى الله أن
 يبعث جاعل السنة ، كى يعلم الناس أن ذلك الولد انما هو بشر !
 كذلك لما ضللتكم فى عيسى بن مريم [عليه السلام] فدعوتكم الله

(١) تارن مزمور ٧٢ : ٨ — ١٥ .

(٢) تارن : المزمور ١٣٢ : ١٨ ، والمزمور ١٣٣ : ١ — ٣ .

(٣) تارن مزمور ٤٥ : ٣ — ٥ .

(٤) لم يرد هذا النص فى الزبور ، ولكن عثرت على نص فى المزمور ٨٩
 يقول : ان الله سيعين داود ويقويه بسحق أعدائه وضرب مبغضيه ، وإن داود
 يدعو له أبا : « هو [أى داود] يدعونى أبى أنت الهى وصخرة خلاصى » (٢٧)
 وهو مخالف لمفهوم النص الذى استشهد به أبو عبيدة .

أبأ له ، ودعوتهم ابنأ لله ، بعث الله جاعل المسنة ، وكأشف الغمة ، الذى أعلم الناس أنه بشر ، ليس بأله •

وكذلك قال المسيح فى الانجيل الذى بأيديكم :

« اللهم ابعث الفارقليط ليعلم الناس أن [ابن] الانسان بشر »^(١)

وقال أيضا فى الانجيل الذى بأيديكم عن يوحنا :

« الفارقليط لا يجيئكم ما لم أذهب ، فاذا جاء وبخ العالم على الخطيئة ، ولا يقول من تلقاء نفسه شيئا ، ولكنه مما يسمع يكلمكم ، ويسوسكم بالحق ، ويخبركم بالحوادث والغيوب » • الى أن قال عنه : « وسيعطنى »^(٢) •

وذكر كيف يقهر أصحاب الدنيا ، وتمادى على وصفه بكلام [جيد] وقال :

« هو يشهد لى كما شهدت له ، وأنا أجبيئكم بالأمثال ، وهو يأتىكم بالتأويل » •

وفى الانجيل الذى بأيديكم أيضا عن يوحنا أن المسيح قال للحواريين :

« الذى يبغضنى يبغض أبى أيضا ، لو لم أكن قد علمت بينهم أعمالا لم يعملها غيرى لم تكن لهم خطية ، وأما الآن فقد رأوا وأبغضونى وأنا وأبى ، لكن لى تتم الكلمة المكتوبة فى ناموسهم أنهم أبغضونى بلا سبب • »
« ومتى جاء المعزى الذى سأرسله أنا اليكم من الآب روح الحق الذى من عند الآب ينبثق فهو يشهد لى ، وتشهدون أنتم أيضا لأنكم معى من الابتداء »^(٣) •

(١) قارن يوحنا ١٥ : ٢٦ — ٢٧ (٢) قارن يوحنا ١٦ : ٧ — ١٥

(٣) قارن يوحنا ١٥ : ٢٣ — ٢٧ •

فقال المنخما بلسان السريانية ، وتفسيره بالرومية : الفارقليط ، وهو بالعربية محمد صلى الله عليه وسلم (١) .

وفي الانجيل الذى بأيديكم أنه قال لليهود :

« وتقولون لو كنا فى أيام آبائنا لما شاركناهم فى دم الأنبياء . فأنتم تشهدون على أنفسكم أنكم أبناء قتلة الأنبياء فاملأوا أنتم مكيا آباءكم . أيها الحيات . أولاد الأفاعى . كيف تهربون من دينونة جهنم . لذلك ها أنا أرسل اليكم أنبياء وحكماء وكتبة فمنهم تقتلون ، وتصلبون ، ومنهم تجلدون فى مجامعكم ، وتطردون من مدينة الى مدينة ، لكى يأتى عليكم كل دم زكى سفك على الأرض من دم هابيل الصديق الى دم زكريا ابن برخيا الذى قتلتموه بين الهيكل والمنبح ، الحق أقول لكم ان هذا كله يأتى على هذا الجيل » .

« ياأورشليم ياأورشليم .. ياقاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين ، اليها كم مرة أردت أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها

(١) ذكر رحمة الله الهنذى أنه وقعت فى يده رسالة باللغة الأوردية طبعت فى كلكتة فى سنة ألف ومائتين وثمان وستين من الهجرة ، وكانت فى تحقيق لفظ فارقليط ، ادعى مؤلفها أن مقصوده أن ينبه المسلمين على سبب وقوعهم فى الغلط من لفظ فارقليط وكان ملخص كلامه أن هذا اللفظ معرب من اللفظ اليونانى ، فان قلنا ان هذا اللفظ اليونانى الاصل : « باركلى طوس » فيكون بمعنى المعزى والمعين والوكيل ، وان قلنا ان اللفظ الاصل « بيركلوطوس » ، يكون قريبا من معنى محمد وأحمد ، فمن استدل من علماء الاسلام بهذه البشارة فهم أن اللفظ الاصل « بيركلوطوس » ومعناه قريب من معنى محمد وأحمد ، فادعى أن عيسى عليه السلام أخبر بمحمد وأحمد لكن الصحيح أنه « باركلى طوس ») انتهى ملخصا من كلامه .

فأقول — أى رحمة الله — ان التفاوت بين اللفظين يسير جدا وأن الحروف اليونانية كانت متشابهة ، فتبدل « بيركلوطوس » « باركلى طوس » فى بعض النسخ قريب القياس ، ثم رجح أهل التثليث المنكرين هذه النسخة على الأخرى . (رحمة الله : اظهر الحق ج ٢ ص ٢٧٩ — ٢٨٠)

ولم تريدوا ، هو ذا بيتكم يترك لكم خرابا ، لأنى أقول لكم انكم لا تروننى من الآن حتى تقولوا مبارك الآتى باسم الرب » (١) .

فاعتبر قوله هذا ، وبشارته بمحمد صلى الله عليه وسلم المنتقم بعده لدماء المسلمين . وقوله « أرسل اليكم نبيا » . وهذا تحريف منكم [لأنه] قال « سيبعث الله أنبياء » ، وقد قدمنا أنه لم ينزل نفسه إلا بمنزله بشر ، لا اله .

ويقولون : « انه لا نبى بعد يحيى » [بينما] فى الانجيل الذى بأيديكم :

« انما النبوة والكتاب الى يحيى ، ومن بعده ، يبشر بملك الله (٢) ويؤخذ عنوة ، فذهاب السماء والأرض أهون من اسقاط حرف من الكتاب » (٣) .

فانظر قوله : « ومن بعده يبشر بملك الله ، ويؤخذ عنوة » ، فهو افصاح عن محمد صلى الله عليه وسلم ، وملك الله : هو ملك رسوله محمد (٤) صلى الله عليه وسلم فى الأرض ، [فهو] الذى قهر الأجناس بالسيف ، وقتل من قتل من اليهود وسائر الكفار انتقاما ، [أرسل اليهم] من الله ، [حيث اشتكتهم] دماء جميع أولئك المؤمنين .

وفى الانجيل الذى بأيديكم عن متى :

« لما سمع [يوحنا] فى السجن بأعمال المسيح أرسل اثنين من تلاميذه . . . وقال [المسيح] الحق أقول لكم لم يقم بين المولودين من النساء أعظم من يوحنا المعمدان . . . لأن جميع الأنبياء والتاموس

(١) متى ٢٣ : ٣٣ - ٣٩ (٢) قارن متى ٣ : ٢

(٣) قارن متى ٥ : ١٨ ، ٢١ : ٣٣ - ٤٦ .

(٤) فى ج : « هو ملك رسوله محمد رسوله صلى الله عليه وسلم » .

الى يوحنا تنبأوا • وان أردتم أن تقبلوا فهذا هو ايليا المزمع أن يأتي •
من له أذنان للسمع فليسمع » (١) •

فاعتبر هذه البشارة ! فان زعمت [أن المراد « بايليا » هو] الياش
النبي ، فهذا من توقعكم على الله ، ومكابرتكم العقول ، لأن الياش [كان
سابقا في الزمان على عيسى] (٢) ، أرسله الله الى قومه ، وكان من أمره
ما كان ، وصار الى الله تعالى •

وانما قال المسيح : ان ايليا مزمع أن يأتي ، [لأن] « ايليا » هو
الله تعالى [مجازا] ، فمجيء الله هو مجيء رسوله بكتابه ، وأمره كما
قال في التوراة :

« جاء الله من سيناء » •

وكما قال : « وأقبل من فاران » وما أشبه ذلك • [فـ] هو [تعبير
مجازي ، أي جاء رسول] من الله ، و [معه] كتابه •

وكذلك زعم عالمكم يرويم أن موسى بن عمران ، واليسع ، والياش
سيأتون • وحكي — زيادة — « أرميا » في الآيتين ، واحتج على ذلك بما
نص في كتاب الله عن الله تعالى أنه قال :

« قبلما صورتك في البطن عرفتك وقبلما خرجت من الرحم قدستك •
جعلتك نبيا للشعوب » (٣) •

فقال يرويم :

[أوحى الى] أرميا أنه يأتي آخر الزمان ، ليكون نبيا للأجناس
كلها ، كما قيل له ، لأنه لم يكن الأنبياء [مرسلين الا] لنبي اسرائيل
خاصة •

(١) متى ١١ : ٢ — ١٥ •

--(٢) في ج : « قد كان في الدنيا وقد . . . » •

(٣) أرميا ١ : ٥ •

فهذا قول « يرويم » • وما من نبي الا قال : انه الى بنى اسرائيل بعث ولم يبعث الى غيرهم ••• الى أن بعث الله سيدهم محمدا صلى الله عليه وسلم وقال له : « قل يا أيها الناس انى رسول الله اليكم جميعا » (١) • وقال عليه الصلاة والسلام : « بعثت الى الأبيض والأحمر » (٢) • وقد تيقنت نبوته ، وصح فضله على جميع الأنبياء عليهم السلام ، فذلك القول (٣) الذى قيل « الأرميا » فيما أوحى الله اليه ، انما هو قول لما بعده [وأن] المقصود به محمد صلى الله عليه وسلم • وقول « يرويم » : ان فلانا وفلانا — لمن سماهم من الأنبياء — سيأتون (٤) فى آخر الزمان ، [فليس الا] هتف (٥) ، وجراوة (٦) على الله ، وافتراء عليه ، ولن يأتى منهم — ممن قد مات (٧) — أحد الى يوم الميقات المعلوم •

وفى الانجيل الذى بأيديكم عن المسيح :

أنه ضرب مثلا للدنيا ، [فهى] كمثل رجل غرس (٨) كرما ، وأحاطه بسيياج (٩) وحفر (١٠) فيه معصرة ، وبنى برجاً (١١) وسلمه الى كرامين ، وسافر (١٢) ولما قرب وقت الاثمار أرسل عبيده الى الكرامين (١٣) •

(١) الأعراف : ١٥٨ (٢) انظر ص ٢١٦

(٣) قى ج : « بذلك الذى قال الأرميا » •

(٤) فى ج : « يتسألون » •

(٥) فى ج ، ت « انما هو هتف » •

(٦) قى ج : « وجراوة » • (٧) فى ج : « مما قد مات » •

(٨) فى ج ، ت : « أغترس »

(٩) فى ج ، ت « ومسيح حوله » •

(١٠) فى ج ، ت : « وجعل » •

(١١) فى ج ، ت : « وشيد فيه قصرا » •

(١٢) فى ج ، ت : « ووكل أعوانا وتغرب » •

(١٣) فى ج ، ت : « فلما دنى أوان قطافه بعث عبيده الى أعوانه المكلفين »

رجعنا فى تصحيح أخطاء هذا النص الى الانجيل (انظر متى ٢١ : ٣٣ — ٣٤)

[ثم] ضرب المسيح مثلاً للأنبياء ، ثم لنفسه في كلام كثير ، ثم
لمحمد صلى الله عليه وسلم ، وجعله الموكل آخرًا بأمر الكريم^(١) ، وأفصح
عن أمة محمد صلى الله عليه وسلم فقال : انه سيزاح عنكم ملك الله ،
ويعطى الأمة المطيعة العاملة •

ثم ضرب مثلاً [بـ] صخرة ، وقال : من سقط على هذه الصخرة
سينكسر ، ومن سقطت عليه يتهشم^(٢) • يريد بذلك محمداً صلى الله
عليه وسلم ، ومن ناوأه وحاربه أظهره الله عليه •
وفي صحف أشعيا النبي بأيديكم قال :

ستمثلي البادية والمدائن من قصور آل قيثار يسبحون الله ، ومن
رؤوس الجبال ينادون ، هم الذين يجعلون لله الكرامة ويثبون تسبيحة
الله في البر والبحر^(٣) •

وفي صحف حزقيال النبي يقول عن الله « انى مؤيد قيثار
بالملائكة »^(٤) •

وقيثار ولد اسماعيل ، فأى بادية هذه البادية التى امتلأت من
قصور آل قيثار ؟ [أليس هم] الذين ينادون بالأذان والتلبية من رؤوس
الجبال ويجعلون لله الكرامة بالصلاة والحج الى بيت الله !

وقال أشعيا النبي عن الله : « عبدى الذى سرت [به] نفسى
أنزل عليه وحيى ، فيظهر فى الأمم عدلى • ويوصى الأمم بالوصايا ،
لا يضحك ، ولا يسمع صوته فى الأسواق ، يفتح العيون العور ، ويسمع
الأذان الصم ، ويحيى القلوب الغلف ، وما أعطيه لا أعطيه أحداً غيره ، أحمد
يحمد الله حمداً حديثاً ، يأتى من أقصى الأرض ، تفرح البرية وسكانها ،

(١) فى ج « أمرا بالكرم » ، وفى ت : « آخرًا بالكرم » •

(٢) قارن متى ٢١ : ٤٤ • (٣) قارن أشعيا ٤٢ : ١١ — ١٣

(٤) لم أعثر على هذا النص فى الكتاب المقدس •

يهللون الله على كل شرف ، ويكبرونه على كل رابية ، لا يضعف ، ولا يغلب ، ولا يميل الى الهوى ، ولا يسمع في الأسواق صوته • ولا يذل الصالحين الذين هم كالعصفة(*) الضعيفة ، بل يقوى الصديقين وهو ركن المتواضعين • وهو نور الله الذى لا يطفأ ، ولا يخضع حتى تثبت في الأرض حجتى ، وينقطع به العذر ، [و] الى توراته ينقاد الخلق » (١) •

اعتبر هذا التصريح لمحمد صلى الله عليه وسلم ، وصفاته [ففيه الكفاية فكهم وكهم من وجوه يمتنع عليكم أن تدعوا فيها] (٢) لغير محمد صلى الله عليه وسلم ، فمن ذلك أنه [قال] : يوصى الأمم •

وقد كتب في انجيلكم الذى بين أيديكم أن المسيح قال :

« اني لم أبعث الى الأجناس ، وانما بعثت الى الغنم الرابضة من نسل اسرائيل » (٣) • فلا يجوز أن يكون الى الأمم جميعا غير محمد صلى الله عليه وسلم •

وفي الانجيل الذى بأيديكم أن المسيح قال للحواريين : « لا تسلكوا الى سبيل الأجناس ، ولكن اختصروا الى الغنم الرابضة من نسل اسرائيل » (٤) •

وقال أشعيا في كلامه المتقدم آنفا : « لا يضعف ولا يغلب » •

وأنت تقول : « ان المسيح غلب على نفسه ، وحمل خشبته ، وسمرت يداها فيها ، وقتل عليها » •

فهل في الضعف أكثر من هذا ؟

(*) العصفة : ما كان على ساق الزرع من الورق •

(١) قارن أشعيا ٤٢ : ١ — ٧ •

(٢) من ع ، وفي ج ، وت : « ومن كل وجه يمتنع عليكم أن يدعوا في هذا الكلام كله » •

(٣) قارن متى : ١٥ : ٢١ — ٢٦ •

(٤) قارن متى : ١٠ : ٥ — ٦ •

ولا جرم أن الله تعالى فتح لمحمد صلى الله عليه وسلم فتحا مبينا ،
ونصره نصرا عزيزا ، وأظهره على كل عدو ، ومعاند لله تعالى ، حتى أعلى
دينه وأفشى توحيده •

وفى صحف حبقوق النبي التي بأيديكم : « جاء الله من [تيمان]^(١)
وتقدس من جبال فاران ، وامتألت الأرض من تميمه وتقديسه ، وملك
الأرض بهيئته »^(٢) •

وقال أيضا : « عريت قوسك تعرية • سباعيات سهام كلمتك »^(٣) •

اعتبر ! [فكل ذلك] افصح لحبقوق باسم محمد وصفته •

وفى صحف أشعيا النبي يقول : « قيل لى : قم ناظرا فانظر !
فما ترى ؟ قلت : أرى راكبين مقبلين أحدهما على حمار والآخر على جمل
يقول أحدهما لصاحبه : سقطت بابل ، وأصنامها النخرة »^(٤) •

فصاحب الجمل هو محمد صلى الله عليه وسلم ، وصاحب الحمار —
باتفاق منا ومنكم — هو عيسى بن مريم عليه السلام •

أو ليس محمد بركوب الجمل أشهر من عيسى بركوب الحمار ؟ ،
وانما سقطت عبادة الأصنام ببابل من دون الله ، وهدمت أوثانها بالنبي
محمد صلى الله عليه وسلم وأمته ، لا بعيسى ، ولا بغيره ، فما زالت

(١) فى ج : « النبيين » • (٢) قارن : حبقوق ٣ : ٣ — ٤ •

(٣) فى ج ، ت : « وقالوا أيضا : تضىء لنوره الأرض ، ويستنزع فى
قسىك أعرافا ، وترتوى السهام بأمرك يا محمد ارتواء » فانظر حبقوق ٣ : ٩

(٤) واصل هذا النص فى سفر أشعيا :

« لأنه هكذا قال لى السيد : اذهب أقم الحارس ليخبر بما يرى
فراى ركابا أزواج فرسان • ركاب حمير • ركاب جمال • وقال سقطت سقطت
بابل وجميع تماثيل آلهتها المنحوتة كسرها الى الأرض » • (أشعيا ٢١ : ٦ — ٩)

ملوك بابل يعبدون الأوثان من لدن ابراهيم عليه السلام الى زمان
محمد وأمته •

وفي صحف أشعياء أيضا : « لتفرح أرض البادية العطشى ، ولتبتهج
البراري والفلوات » (١) • لأنها ستعطى بأحمد محاسن البستان ،
[وستكون مثل الرياض حسنا وبهاء] (٢) •

اعتبر ! هذا الافصاح باسمه وصفة بلده بما لا ينكره الا وقاح مكابر
بالباطل •

وفي صحف حزقيال النبي التي بأيديكم أيضا يقول عن الله عز وجل
بعد ما ذكر معاصي بنى اسرائيل ، وتشبههم بكرمة غرسها (٣) وارتفع
ساقها بين الأغصان الغيباء ، وقال : لم تثبت تلك الكرمة ، [فاقطلعت
وطرحت] (٤) على الأرض ، وأحرقت السماء ثمارها ، فعند ذلك غرست
في البدو ، وفي الأرض المهملّة العطشى (٥) ، وخرجت من أغصانها الفاصلة
نارا أكلت تلك ، حتى لم يوجد فيها غصن قوى ولا قضيب (٦) •

(١) وهو في سفر أشعياء : « تفرح البرية والأرض اليابسة ويبتهج
الفقر وبزهر كالنرجس » • (أشعيا ٣٥ : ١) •

(٢) من ع ، وفي ج ، ت « وكمثل حسن الدساكر والرياض » •

(٣) في ج ، ت : « غذاها » •

(٤) في ج ، ت : « أن قتل بالسحطة وربما بها » •

(٥) في ج : « العظمى » وساقطة من ت •

(٦) أصل النص كما جاء في سفر حزقيال : « أمك ككرمة مثلك غرست
على المياه • كانت مثمرة مفرخة من كثرة المياه • وكان لها فروع قوية لقضبان
المتسلطين وارتفع ساقها بين الأغصان الغيباء وظهرت في ارتفاعها بكثرة
زراعتها • لكنها اقتلعت بغيظ وطرحت على الأرض وقد يبست ريح شرقية
ثمرها • قصفت ويبست فروعها القوية • أكلتها النار • والآن غرست في القفر
في أرض يابسة عطشانة • وخرجت نار من فرع عصيها أكلت ثمرها ، وليس
لها الآن فرع قوى لقضيب تسلط » • (حزقيال ١٩ : ١٠ - ١٤) •

اعتبر ! هذا التصريح به ، وبصفة بلده كلها ، في قوله : الأرض المهملة البدو ، والعطشى ، وتلك صفات مكة ، لأنها صحراء ، لأنها كانت مهملة من النبوة من اسماعيل ، وهى [مركز] البدو •

وفي صفح « دانيال » النبى : وقد نعت الكذابين [بقوله] : « ولا تمتد دعوتهم ، ولا يتم فرقانهم • وأقسم الرب بساعده ألا يظهر الباطل ، ولا يقيم لداع كاذب دعوة أكثر من ثلاثين سنة » (١) •

اعتبر هذا الفضل الذى تتكرون ، [ف] هذه دعوة محمد صلى الله عليه وسلم قائمة منذ [ستمائة] من السنين ، وباقية الى يوم القيامة ، فحسبك بهذا دليلا على الباطل وأهله •

وقال « دانيال » النبى وقد سأله الملك [بختنصر] عن رؤية رآها ، وطلب منه أن يخبره بتفسيرها فقال :

« أيها الملك ! رأيت صنما بارع الجمال ، أعلاه من ذهب ، ووسطه من فضه ، وأسفله من نحاس ، وساقاه من حديد ، ورجلاه من فخار ، فبينما أنت تنتظر اليه ، وقد أعجبك ، اذ دقه الله بحجر من السماء ، ف ضرب رأس الصنم فطحنه حتى اختلط ذهبه ، وفضته ونحاسه ، وحديده ، وفخاره • ثم ان الحجر فار وعظم حتى ملأ الأرض كلها •

قال له « بختنصر » : صدقت ، فأخبرنى بتأويلها !

قال دانيال : أما الصنم فأمم مختلفة في أول الزمان وفي وسطه وفي آخره • فالرأس [التى] من الذهب : [هى] أنت أيها الملك • والفضة : ابنك من بعدك • والنحاس : الروم • والحديد : الفرس • والفخار : أمتان ضعيفتان تملكهما امرأتان باليمن والشام • والحجر : هو دين نبى

(١) لم أعثر على هذا النص في صفح دانيال ، بل ورد ما يفيد معناه في المزمور ١٠٩ فارجع اليه .

وملك أبدى ، يكون فى آخر الزمان يغلب الأمم كلها [ثم يعظم حتى يملأ الأرض كلها] كما ملأها ذلك الحجر « (١) » .

فأخبرنى !

هل كان نبى غير محمد صلى الله عليه وسلم جمع الأجناس والأمم كلها على اختلافها ، واختلاف لغاتها ، ودياناتها ، وممالكها وبلادها ؟

فجعلها جنسا واحدا ، ولغة واحدة ، ومملكة واحدة ، ودينا واحدا .

ولا محالة أن العرب والفرس ، والنبط والقبط ، والأكراد والترك ، والديلم والحبش والبربر (٢) ، ومن أسلم من [أهل] الهند والسودان والروم ، وغيرهم على كثرتهم كلهم ينطقون بلغة واحدة ، وبها يقرأون القرآن .

وقد صار كل من ذكرنا أمة واحدة ، والحمد لله على ذلك كثيرا ، فصحت نبوة سيد المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم ، وعلى جميع النبيين .

وقد تبين كذب أساقفتكم المضللين .

[صفات محمد صلى الله عليه وسلم]

فهذه جملة من [آيات] سيد المرسلين والنبيين محمد صلى الله عليه وسلم ، ومعجزاته ، ومن بشارات الأنبياء به إلى ما جبله الله عليه من الخلق العظيم ، والزهد فى الدنيا ، والعلم ، والحكمة ، والبيان ، والصفح ، والوقار ، ولين الخلق ، والرأفة ، والرحمة ، والتواضع لله ، والصبر ، والجود .

(١) قارن دانيال ٢ : ٣٧ — ٥٥ .

(٢) فى ج : « والحمل والتبريز » باهبال الكلمة الأولى .

وملك الحجاز ، واليمن كلها ، واليمامة كلها ، وأقصى نجد الى العراق . ومات ودرعه مرهونة عند يهودى فيما أكل أهله^(١) .

وكان بعد ما ملكه الله رقاب عباده ، وأوطأ له فى الأرض من فى الأرض ، وأخضع له الملوك ، يؤاكل العبد واليتيم ، ويحملهما كالأب الرحيم .

ويركب الحمار ، ويمشى فى الأسواق راكبا وراجلا ، ويجلس على الأرض ، ويأكل عليها ، ويلبس العبا [ء] ة ، ويرقع ثوبه ، ويخفف نعله ، ولم يشيد قصرا ، ولا غرس نخلا .

وكان يجوع حتى يجعل الحجر على بطنه^(٢) ، ويصلى الليل بطوله^(٣) حتى تورمت قدماه وإذا قام الليل فى الصلاة يسمع لصوته أزيز كآزيز

(١) ابن حجر : فتح البارى ج ٦ ص ٧٠ ، مسلم ج ١ ص ٢٧٠ — ٢٧١ .

(٢) عن جابر رضى الله عنه قال : انا يوم الخندق نحفر فعرضت كدية شديدة فجاءوا النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا : هذه كدية عرضت فى الخندق ، فقال : انا نازل . ثم قام وبطنه معصوب بحجر . . . الخ .

زاد يونس . « من الجوع » ، وفى رواية أحمد . . أصابهم جهد شديد حتى ربط النبى صلى الله عليه وسلم على بطنه حجرا من الجوع ،

وفائدة ربط الحجر على البطن أنها تضمر من الجوع فيخشى على انحناء الصلب بواسطة ذلك ، فإذا وضع فوقها الحجر وشد عليها العصاة استقام الظهر . وقال الكرماني : لعله لتسكين حرارة الجوع ببرد الحجر ، ولأنها حجارة رقاب قدر البطن تشد الأمعاء فلا يتحلل شيء مما فى البطن فلا يحصل ضعف زائد بسبب التحلل .

هل يسكن الحجر حرارة الجوع ؟ وهل يمسك بربط ما فى الأمعاء فيمنعها عن التحلل ؟ ذلك أمر يحتاج الى دراسة من المتخصصين فى هذا الجانب من حياة الإنسان . أما اللغوى فينظر الى هذه الكلمة : « حجر » من ناحية أخرى إذ أنه عندما يرى أن القاموس ذكر : « حجرة الأزار » يتساءل ألا يحتمل أن يكون المراد : الحجز ، وليس الحجر ؟

(٣) فى ج : « وطوله » .

الرجل من البكاء ، وكان أشد حياء من البكر ، ولم يغضب قط ، ولا أكل وحده ، ولا ضرب عبده ، ولا منع سائله رفده ، وكشف بشرته ليقترض منه عكاشة بن محصن — رجل من المسلمين — من شيء لم يتعمده ، فلما وصل اليه تبرك^(١) خديه في بطنه ، ويكي صلى الله عليه وسلم ، [وهو] اذ ذاك تهابه الملوك وتردع منه الجبابرة ، ولو كان سبق في حكم الله تعالى أن يكون انسان تام الها ثاما كما تزعمون ، لم يكن غير محمد صلى الله عليه وسلم لكمالهِ وِجلالهِ وبيانِ فضلهِ على جميع أولاد آدم ، فتلك صفاته وآياته التي علمها جميع العالم^(٢) .

* * *

[أخبار اليهود عن عيسى بن مريم عليه السلام]

فأخبرني أنت أيها المغرور اذا كفرت بكتابه ! من أين تحققت [عندك] لعيسى بن مريم فضيلة أو معجزة ؟

ومن نقل اليكم آية أو معجزة ؟

هل جئتم [بما جئتم به] الا بعده [بما] ينيف على مائتين وكسور من السنين ؟

· أخبرتم عن منامة رثيت [ف] أسرعتم الى تصديقها و [أنتم] لا تدرون أكان^(٣) موجودا في العالم أو لم يكن — لا بتواتر ولا بغيره — الا [بمقتضى] السبب الذي قدمت ذكره !!

أما [كان] الأولى لمن كفر بالقرآن أن ينكر وجود عيسى في العالم ، وان ظهر له صواب القول بوجوده !

(١) في ج ٥ ت « تراها » . (٢) في ج ، ت « العوالم » .

(٣) في ج ، ت : « هل كان » .

[أيكفر] ^(١) بالقرآن [ويقبل] ^(٢) قول اليهود به ، لزمكم أنهم كانوا رهطه ، ولكونه منهم وفيهم ، واليهود فيما بينهم متخالفون في أمره ؟ ثم أنتم متخالفون مع اليهود في أمره •

فقد زعمت اليهود أنهم حين أخذوه حبسوه في السجن أربعين يوماً ، وقالوا : ما كان لنا أن نحبسه أكثر من ثلاثة أيام ، إلا أنه كان يعضده أحد قواد الروم لأنه كان يداخله بصناعة الطب •

« وفي الانجيل الذي بأيديكم ، أنه أخذ صباح الجمعة ، وصلب في الساعة التاسعة من اليوم بعينه » ^(٣) •

فأخبرني ! متى تتوافقون مع اليهود في خبره ؟

واليهود مجمعة [على] أنه لم يظهر لهم معجزة ، ولا بدت لهم منه آية ، غير أنه طار يوماً — وقد هموا بأخذه — فطار على أثره آخر منهم ، فعلاه في طيرانه ، وجدله فسقط إلى الأرض بزعمهم •

وفي الانجيل الذي بأيديكم [في أكثر من موضع] ^(٤) ما يشهد أن لا معجزة له ، ولا آية ، فمن ذلك [مما هو] فيه منصوص أن اليهود قالوا له يوماً : ماذا نفعل حتى ننتهي إلى أمر الله ؟ •

فقال لهم : أمر الله أن تؤمنوا بمن بعثه •

فقالوا له : وما آيتك التي ترينا [حتى] نؤمن بك ، وأنت تعلم أن آبائنا أكلوا المن والسلوى بالمفاوز •

(١) في ج ، ت : « وهو يكفر » .

(٢) في ج ، ت : « فقبل » .

(٣) أنظر مرقس ١٥ : ٤٢ — ٤٤ ، ويوحنا ١٩ : ٣١ — ٣٣ .

(٤) في ج ، ت : في غير ما موضع [بدون نقط على الكلمة الأخيرة] وهذه الفترة ساقطة من ع ..

فقال : ان كان موسى أطعمكم خبزا بالمفاز ، فأنا أطعمكم خبزا سماويا^(١) . يريد نعيم الجنة .

فلو عرفوا له معجزة ، ما قالوا له ذلك ، ثم [هو] لم يجيبهم على قولهم بمعجزة ولا آية .

وفي الانجيل الذي بأيديكم أن اليهود قالت له : ما آيتك التي تصدقك بها ؟

قال : اهدموا البيت ، وأنا أبنيه لكم في ثلاثة أيام .

وقد قدمت ذكر هذا الخبر مستوفيا ، فلو كانت اليهود تعرف له آية ، لم تقل له هذا ! ولو كان [قد] أظهر لهم معجزة لذكرهم بها حينئذ .

وعندكم في الانجيل أيضا : أنهم جاءوا يسألونه آية ، وقد فهم [ما يريدون] ، فقال :

ان القبيلة الفاجرة الخبيثة ، شطلب آية ، ولا تعطى ذلك^(٢) .

وفيه أيضا : أنهم [أى اليهود] كانوا يقولون له وهو على الخشبة —

(١) نص ما جاء في الانجيل : « فقالوا له ماذا نفعل . حتى نعمل أعمال الله . اجاب يسوع وقال لهم هذا هو عمل الله . أن تؤمنوا بالذى هو أرسله . فقالوا له فأي آية تصنع لنرى ونؤمن بك ؟ ماذا تعمل . آباءنا اكلوا المن في البرية كما هو مكتوب . انه أعطانهم خبزا من السماء ليأكلوا . فقال لهم يسوع : الحق الحق أقول لكم ، ليس موسى أعطانكم الخبز من السماء . بل أبى يعطيكم الخبز الحقيقي من السماء لأن خبز الله هو النازل من السماء الواهب حياة للعالم . فقالوا له : يا سيد أعطنا في كل حين هذا الخبز . فقال لهم يسوع أنا هو خبز الحياة ، من يقبل الى فلا يجوع ، ومن يؤمن بى فلا يعطش أبدا » . (يوحنا ٦ : ٢٨ — ٣٥) .

(٢) نص ما جاء في الانجيل : « حينئذ اجاب قوم من الكتبة والفريسيين قائلين : يا معلم نريد أن نرى منك آية . فاجاب وقال لهم : جيل شرير وفاسق ، يطلب آية ولا تعطى له آية الا آية يونان النبي » . (متى ١٢ : ٣٨ — ٣٩) .

بظنكم — : « ان كنت المسيح ، فأنزل نفسك ، فنؤمن بك »^(١) .

يطلبون منه ذلك آية ، فلم يفعل .

فلتعلم — أيها المغرور — أنك ان كفرت بالقرآن ، لا تحقق لعيسى ابن مريم آية ، ولا فضيلة ، لأن أخباركم عنه وأخبار اليهود لا يلتفت إليها ، لما ذكرت من اختلاف بعضكم مع بعض ، وعدم يقينكم بجميع أموره .

وكذلك أجمعت اليهود على أنه ما ادعى شيئا من الألوهية ، التي نسبتهم اليه ادعاءها . ولا محالة أن مرادهم أن يدعى ذلك ، ليكون أبلغ في التشنيع عليه ، [فقد] ذكروا السبب في استفاضة^(٢) ذلك [أي التشنيع] عليه ، فقالوا : ان أخبارهم أثروا^(٣) ما مضى ، وبقي ذكره [ولذا] خافوا أن تصير عامتهم اليه ، اذ كان على سنن تقرب من سنتهم ، فشنعوا عليه أمورا كثيرة ، [منها] : نسبوا اليه دعوى الألوهية ، ترهيدا للناس في أمره^(٤) .

ثم ان اليهود عندهم من الاختلاف في أمره ما يدل على عدم يقينهم بشيء من أخباره ، فمنهم من يقول : انه كان رجلا منهم ، ويعرفون أباه وأمه ، [وينتهمونها] بالزنا . وحاشا الله ، قاتلهم أنى يؤفكون . ويسمون أباه البندير الرومى ، وأمه مريم الماشطة^(٥) . ويزعمون أن زوجها

(١) قارن متى ٢٨ : ٤٠ .

(٢) استفاضة الخبر . انتشر . والمصدر : استفاضة .

(٣) أثر الحديث : نقله ، فالحديث مأثور ، أى منقول قرن عن قرن .

(٤) ليس بين قوله : « أجمعت اليهود على أنه ما ادعى شيئا من الألوهية » وقوله : « نسيوا اليه دعوى الأولوية » تناقض ، لأنه يبدو أن المؤلف أراد بالفقرة الأولى الاخبار عن اليهود المعاصرين للمسيح ، وبالثانية ذريتهم الذين جاءوا بعد فترة من الزمن .

(٥) الماشطة : هي التي تحسن المشط وتتخذ ذلك حرفة لها .

يوسف بن يهوذا ، وجد البندير عندها على فراشها — أو شعر بذلك —
فهجرها وأنكر ابنها •

ومن اليهود :

من تبرأ من هذا القول ، وقال : انما أبوه يوسف بن يهوذا ، الذي
كان زوجا لمريم ، ويذكرون أن السبب في استفاضة اسم الزنيم^(١) عليه ،
أنه كان مع معلمه « يوشع بن يوحنا » ، وسائر التلاميذ في سفر ، فنزلوا
موضعا ، وجاءت امرأة من أهله وجعلت تبالغ في كرامتهم ، فقال « يوشع » :
« ما أحسن هذه المرأة » يريد أفعالها •

فقال عيسى — بزعمهم — : « لولا عمش في عينيها » •

فصاح « يوشع » وقال له : « باممزا » وترجمته يازنيم « أترنى
بالنظر » ، وغضب عليه غضبا شديدا وعاد الى بيت المقدس وصرح
باسمه ، ولعنه في أربعمئة قرن •

فحينئذ لحق عيسى — بزعمهم — ببعض قواد الروم ، ودأخله
بصناعة الطب فقوى بذلك على اليهود — بزعمهم — وهم يومئذ في ذمة
« بيلاطس » عامل القيصر « تبادوس » على فلسطين ، وجعل يخالف
حكم التوراة ويستدرك عليها ، ويعرض عن بعضها ، الى أن كان من
أمره ما كان •

وطوائف من اليهود يتحدثون بغير هذا ، في السبب الذي من أجله
لقب بتلك التستيمة ، [اذ] يقولون :

انه كان يوما يلعب الصبيان في صغره بالكرة ، فوقعت منهم بين
جماعة من مشايخ اليهود ، فضعف الصبيان عن استخراجها من بينهم
حياء من المشايخ ، فقوى عيسى ، وتخطى رقابهم وأخذها ، فقالوا له :

(١) الزنيم : اللثيم أو اللامى •

« ما نظنك الا زنيما » فمضت عليه هذه الشتيمة *

ومن اختلاف اليهود في أمره *

أنهم يسمون أباه — بزعمهم [وهو] الذي كان خطيب مريم —
يوسف بن يهوذا النجار * وبعضهم : يوسف بن الحداد *
وأنتم تقولون :

انه يوسف بن يعقوب * وبعضكم يقول : يوسف بن هالي^(١) وقد
تقدم ذكر اختلافكم أيضا في آبائه ، واختلافكم في عددهم الى ابراهيم ،
فمن مقل ، ومن مكثر^(٢) *

فهذه أخبار اليهود عن عيسى بن مريم ، وهم مع كثرة تنازعهم فيه ،
ليس منهم فرقة توافقكم في شيء مما ذكرتم *

وأنتم أيضا — على كثرة تنازعكم في خبره — لا توافقهم فرقة
منكم في شيء من ذكره ، وقد قدمت قولهم أنهم حين أخذوه — بزعمهم —
سجنوه أربعين يوما ، وفي أناجيلكم أنه صلب في اليوم الذي أخذ فيه *

فقد صح أنكم جميعا في شك منه ، ما لكم به من علم الا اتباع
الظن ، الى أن بعث الله سيد النبيين محمدا صلى الله عليه وسلم ، وأوحى

(١) نسبت الاناجيل عيسى بن مريم عليه السلام الى يوسف الذي كان
خطيب مريم — كما يزعمون — ثم أوردت سلسلة نسب يوسف فذكرت فيها
يهودا ، ويعقوب وهالي *

فهالي : والد يوسف ، ويعقوب : جده الواحد والخمسون * ويهوذا
جده الخامس عشر والثاني والثلاثون ، والخمسون (انظر لوقا ٣ : ٢٣ — ٣٨)
فمن قال : يوسف بن هالي ، فقد نسبة الى أبيه *

ومن قال : يوسف بن يعقوب فقد نسبة الى جده الخمسين *
ومن قال : يوسف بن يهوذا ، فقد نسبة الى جده الخامس عشر ، والثاني
والثلاثين ، أو الخمسين *

(٢) انظر : ص ١٤٧ *

اليه ما أبطل هذه الأقوال المخيمة ، وشهد له بآيات ، وقال له بمعجزات ،
وقوله الحق وشهادته الصدق •

وقد كان يجب على أساقفتكم الغاوين حين راموا الشتيمة في سيد
النبيين ، وخلق الأكاذيب عليه أن يتفكروا في قول اليهود في المسيح
عيسى بن مريم فيعلمون أن الشتائم والأكاذيب لا يرضى بها أحد من
الناس الا الأشرار ، وأنها ليست من شيم الصالحين والأخيار •

ونحن المسلمين ، فقد قارنا بين أقوال اليهود في عيسى وأقوال
أساقفتكم الغاوين في سيد الأنبياء ، وأوجبنا بذلك كله على جميعكم لعنة
الله والملائكة والناس أجمعين •

[تحريف التوراة وبعض ما فيها من المفتريات على الله تعالى وأنبياؤه الكرام ، وهو الجزء الثاني من الرد على الشبهة السابعة]

ولذلك لا يجب علينا تصديقكم في شيء مما تناقلتموه من التوراة ،
والانجيل ، والزبور ، وأخبار الأنبياء ، اذ ظهر غتوكم جميعا على الله
تعالى ، وكذبكم على أنبيائه عليهم الصلاة والسلام ، واستنابن لكل
ذى بصيرة •

ولا يؤمن ادخالكم الخذل في الكتب ، ولا سيما مع اقراركم أن
التوراة انما كانت طول مدة ملك بنى اسرائيل عند الكاهن الأكبر
الهاروني^(١) وحده •

(١) هو هارون بن أشير ، يذكر الباحثون في مخطوطات التوراة القديمة
أنه أخفى نسخة مخطوطة في معبد سفراديم في حلب ، خوفا عليها من الضياع ،
وأنها من المخطوطات الهامة التي اعتمدوا عليها في تخريج العهد القديم الموجود
بين أيدينا « Kunt' S. 28 und stellen S. 11 »

ولا ينكر ذلك منكم — ولا من اليهود — الا وقح عظيم المجاهرة
بالباطل .

واليهود تقرر أن السبعين كاهنا^(١) اجتمعوا على اتفاق من جميعهم في
تبديل ثلاثة عشرة حرفا من التوراة ، وذلك بعد المسيح في زمن القياصرة ،
ومن رضى تحريف موضع في كتاب الله فلا يؤمن منه تحريف الكثير .

وكذلك يقرون أن السامرية — وهي فرقة منهم — حرفت التوراة
تحريفا بينا ، والسامرية يدعون عليهم مثل ذلك من التحريف . ولعل
الفريقين صادقان ، فأين حينئذ في التوراة شيء يوثق به ، مع تقابل هذه
الدعاوى من فرق اليهود فكفونا بأنفسهم من غيرهم .

وأنتم أيضا تدعون أنهم حرفوا في التوراة التاريخ ، فترعمون أنهم
نقصوا من تاريخ آدم صلى الله عليه وسلم ألف سنة ، ونحو المائتين
من السنين .

وهذه أمور لا يدعى معها الجزم بعدم تحريف التوراة الا معاند
متعسف ، فان قلتم : كان النبيون صلوات الله عليهم يحكمون بها الى زمن
المسيح عليه السلام والأنبياء معصومون عن الباطل . وهذا يبطل جميع
ما يذكره المسلمون [من دعوى التحريف ، ويحتتم عليهم أن] يوافقونا
على حكم النبيين بها ، لقول القرآن : « يحكم بها النبيون »^(١) .

(٢) كاهن يجمع على كهنة ، وكهان ، وفعله : كهن كهانة ، وتكهن تكهنا
وتكهينا كهن لفلان : قضى له بالغيب ، وحدثه .
وكهن : صار كاهنا أو صارت الكهانة له طبيعة وغريزة .
والكاهن : من يدعى معرفة الأسرار أو أحوال الغيب ويطلق عند اليهود
وعباد الأوثان على من يقدم الذبائح والقرايين ، وعند المسيحيين على من ارتقى
الى درجة الكهنوت .

(٢) المائدة : ٤٤

قلت : الجواب من وجهين :

أحدهما : لعل النبيين عليهم السلام كان يوحى اليهم بالصحيح منها .

وثانيها : أن كل شيء حكموا به فهو صحيح .

ولكن لم قلتهم : أنهم حكموا بجملتها ، مع أن الذي حكموا به غير معين ، فسقط الاستدلال بالجميع ، ولا يفيدكم حكمهم شيئا . ومع ذلك فالتغيير لم يتعين له زمن ، فلعله كله كان قد وقع بعد النبيين ، بعد المسيح عليه السلام .

وكذلك الانجيل الذي بأيديكم : انما هو كتب أربعة مختلفة من تأليف أربعة رجال ، وهم : «يوحنا بن زبدي» ، «ومتى العشار» ، «ومرقس» — وهو تلميذ «بولس» و «برنابا» — و «لوقا» . فأمكن في كل ذلك التبديل .

وعلى ما فيها من اختلال وتحريف ، فقد استخرجنا ما فيها من البشارات بسيد النبيين ، مشرقة لعيون العالم ، لا يدفع فيها الا كل أعمى البصيرة أو مجاهر بالباطل .

[نعود فنقول] ثم في التوراة من الأكاذيب ، والتحريف التشنيع ، والكفر البشيع ، والخرافات التي هي حديث العجائز ، كقوله عن لوط عليه السلام : أنه خرج من صوغر ، وسكن في كهف الجبل . ومعه ابنتاه . فقالت الصغرى للكبرى : قد شاخ أبونا ، فأرقدينا معه ، لناخذ منه نسلا .

فرقدت معه الصغرى ، ثم الكبرى ، ثم فعلتا في الليلة الثانية ، وحملتا منه بولدين [هما] موآب ، وعمون ^(١) .

(١) نص ما جاء في النوراه : «وصعد لوط من صوغر ، وسكن في الجبل وابنتاه معه . لأنه خاف أن يسكن في صوغر . فسكن في المغارة هو وابنتاه . وقالت البكر للصغيرة : أبونا شاخ ، وليس في الأرض رجل ليدخل علينا كعادة كل الأرض . هلم نسقى أبانا خمرا ، ونضطجع معه فنحيس من

فهل يحسن أن يكون لوط نبيا من الأنبياء ، ورسولا من الله ، ويوقعه الله في مثل هذه الفاحشة ؟

وفى التوراة أيضا :

ولما سكن يعقوب بذلك الموضع ، مشى ابنه رأوبين — وهو أكبر أولاده — فضاجع سرية أبيه يعقوب^(١) .

هذا لفظ التوراة • ثم قال فيها :

ولما علم بذلك يعقوب قال لابنه : رأوبين سلكت على وجهك كالماء . فلذلك لم أفضلك بالسهم الزائد حيث امتهنت فراشى^(٢) .

وتفسير هذا أن سنة الميراث كانت عندهم أن يرث الولد الأكبر سهمين ، وسائر الأولاد سهمًا واحدًا ! فعاقب يعقوب ابنه رأوبين على فعله المذكور ، بأن لم يفضل في الميراث •

نسلا • فسقنا أباهما خيرا في تلك الليلة • ودخلت البكر واضطجعت مع أبيها • ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها وحدث في الغد أن البكر قالت للصغيرة أتى قد اضطجعت البارحة مع أبي • نسقيه خمرًا الليلة أيضا فادخلت اضطجعت معه فنحى من أبينا نسلا • فسقنا أباهما خيرا في تلك الليلة أيضا • وقامت الصغيرة واضطجعت معه • ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها • فحبلت ابنتا لوط من أبيهما • فولدت البكر ابنا ودعت اسمه موآب • وهو أبو المואبيين الى اليوم • والصغيرة أيضا ولدت ابنا ودعت اسمه بن عمى • وهو أبو بنى عمون الى اليوم » (تكوين ١٩ : ٣٠ — ٣٨) •

(١) نص التوراة : « • • • وحدث اذ كان اسرائيل ساكنا في تلك الأرض أن راوبين ذهب واضطجع مع بلهة سرية أبيه وسمع اسرائيل » (تكوين ٣٥ : ٢٢) •

(٢) نص التوراة « ودعا يعقوب بنيهِ ، وقال اجتمعوا لأتبنكم بما يصيبكم في آخر الأيام • اجتمعوا واسمعوا يا بني يعقوب • واصفوا الى اسرائيل أبيكم • راوبين أنت بكرى قوتى وأول قدرتى ، فضل الرفعة وفضل العز • فائرا كالماء لا تتفضل • لأنك صعدت على مضجع أبيك • حينئذ دنسته • • • » (تكوين ٤٩ : ١ — ٤)

وفي التوراة أيضا :

أن يهوذا بن يعقوب زنى بكننته « ثامار » ، امرأة ولديه ، وقد هلكا عنها واحدا بعد واحد ، فردها يهوذا الى بيت أبيها • ووعدا بتزويجها للولد الثالث المسمى « شيلة » ، اذا كبر • [ولما ماتت امرأة يهوذا وانتهت أيام العزاء] تصدت [أى « ثامار »] ليهوذا فى طريقه الى غنمه ، وسترت وجهها ، فظنها بغيا ، فعدل اليها ، ودعاها الى نفسه ، فسألته أجرا فوعدها بجدى من غنمه • فطلبت منه رهنا ، فأعطاها خاتمه ، ومنديله ، وعصاه • وواقعها — بزعمهم — فحملت منه • ثم ان يهوذا أرسل [رسولا] بالجدى ليطلب رهنه فلم يجد^(١) المرأة ، فجاء بنفسه الى أهل القرية ، وقال لهم : أين قحابكم^(٢) المتطلبة على الطريق ؟

فقالوا : ما كان منا على الطريق قحباء •

ثم انه قيل له بعد حين : ان كنتك « ثامار » حبلى •

فقال : تحرق بالنار •

فأخرجت لتحرق ، فقالت : انما أنا حامل منه ، وهذا رهنه بيدي حين زنى بى ، ليفكها بجدى من غنمه •

فلما رأى يهوذا الرهن ، فكر ، ثم قال : هى أصدق منى •

هذا كله نص التوراة^(٣) التى بأيديكم اليوم ، فاعتبر ولوع اليهود بذكر الفواحش •

(١) فى ج ، ع ، ت : « فلم توجد » .

(٢) فى ج ، ع ، ت « فحباؤكم » ، وهو خطأ ، لأن فعلاء جمع تكسير مقبىس فى « فعيل » وصفا لمذكر عاقل ، وهذه الكلمة ليس مفردا فعيل ، بل فعله « قحبة » . كذلك ليست وصفا لمذكر ، بل لمؤنث ، وهى المرأة الفاجرة او البغى .

(٣) وردت هذه القصة فى التوراة كما يلى : « ... واخذ يهوذا زوجة

وبشرهم^(١) الى التناول بهذا على صفوة الله من خلقه .

لعمركم ، اسمها ثامار . وكان عمر بكر يهوذا شريرا في عيني الرب ، فأماته الرب . فقال يهوذا لأونان ادخل على امرأة أخيك ، وتزوج بها ، وأقم نسلا لأخيك . فعلم أونان أن النسل لا يكون له . فكان اذ دخل على امرأة أخيه انه أفسد على الأرض لكيلا يعطى نسلا لأخيه . ففجح في عيني الرب ما فعله فأماته أيضا . فقال يهوذا لثامار كنته اقعدى أرملة في بيت أبيك حتى يكبر شيلة ابني . لأنه قال لعله يموت هو أيضا كأخويه . فمضت ثامار وقعدت في بيت أبيها . ولما طال الزمان ماتت ابنة شوع امرأة يهوذا . ثم تعزى يهوذا ، فصعد الى جزار غنمه الى تمنة هو وخيرة صاحبه العدلامي فأخبرت ثامار وقيل لها هو ذا حموك صاعد الى تمنة ليحجز غنمه . فخلعت عنها ثياب ترميها ، وتغطت ببرقع وتلففت ، وجلست في مدخل عينايم ، التي على طريق تمنة . لأنها رأت أن شيلة قد كبر وهى لم تعط له زوجة . فنظرها يهوذا وحسبها زانية . . لأنها كانت قد غطت وجهها ، فمال اليها على الطريق وقال هاتى ادخل عليك . لأنه لم يعلم أنها كنته . فقالت ماذا تعطينى لكي تدخل على ؟ فقال انى أرسل جدى معزى من الغنم . فقالت هل تعطينى رهنا حتى ترسله ؟ فقال ما الرهن الذى أعطيك ؟ فقالت خاتمك وعصابتك ، وعصاك التى في يدك ، فأعطائها ، ودخل عليها فحبلت منه . ثم قامت ومضت ، وخلعت عنها برقعها ولبست ثياب ترميها . فأرسل يهوذا جدى المعزى بيد صاحبه العدلامي ، ليأخذ الرهن من يد المرأة ، فلم يجدها . فسأل أهل مكانها قائلا أين الزانية التى كانت في عينايم على الطريق . فقالوا لم تكن ههنا زانية فرجع الى يهوذا وقال لم أجدها وأهل المكان أيضا قالوا لم تكن ههنا زانية . فقال يهوذا لتأخذ لنفسها لثلا نصير اهانة . انى قد أرسلت هذا الجدى ، وأنت لم تجدها .

ولما كان نحو ثلاثة أشهر ، أخبر يهوذا ، وقيل له قد زنت ثامار كنتك . وهى حبلى أيضا من الزنا . فقال يهوذا أخرجوها فحرق . أما هى ، فلما أخرجت أرسلت الى حميها قائلة من الرجل الذى هذه له أنا حبلى ، وقالت حقق إن الخاتم ، والعصاة ، والعصا هذه ؟ فتحققها يهوذا وقال هى أبر منى ، لأنى لم أعطها لشيلة ابني)) (تكوين ٣٨ : ٦ - ٣٦) .

(١) شره على الطعام وغيره شرها ، من باب تعب : حرص عليه أشد الحرص ، فهو شره .

وفي التوراة أيضا عن « دينة » بنت يعقوب :

أنها خرجت الأمر موصوف فيها [أى فى التوراة] ، فرآها شكيم بن حمور الحوى رئيس ذلك الموضع ، فاغتصبها وأقبضها •

هذا لفظ التوراة(*) تخرصا ، وافترأ على الله تعالى [عما يقولون] •

فما الفائدة فى نزول هذا الحديث البشع من السماء ، على موسى بطور سيناء ، بعد زهاء أربعمئة سنة يقرؤه [عليكم] الكهان فى المعابد ، على أنه كلام منزل على رسوله موسى ، فتستك به الآذان ، وتعمى به القلوب^(١) •

وانا لنرى « دينة » ، واخوتها الأسباط ، وأباها يعقوب ، أكرم على الله من أن يجرى هذا عليهم ، وهم أهل البيت الذى نزل كتاب الله تعالى بتطهيرهم ، فقال سبحانه :

« ... رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت ، إنه حميد مجيد »^(٢)

وفي التوراة أيضا عن ابراهيم عليه السلام :

أنه كان يوما قاعدا عند باب فسطاط له ، وأبصر ثلاثة رجال واقفين على مقربة منه ، فجرى اليهم ، وسجد ، وقال : ياساداتى ! ان كنت راضيا عنى ، فلا تخلف عبدك ، حتى أسوق ماء تغسلون به أرجلكم ،

(*) لفظ التوراة : « وخرجت دينة ابنة لينة التى ولدتها ليعقوب ، لتنظر بنات الأرض • فرآها شكيم ابن حمور الحوى رئيس الأرض ، وأخذها واضطجع معها وأذلها » (التكوين ٣٤ : ١ - ٣) •

(١) فى ت : « فتصطك الآذان وتصغى اليه العقول » وليس هناك نرقا جوهريا بين استك واصطك ، فاستكن المسامع : صبت ، واصطك من صكه صكا : اذا ضرب قفاه ووجهه بيد مبسوطة ، وصك الباب : أطبقه •

(٢) هود : ٧٣ •

وتستريحون تحت هذه الشجرة ، وأقدم لكم كسرة تقوون بها قلوبكم ،
وبعد ذلك تذهبون (*) .

أخبرني ! .

كيف يستحسن إبراهيم أن يقول على الله : يغسل رجله ويقوى
قلبه بكسرة ؟ .

هذا هو دليلكم على التثليث لمخاطبة الثلاثة مخاطبة رجل واحد وقد
أنبأنا الله تبارك وتعالى في كتابه الحكيم ، على لسان رسوله الكريم ، أن
صيف إبراهيم الذين أتوا اليه تحت العفصة^(١) انما كانوا ملائكة .

وفي التوراة :

أن موسى تجلى الله له في سيناء وقال له كلاما كثيرا ... إلى قوله :
قال الله لموسى : أنا هو الذى [لا اله الا] هو ، أدخل يدك في جيبك
وأخرجها مبروسة كالثلج^(٢) .

واذا أخرجها مبروسة ، فأى آية فيها ؟ اذ بياض البرص موجود في
الناس . والله أخبرنا في محكم كتابه ، أنه قال له :

(*) والنص في التوراة : ((وظهر له الرب عند باوطات مبرا ، وهو جالس
في باب الخيمة وقت حر النهار . فرفع عينيه ، ونظر ، وإذا ثلاثة رجال واقفون
لديه . فلما ركض لاستقبالهم من باب الخيمة ، وسجد الى الأرض وقال
ياسيد ان كنت وجدت نعمة في عينيك ، فلا تتجاوز عبك ليؤخذ قليل ماء
وأغسلوا أرجلكم ، واتكؤا تحت الشجرة ، فأخذ كسرة خبز فتسندون قلوبكم ،
ثم تجتازون)) (تكوين ١٨ : ١ - ٥) .

(١) العفص ، جمع عفصة : شجر كثير الانتشار في لبنان وسوريا
والمناطق المجاورة ، وهو نوع من شجر البلوط .

(٢) نص ما ورد في التوراة : ((ثم قال له الرب أدخل يدك في عبك ، فأدخل
يده في عبه ، ثم أخرجها ، وإذا يده برصاء مثل الثلج)) (خروج ٦ : ١) .

« وأدخل يدك في جييك تخرج بيضاء من غير سوء » (١) .

وفي التوراة عن اللوحين :

أنهما منقوشان باصبع الله (٢) تبارك وتعالى . والله أخبرنا عن ذلك في محكم كتابه فقال :

« وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلا لكل شيء » (٣) .

وفي التوراة :

سخط الله على الأمة ، بسبب العجل الذي عمله لهم هارون ! (٤) .

(١) النمل : ١٢

(٢) ورد في التوراة : « واللاوحان هما صنعة الله والكتابة كتابة الله منقوشة على اللوحين » (خروج ٣٢ : ١٦) .

(٣) الأعراف : ١٤٥ .

(٤) نص التوراة : « ولما رأى الشعب أن موسى أبطأ في النزول من الجبل اجتمع الشعب على هارون ، وقالوا له : قم اصنع لنا آلهة تسير أمامنا . لأن هذا موسى الرجل الذي أضعنا من أرض مصر لا تعلم ماذا أصابه . فقال لهم هارون انزعوا أقراط الذهب التي في آذان نسائكم وبناتكم وأتوني بها . فنزع كل الشعب أقراط الذهب التي في آذانهم وأتوا بها إلى هارون . فأخذ ذلك من أيديهم وصوره بالازميل وصنعه عجلا مسبوكا فقالوا هذه آلهتك يا إسرائيل التي أضعنتك من أرض مصر . فلما نظر هارون بنى مذبحا أمامه . ونادى هارون وقال غدا عيد للرب . فبكروا في الغد وأصعدوا محرقات وقدموا ذبائح سلامة . وجلس الشعب للأكل والشرب ثم قاموا للعب » (خروج ٣٢ : ١ - ٦) .

ويفهم من هذا النص أن هارون صنع العجل بيده ، وبنى مذبحا أمامه ، وشرع عيداً له يحفل فيه بتقديم القرابين لهذا العجل المصنوع من الذهب . أما القرآن الكريم فيخبرنا أن الذي صنع العجل هو السامري ، الذي أضل قوم موسى أثناء غيابه عنهم وأن هارون حذرهم من هذا العمل وبين لهم أنها فتنة فلم يسمعوا له يقول الله تعالى : « (لوما أعجلك عن قومك يا موسى .

فكيف ينبغي لهارون أن يكون الله قد بعثه ، وارتضاه نبيا معيناً
لأخيه موسى ، ويعمل لهم العجل بيده !!!

وفي التوراة :

أن اسحاق هو الذبيح^(١) ، وإنما الذبيح اسماعيل ، ودليل على ذلك
أن النحر والذبيح [كان] بمنى ، بموطن اسماعيل^(٢) . وأيضا فان قرون
الكبش كانت معلقة في الكعبة من عهد ابراهيم الى زمن دخول الحجاج
ابن يوسف على عبد الله بن الزبير فأحرقت^(٣) .

قال هم أولاء على أثرى وعجلت اليك رب لترضى . قال فانا قد فتننا قومك من
بعدك وأضلهم السامري . فرجع موسى الى قومه غضبان أسفا ، قال يا قوم
ألم يعصمكم ربكم وعدا حسنا ، أفتال عليكم العهد أم أردتم أن يحل عليكم غضب
من ربكم فأخلفتم ووعدي . قالوا ما أخلفنا موعدا بملكنا ولكننا حملنا أوزارا
من زينة القوم ففقدناها فكذلك ألقى السامري . فأخرج لهم عجلا جسدا له
خوار فقالوا هذا الإلهكم وآله موسى فنسى . أفلا يرون ألا يرجع اليهم قولا ولا
يمالك لهم ضرا ولا نفعا . ولقد قال لهم هارون من قبل يا قوم إنما فتنتم به ،
وان ربكم الرحمن فاتبعوني واطيعوا أمري » (طه : ٨٣ — ٩٠) .

(١) راجع الاصحاح الثاني والعشرين من سفر التكوين .

(٢) جاء في التوراة : « ... أن الله امتحن ابراهيم . . فقال خذ ابنك
(تكوين ٢٢ : ١ — ٢) .
وحيدك الذي تحبه اسحاق »

ولم يكن وحيدا ، لأنه رزق باسماعيل قبل أن يولد اسحاق . . ألا يدل
هذا على أن رواية التوراة غير دقيقة ؟ وإذا كان الأمر كذلك فلا يعتمد عليها
في الاخبار بأن الذبيح كان اسحاق .

(٣) قال الامام أحمد : حدثنا سفيان ، حدثنا منصور عن خاله نافع ،
عن صفية بنت شيبة قالت : أخبرتنى امرأة من بنى سليم ، ولدت عاملة أهل
ديارنا قالت : أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عثمان بن طلحة . . .
وقالت مرة انها سألت عثمان : لم دعاك رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟
قال : قال لي رسول الله : انى كنت رأيت قرنى اكبش حين دخلت البيت ،

وفي المصحف الأول من التوراة أيضا يقول :

ورأى الله أن قد كثر فساد الآدميين في الأرض ، فندم على خلقهم
وقال : سأذهب الآدمي الذي خلقت على الأرض ، والحشائش ، وطيور
السماء . اني نادى على خلقها جدا جدا^(١) .

وفي التوراة أن الحية أغوت حواء على الأكل من الشجرة^(٢) فقال
الله : سأجعل العداوة [بينك وبين المرأة] وبين نسلك ونسلها فترصدين
أنت أبدا عراقيبيها ، ويرصد [أى نسل المرأة] أبدا رأسك ليسحقه . الى
خبر كثير ، هو مثل الخرافة^(٣) .

والله يخبرنا [عن ذلك] في محكم كتابه ويقول لنا :
« فوسوس لهما الشيطان »^(٤) .

فنسيت أن أمرك أن تخطرهما ، فخرهما فانه لا ينبغي أن يكون في البيت شيء
يشغل المصلى .

(وهذا يفيد أنهما أزيلا قبل دخول الحجاج بن يوسف الكعبة ، إلا أن
كان المعنى فاسنرهما) وفي رواية أخرى ، قال سفيان :

لم يزل قرنا الكبش معلقين في البيت حتى احترق البيت فاحترقا .

وكذلك روى عن ابن عباس أن رأس الكبش لم يزل معلقا عند ميزاب
الكعبة ، حتى يبس (ابن كثير : قصص الأنبياء ج ١ ص ٢١٣ — ٢١٤) .

(١) ولفظ التوراة : « ورأى الرب أن شر الإنسان قد كثر في الأرض .
وأن كل تصور أفكار قلبه انما هو شرير كل يوم . فحزن الرب أنه عمل
الإنسان في الأرض . وتأسف في قلبه . فقال الرب أمحو عن وجه الأرض
الإنسان الذي خلقته . الإنسان مع بهائم ودبابات وطيور السماء .
لأنى حزنت أنى عملتهم » . (تكوين ٦ : ٥ — ٧)

(٢) في ج : « ان الحنش اغوى حوا في اكل الشجرة » وفي ت : « ان
الحنش أغوى حواء في اكل الشجرة » وسقطت هذه الفقرة من ع .

(٣) اقرأ في ذلك سفر التكوين الاصحاح الثالث .

(٤) الاعراف : ٢ .

وفي التوراة :

أن موسى أمرهم بأخذ أموال جيرانهم من أهل مصر على طريق العارية • ثم قال لهم :

يقول الله لكم ! اهربوا بها لكم • ففعلوا ، وقالوا : « هي أجرة سخرتنا » (*) •

وما لهم أجرة على الأراذل والمساكين من أهل مصر ، وانما أجرتهم على فرعون وأهل مملكته •

والله تعالى يأمر محمدا صلى الله عليه وسلم حين خرج بالمهاجرين هاربا من مكة ، أن تؤدي كل أمانة الى أهلها ، وأنزل عليه في كتابه العزيز ﴿ ان الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات الى أهلها ﴾ (١) •

وفي التوراة أيضا :

« لا ترب على أخيك ربا بفضة ، ولا ربا بطعام ، ولا ربا من جميع الأشياء كلها • ثم فيها بعد هذا :

على الأجنبي ارب وعلى أخيك فلا ترب ، لأجل أن يباركك الرب الهك » (٢) •

(*) جاء في التوراة : « ثم قال الرب لموسى ... تكلم في مسامع الشعب أن يطلب كل رجل من صاحبه وكل امرأة من صاحبها أمتعة فضة وأمتعة ذهب ... وفعل بنو اسرائيل بحسب قول موسى • طلبوا من المصريين أمتعة فضة وأمتعة ذهب وثيابا • وأعطى الرب نعمة للشعب في عيون المصريين حتى أعاروهم • فسلبوا المصريين » • (الخروج ١١ : ١ - ٢ ، ١٢ : ٣٥ - ٣٦)

« وقال الله ايضا لموسى هكذا تقول لبني اسرائيل ... تطلب كل امرأة من جارتها ومن نزيلتها أمتعة فضة وأمتعة ذهب وثيابا ، وتضعونها على بنيكم وبناتكم ، فتسلبون المصريين » • (خروج ٣ : ١٥ ، ٢٢)

(١) النساء : ٥٨ •

(٢) نص التوراة : « لا تقرض أخاك بربا ، ربا فضة أو ربا طعام أو ربا

=

وبهذه الآية استحلوا في الأمم الربا ، والسرقه ، والكذب ،
والفجور ، والفسق •

ثم تأكد رأيهم في ذلك بما في آخر السورة حيث يقولون :

« لا تسرقوا ، ولا تكذبوا ، ولا يفجر المرء بأخيه » (١) •

فتأولوا في هذا الاخاء : أنه لليهود خاصة ، دون سائر الأمم من
بنى آدم • ويبين قولهم هذا قول الله تعالى :

« ... ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل » (٢) •

وفي التوراة أيضا :

«أن الله عز وجل تصارع مع يعقوب ، فضرب به يعقوب الأرض» (٣)
تعالى الله عز وجل عن قولهم علوا كبيرا •

==
شيء ما مما يقرض بربا • للأجنبي تقرض بربا ، ولكن الأخيك لا تقرض بربا ،
لكي يباركك الرب الهك في كل ما تمتد إليه يدك في الأرض التي أنت داخل
اليها لتتلكها » . (تثنية ٢٣ : ١٩ - ٢٠)

(١) ليس في آخر سفر التثنية ، بل في الاصحاح الخامس منه حيث يقول :
« لا تقتل ، ولا تزني ، ولا تسرق ، ولا تشهد على قريبك شهادة زور » .
(تثنية ٥ : ١٧ - ٢٠ ، خروج ٢٠ : ١٤ - ١٦)

(٢) آل عمران : ٧٥ •

(٣) جاء في التوراة : « ... فبقى يعقوب وحده • وصارعه انسان حتى
طلوع الفجر • ولما رأى أنه لا يقدر عليه ضرب حق فخذ • فانخلع حق
فخذ يعقوب في مصارعنه معه • وقال : أطلقني لأنه قد طلع الفجر • فقال :
لا أطلقك ان لم تباركني • فقال له ما اسمك ؟ فقال : يعقوب • فقال لا يدعى
اسمك في ما بعد يعقوب ، بل اسرائيل • لأنك جاهدت مع الله والناس
وقدرت • وسأل يعقوب وقال : أخبرني باسمك • فقال : لماذا تسأل عن اسمي ؟
وباركه هناك • فدعا يعقوب اسم المكان فنيئيل • قائلا الآنني نظرت الله وجهها
لووجه ونجيت نفسي » • (تكوين ٣٢ : ٢٤ - ٣٠)

وفي التوراة أيضا :

- « أن بنى اسرائيل يسكنون تلك الأرض الى انقراض الدنيا »^(١) .
ثم لم يلبثوا أن رأيناهم أخرجوا منها رأى العين^(٢) .

وفي التوراة أيضا :

أن الله قال لهم أن يضربوا القرن في عسكرهم قليلا قليلا ، حتى يلقوا
عدوهم ، فلحينئذ يضربونه بأشد ما يقدرُونَ ، ليسمعهم الله ، فيؤيدهم
على عدوهم .

كأن الله سبحانه وتعالى لا يسمع الا الأصوات العالية ، وقد وصف
تعالى نفسه في كتابه على لسان رسوله ، فقال سبحانه وتعالى :

- « وان تجهر بالقول فإنه يعلم السر وأخفى »^(٣) .

وفي التوراة أيضا^(٤) :

أن الله كالانسان ، شخص وجوارح ، وقد وصف الله نفسه في كتابه
العزیز ، فقال تعالى : « ليس كمثله شيء ، وهو السميع البصير »^(٥) .

(١) ورد في التوراة : « انكر ابراهيم واسحاق واسرائيل عبيدك الذين
حلفت لهم بنفسي وقلت لهم أكثر نسلكم كنجوم السماء وأعطي نسلكم كل
هذه الأرض التي تكلمت عنها فيملكونها الى الأبد » . (خروج ٣٢ : ١٣)

ليس لليهود أن يستدلوا بهذا النص — على فرض صحته — على أحقيتهم
— دون العرب — في امتلاك أرض فلسطين ، لأن العرب أيضا من نسل
ابراهيم عليه السلام .

(٢) فقد نفاهم الآشوريون الى بابل في عام ٧٢٢ ق. م .

(٣) طه : ٧ .

(٤) سقطت هذه الفقرة من ج .

(٥) الشورى : ١١ .

وقد تمت النصارى هذا القول المكتوب فى التوراة ، وزادت فيه كفرا على اليهود حيث تقرأ فى انجيلهم^(١) عن يوحنا المحوارى ، — وكلامه عندهم كلام الله تعالى — فيقول — بزعمهم — :

انه حين عرج به الى السماء ، رأى الله سبحانه وتعالى ، وهو شيخ أبيض الرأس واللحية ، ورجلاه من لاطون^(٢) ، والأسواق بين يديه قائمة ، والنداء على القمح ، والشعير ، والزيت ، والخبز ، كذا وكذا قفيزا بدينار ، كذا وكذا قسطا بدينار^(٣) .

وفى التوراة أيضا :

أن الله حين أمر بنى اسرائيل بالتوجه الى الشام ، وعدهم أن يتوجه معهم ، وأمرهم أن يعملوا له قبة على صفة كذا وكذا ، ينزل فيها فى سيره معهم .

ثم ان موسى قال له : يارب ! ان هذه الأمة القاسية رقابها ، لا تمضى لك الى الشام ، حتى تمضى معها كما وعدتها . فقال الله :

(١) فى ج : « فى صلوانها » ، فى ت : « صلاتها » .

(٢) كذا فى ج ، ت أما فى نص الانجيل : « ورجلاه شبه النحاس النقى » .

(٣) نص ما جاء فى رؤيا يوحنا الاناهوتى : « فالتفت لأنظر الصوت الذى تكلم معى ، ولما التفت رأيت سبع منابر من ذهب . وفى وسط السبع المنابر شبه ابن انسان متسربلا بثوب الى الرجلين ومتمنطقا عند نديه بمنطقة من ذهب وأما رأسه وشعره فأبيضان كالصوف الأبيض كالنلج وعيناه كلاهيب نار ورجلاه شبه النحاس النقى كأنهما محميتان فى أتون . وصوته كصوت مياه كثيرة ومعه فى يده اليمنى سبعة كواكب . وسيف ماض ذو حدين يخرج من فمه ووجهه كالشمس وهى تضىء فى قوتها فلما رأيته سقطت عند رجله كعبت فوضع يده اليمنى على قاتلا لى لا تخف أنا هو الأول والآخر والحي . . . » « لأنك تقول انى أنا غنى وقد استغنيت ولا حاجة لى الى شىء ولست تعلم أنك أنت النشقى والبائس وفقير وأعمى وعريان . أشير عليك أن تتشسترى منى ذهابا مصفى بالنار لكى تستغنى . وثيابا بيضا لكى تلبس . . . »

(١ : ١٢ — ١٨ ، ٣ : ١٧ — ١٨)

نعم ، اعملوا لى القبة ، فعمل موسى القبة ، وسماها قبة العهد •
ونزل الله عن عرشه ، وسار معهم داخل القبة ، ينزل بنزولهم ويرحل
برحيلهم • هذانص التوراة^(١) •

وعندهم أيضا من بقية هذا الخبر :

أنهم لما جمعوا المال لعمارة هذه القبة ، أجروا انفاقه على
يد موسى عليه السلام ، فلما أكمل عملها ، ادعوا عليه أن قد نقصهم من
المال ألف رطل ، وسبعمائة رطل ، وخمسة وسبعون رطلا •

وقالوا لموسى اتهاماً : أين نقص هذا المال ؟ وقد جرى الانفاق
على يديك • فسمعوا صوتاً من السماء يقول لهم :

ان هذا العدد دخل في رؤوس الأعمدة وفي التغطية • فحينئذ
كفوا عنه •

وفي التوراة أيضا عن نوح عليه السلام : «أنه رقد ، وأولاده أمامه ،
فانكشفت عورته ، فضحك ابنه حام من ذلك ، فجاء ابنه الآخر سام •
وألقي قفاه الى جهة عورة أبيه ، يمشى الى ورائه ، حتى غطاه ، واستيقظ
نوح ، ودعا على حام • وقال : سيسود لونك ، وتكون أولادك عبيدا
لأولادك أخيك »^(٢) •

الى غير ذلك من أحاديث المعجائز والصبيان •

وفي التوراة أيضا عن موسى : «أنه قال لبني اسرائيل في الوصية
التي وصاهم بها فقال [الله] في آخرها :

ان كفرت بربك ، وحدت عن سبيله ، وعبدت الآلهة الأجنبية ،

(١) تارن : خروج ، اصحاح ٢٣ واصحاح ٤٠ •

(٢) راجع : تكوين ٩ : ٢١ — ٢٧ •

يبتليكَ الله بدواهي مصر ، ويضرب السِّل (١) جسدكَ الذي يصدر عنه الزَّبل
بالجرب والحكاك الذي لا دواء له ، وتتزوج زوجا ويضاجعها غيركَ (٢) .

وهذه الكناية كلها تصريح بالفطم ، والقرن والزَّنىم (٣) .
فاما أن يكون هذا خلا فيها ، واما أن يكون القوم كلهم فطمة ،
زنا ، قرانين .

فهل [يقوم] (٤) الله تعالى بترك أنواع ما خلقه من العذاب للانتقام
من أعدائه ، ويهدد قوما على لسان نبيه الكريم موسى عليه السلام بهذه
الفواحيش ؟

وان كان اسرائيل يقولون :

انهم لم يعبدوا الآلهة الأجنبية فقد كابروا المعبود (٥) .

(١) في ج : « الحرس » ، وفي ت : « الجزم » ، وسقطت هذه
الفقرة من ع .

(٢) نص ما جاء في التوراة : « ولكن ان لم تسمع لصوت الرب الهك
..... يضربك الرب بقرحة مصر ، وبالبواسير والجرب ، والحكة ، حتى
لا تستطيع الشفاء تخطب امرأة ، ورجل آخر يضطجع معها » .
(اقرأ الاصحاح الثامن والعشرين من سفر التثنية)

(٣) الفطم : القطع ، فطم الحبل : فطمه : والقرن جمع قران : السيف
والنبل . والزَّنىم ، والزَّنىم : المستحق في قوم ليس منهم ولا يحتاج اليه ، ومنه
قول حسان :

وأنت زنىم نيط في آل هاشم
كما نيط خلف الراكب القدح الفرد
يرى أبو عبيدة أن ما جاء في التوراة ينذر اليهود — ان هم عبدوا آلهة
أخرى غير الله — بغضب الله ، فيمنع عنهم رحمته ، ويصب عليهم العذاب
متمثلا في أمراض تنتشر بينهم ، وفي اشاعة الفاحشة بينهم ، فيخرج جيل دعى
زنىم ينتسب لغير أبيه ، لأن أمه أتت به من رجل أجنبي عن فراش الزوجية .
(٤) في ج ، ت : « يكون » .

(٥) زيد في « ج » و « ت » :

« ولا تفعلوا (وصحتها وقد فعلوا) ذلك ، فانه نص في كتبهم ما كان =

ثم انهم في المصحف المسمى عندهم « سفر صموئيل الثاني »^(١) :

« أن داود عليه السلام اطلع من قصره ، فرأى امرأة من نساء المؤمنين تغتسل في دارها فعشقها ، وبعث اليها ، وحبسها أياما عنده حتى حبلى منه — تعالى الله عن قولهم — ثم ردها • وكان زوجها [وهو] يسمى « أوريا » غائبا في العسكر ، ولما علمت المرأة بالحمل أرسلت [بخبره] الى داود ، فبعث داود الى يואب قائده على ذلك المعسكر ، يأمره بأن يبعث اليه « بأوريا » زوج المرأة • فجاءه فصنع له طعاما وخمرا حتى سكر ، وأمره بالانصراف الى أهله ليواقعها ، فينسب الحمل اليه ففهم « أوريا » المقصد^(٢) وتخابث عليه ولم يمش الى أهله ، وقال : حاشا الله

=

من خبرهم مع البلستيم (لعله يقصد الفلسطينيين) ، وفي أيام دانيال وغير ذلك مما لا خفاء به ، ولكن سيقولون ان ذلك انما كانت علة البواسير التي ابتلى الله بها البلستيم ، وهم من الزنج في اليوم الذي أخذوا فيه تابوت العهد ، فهذا محال ، لأن داود عليه السلام لما عظمت عليه المعرة الابدية ، والتي حلت ببني اسرائيل ، فنسب الى الله بزعمهم الخروج عن الاعتدال حين قال عنه — تبارك وتعالى : انتبه الله كلنائم غير محصل لما ينتحله ، وكمثل من لا يستثبت في أعماله . واعتبر أيضا بشاعة هذا القول المنسوب الى داود وفي الله تعالى ، فلو كانت تلك الداهية ، انما حلت بالبلستيم ، غير لم يعظم ذلك على داود ، لأنه ليس من البلستيم ، وانما هو من بني اسرائيل . وأيضا فان داود قد قدم أن الله تعالى ترك فسطاطه ، الذي كان ابدا يسكنه ، ولم يكن للبلستيم فسطاط الله ، وقد قدم داود أن كوهانهم استوصلوا جميعا ، ولم يكن قط في البلستيم ، كوهان . وأيضا فان البواسير داء كالجذام والبرص ، ولا محالة أن الجزء من الجسد الذي يصدر عنه الزيل انما هو الاست ، لأنه خاف أن يظن السامع انه العين أو الأذن ، أو غير ذلك من الجوارح ، فنخصه بذلك ، ثم قال : الجرب والحكاك الذي لا دواء له فتزوج زوجا يضاجعها غيرك . اعتبر هذا الانصاح ، وكذلك لا يصلح بمأبون قطيم أن يكون غير قرنان زنيم . وهذا كله لا يدفع فيه احد ، وانما ذكرته لنبين ما نسبوا الى الله من القبائح في كتبهم .

(١) في ج ، ت : « سفر ملاقيم » ، في ع : « سفر الملاك الثاني » .

(٢) من ت ، وفي ج ، ع : ففهم الأمر أوريا .

أن يكون الملك هنا ، وأمشى أنا الى أهلى • فلما يئس داود منه رده الى
العسكر ، وكتب الى القائد أن يصدر به فى القتال مستقتلا له ، فقتل
« أوريا » ، وقتل معه من المؤمنين ^(١) سبعة آلاف •

وفزع القائد من داود لقتل ذلك العدد العظيم من المؤمنين ، وقال
للسول :

إذا أنت أخبرت الملك داود بقتل الناس ، ورأيت قد غضب ^(٢)
فقل له مسرعا : « أوريا » قد قتل فيهم •

ففعل الرسول ، وسكن داود بعد الغضب ، وسر بموت « أوريا » ،
وهانت عليه من أجل موته دماء المؤمنين ^(٣) •

[فانظر وتأمل هذه الصفات الموصوف بها داود ! هل توصف الأشرار
والشياطين بأشنع من هذا ؟ كلا ان هذا لهو الضلال المبين] ^(٤) • وكتبوا ^(٥)
فى هذا المصحف :

أن « أمنون » بن داود عشق أخته « ثامار » بنت داود ، وتمارض
فعاده أبوه ، فتمنى عليه طعاما ، تطعمه اياه أخته « ثامار » ، فبعث بها
داود اليه ، فلما قربت اليه الطعام ، وضع فيها يده واقتصها ^(٦) ، فخرجت

(١) من ت ، ع ، وفى ج ، ع : « من المسلمين » •

(٢) من ت ، ع ، وفى ج : « ورأيت قد خرج » •

(٣) راجع صموئيل الثانى ١١ : ٢ — ٢٦ •

(٤) هذه الفقرة من ع ، أما فى ج ، ت : « فاعتبر هذه الصفات الموصوف
بها داود ! هل يوصف فروج المجرمين ، وتلوب الشياطين بأشنع من هذا » •

(٥) فى ج : « وكثيرا » أما فى ع فقد سقطت هذه الفقرة •

(٦) هكذا فى ج ، ت أما النص فى الكتاب المقدس فيقول : « • بل تمكن
منها ، وقهرها ، واضطجع معها » •

باكية فلقبها أخوها الآخر ، شقيقها « أبشالوم »^(١) ، فأخبرته ، فهون عليها . ثم بعد أيام^(٢) وثب على « أمنون » ، فقتله من أجل ذلك «^(٣)» .

وكتبوا في هذا المصحف : « أن « أبشالوم » بن داود ثار^(٤) على أبيه ، وأخرجه من قصره ودخل الى نسائه ، فوطئن كلهن على أعين بنى اسرائيل [مبالغة]^(٥) في الانتقام من أبيه »^(٦) .

وكتبوا في هذه المصحف عن سليمان بن داود : « أنه ختم عمره ، بعبادة الأصنام ، والشجر ، وسبت نساؤه دينه »^(٧) .

ومن أعجب الأشياء أنكم تقولون بالتوراة التي بأيدي اليهود الى اليوم وتدعون الايمان بها ، وتعييونا على مخالفتها ، وقد رأيت في كتابكم من مناقضتها ما ذكرت بعضه فيما مضى من هذه الرسالة ، وفيما يأتي — ان شاء الله — من [تحويل]^(٨) حلالها حراما ، وسبتها أحدا وختانها تعطيسا .

وان من أعجب الأشياء ، دعواكم بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام ،

(١) أما أمنون فهو أخوها لأب .

(٢) في الكتاب المقدس : « ثم بعد سنتين من الزمان » .

(٣) راجع هذه القصة في صموئيل الثاني ، الاصحاح الثالث عشر !

(٤) من ج ، ت والفقرة ساقطة من ع .

(٥) في ج ، ت : « استيلاعا في الانتقام » .

(٦) اقرأ هذه القصة في صموئيل الثاني ، الاصحاح الخامس عشر ، والسادس عشر .

(٧) جاء في سفر الملوك الأول أن سليمان أحب نساء غريبة ، فأملن قلبه لأصنامهن اللاتي كن يعبدن ، فبنى لها معبدا .

(٨) راجع سفر الملوك الأول ١١ : ١ — ١٣)

(٨) في ج ، ت : « صرف » وسقطت الفقرة من ع .

وهم موحدون ، وأنتم تشركون بالخالق انسانا ، وكانوا مختنتين وأنتم لا تختنون ، وأنتم القائلون : ان الهكم المعبود عيسى كان مختونا ، وكذلك الحواريون الاثنا عشر — وهم « شمعون » ، « وأندراوس » ، « ويوحنا » ، « ويعقوب » ، « وفيلبس » ، « وبرثو لماوس » ، « وقوما » ، « ومتى » العشار « ويعقوب بن حلفى » ، « ولباوس » ، « وسمعان » القانونى ، « ويهوذا » الأسخريوطى^(١) — ثم سائر التلاميذ الذين صحبوه .

فتركتم الاقتداء بهم وبمن تقدم ذكره من الأنبياء ، ثم الأولياء ، وركنتم الى ما افترته [غواتكم ، وغيرهم]^(٢) وما اختلقه قسطنطين ، واختلق له بعد ذهاب المسيح بما يقرب من ثلاثمائة سنة ، من أن يحيى سن المتعطيس ، وغطس المسيح . وكتب ذلك فى أناجيلكم ، [وزيد]^(٣) عليه من التحايل ، وغث الأقاويل بما يطول وصفه .

فكيف يرغب يحيى والمسيح عن شريعة شرعها ابراهيم ، وسن سنتها فى نفسه ، وولده ، ثم أقرتها التوراة ، واقتفتها الأنبياء عليهم السلام .

وأعجب أيضا من ادعائكم الايمان بالتوراة التى بأيدي اليهود الى اليوم حرفا حرفا . ثم رأيتم^(٤) فى كتاب أحد مطارنكم [اذ] ينتقص موسى باتخاذ المرأة السوداء^(٥) . [وعندما] يجيء الى ذكر التوراة ،

(١) فى ج ، ت : « شمعون وايزرياش ويوحنا ويعقوب ، وملبش ، وترتكماوس ، وطرياش ويعقوب العالى وطنا ائكنعانى ولوقا ومتى » .
ويبدو أن فى بعضها تحريفا ، كما أضيف اليها اسم « لوقا » ، ولم يكن من تلاميذ المسيح الاثنى عشر . (راجع متى ١٠ : ٢ — ٤)

(٢) فى ج : « .الانه » ، وفى ت : « ولانه » .

(٣) فى ج ، ت : « وجيء » والفقرة ساقطة من ع .

(٤) فى ج : « سم رأيته »

(٥) نص التوراة : « وتكلمت مريم وهارون على موسى بسبب المرأة الكوشية التى اتخذها » . (عدد ١٢ : ١)

قال عنها : العجوز القبطية ، المتمزقة الفرج ، القحباء التي أعارت فرجها لخلانها الفلسطينيين ، ذوى الفعلات الحمارية •

ثم لا يذكر التوراة في سطر من كتابه الا أعاد عليها هذه النعوت القبيحة ، وذكر هذه المعايير التي قدمت آنفاً ، حققها على اليهود (*) بأطول حديث مما ذكرته •

وأما الانجيل الذى بأيديكم ، فحسبى ما قدمت من ذكره فى هذه الرسالة • فإذا كان هذا حال توراتكم ، وأناجيلكم ، وسائر الصحف المنزلة عند اليهود أئمتكم وعمد ملتكم — ولا محالة أن هذه الكتب قطب شرائعكم ، وأصل ديانتكم — فكيف حال سائر أحاديثكم مما تناقلتموه بينكم من الآثار ؟ ، ولولا الأدب والحياء لكنت أورد عليك بعضاً من تلك القبيائح ، والمستحيلات التى هى أشهر من أن تذكر ، ولكن فيما مر عليك المكفاية ، وأنت أعلم بباقى الخرافات ، والناس أجمعون — (١) •

* * *

[الرد على الشبهة الخامسة]

وكيف يلتفت الى قولكم عن مريم ، أم المسيح أنها بنت يعقيم ؟
تظاهرون (٢) بذلك قولكم فى ابنها ، حين اختلفتم فيه ، وفى خطيب أمه ، يوسف ، فبعضكم قال : يوسف بن هالى ، وبعضكم قال : يوسف بن يعقوب •

واليهود قالت : يوسف بن يهوذا (٣) ، وبعضهم قال : يوسف النجار وبعضهم قال : يوسف الحداد •

(*) من ت ، وفى ج : « الحديث » •

(١) هذه الفقرة من ع . وسقطت من ج ، ت •

(٢) من ع ، ج • أما فى ت : « تظاهرون » وليس بسديد ، لأن معنى

مضاهاة : مشابهة الشيء بالشيء . وهو أقرب الى النص ..

(٣) هكذا فى ج ، ع ، أما فى ت : « ... يهوه » •

ومثل هذا علمكم بمريم وابنها •

أخبرنى !

من أين حصل لكم العلم بالمسيح وأمه ؟

ان قسطنطين بن هالانة ، الذى تعبدكم (*) به ، وذكره لكم لم يكن يعلم : ما معنى مسيح ! ولا ما هو ! ولا من هو !

وانما حملة على ذلك نفر من أحبار اليهود ، لا خلاق لهم ، على [نحو] ما تقدم ذكره فى هذه الرسالة •

ثم من أين نسب الينا اعتقاد أم المسيح أخذا لموسى وهارون ؟

وما عندنا ريب فى أن أم المسيح ، انما هى ابنة عمران بن متان بن أليود بن أخيم بن صادوق بن عازور بن ألياقيم ، بن أبييود بن زربابل ابن شألتئيل ، بن يكنيا بن يوشيا ، بن آمون ، بن منسى ، بن حزقيا ، ابن أحاز ، ••••• ابن يهوذا ، بن يعقوب بن اسحاق ، بن ابراهيم عليهم السلام (١) •

وأما مريم الأخرى ، التى هى أخت موسى وهارون ، فهى ابنة عمران بن [يصهر بن] قاهث ، بن لاوى ، بن يعقوب بن اسحاق ، بن ابراهيم عليهم السلام •

(*) يقال تعبدته : دعاه للطاعة ، أو اتخذته عبدا ، أو عامله كعبد له •

(١) فى ج ، ت تقديم وتأخير فى سلسلة النسب ، وكذلك تحريف فى بعض الأسماء ، وقد رجعنا فى تصحيحها الى انجيل متى فى الاصحاح الأول الذى يتحدث متى فى أوله عن شجرة نسب يوسف خطيب مريم ، اذ لم تذكر الاناجيل والا غيرها من الكتب المسيحية نسب والد مريم ، غير انه جاء فى أساطيرهم أنه يؤاخيم بن متان • فهل هو متان واند يعقوب — كما ذكر انجيل متى — وجد يوسف ، يحتل ! وبناء عليه يكون يوسف النجار ابن عم مريم ، وقد ذكر المؤلف نسب يوسف من أول متان — على أنه نسب مريم •

وأُم المسيح من سبط يهوذا • وهذه [أَى مريم أخت موسى وهارون من سبط لاوى ، وأُم المسيح دخلت بيت المقدس وهذه] لم تدخل قط بيت المقدس ، وإنما خرجت مع أخيها موسى من مصر ، وماتت في برية سسيناء •

وهى عند اليهود ، نبيه بنص التوراة(*) وأُم المسيح عندهم ملومة ، مقذوفة بالسوء •

وأما ما سمعته ، أو رأيته فى كتابنا من قول اليهود لأُم المسيح :
« يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا » (١) •

فإن قولهم ، ذلك ، إنما هو على وجه السب لها ، لأن هارون هذا عنوا به رجلا عاهرا [كان عندهم] ، يستكثر من البغايا ، وعظيم الشهرة عندهم فى ذلك الزمان ، يسمى هارون (٢) •

وأما أن يكون هارون فى هذه الآية كما زعمتم ، فهذا غاية الجهل ، لأن الذى بينهما من الزمان ألف وخمسمائة سنة (٣) •

فكيف يجوز أن يتوهم أحد هذا (٤) ؟

(*) خروج ١٥ : ٢٠ • (١) مريم : ٢٨ •

(٢) جاء فى هامش الصفحة فى ت : قوله : « إنما عنوا به السب الخ » أقول : إن الجلال المحلى فى تفسير سورة مريم قال : إنما هو رجل صالح ، اشتهر بالعفة ، فيكون إنما عنوا به المدح ، وأن ذلك الرجل الصالح كان فى ذلك الزمان يسمى هارون • وهذا هو المناسب واللائق رضا من كلماته بالأصل وقلت أيضا : أسلوب الخطاب يقتضى المدح ، وهو المتبادر للفهم •

(٣) فى ج ، ت : « لأن الذى بينهما ألف سنة ، وستمائة سنة وزهاء أربعين سنة » وفى ع « لأن الذى بينهما من الزمان ألف وستمائة سنة » ، وأربعون سنة وكسور • وكلا التعبيرين غير صحيح ، لأن موسى كان قبل الميلاد بحوالى ١٥٠٠ سنة • (أنظر Nölle S. 359) •

(٤) انظر المهبوثة رقم ٤ فى ص ٨٧ •

[الرد على الشبهة الثانية]

وأما استدلالك على باطلنا بما في كتابنا ، من نكاح مثنى ، وثلاث ، ورباع ، فحسبى هذا الاستدلال شهيدا على تخلفك ، فان الذى أمرنا الله به من النكاح ، وسن لنا من الطلاق ، ليس للعاقل انتقاده ، لأن قبولنا لذلك ، وما أشبهه ، انما هو بعد ثبوت الأصل •

وانما الأصل أن نتحقق نبوة الشارع ، ونتبين صدق رسالته ، بشواهد آياته الباهرة ، ومعجزاته الطاهرة •

فاذا أردت النظر فى هذه الفروع بانتقاد ، فهلم أريك عجا !
ألستم قد انتقمتم معنا [على] أن نكاح الرجل عمته من سوء الأفعال ؟
وهذه « يوكابد » أم موسى ، كانت عمه والددة عمران^(١) ، وعمران من فضلاء المؤمنين •

وكذلك الجمع بين الأختين بنكاح من مقبحات الشرائع أيضا !
وقد علمت أن اسرائيل جمع بينهما^(٢) ، فما بال عينك أبصرتا فى كتابنا شيئا ، وعميتا عن الأكبر منه فى كتابك !
أما انك لتراه ، ولكن رضاك عن فاعليه ، وبصيرتك فى أنهما محققان ، منعك من انتقاد ما فعلاه •

وكذلك الأمر فيما شرع لى كتابى^(٣) ، وانما يتقدم النظر فى الأصول التى هى آيات صدق الرسول •

(١) خروج ٦ : ٢٠ . (٢) تكوين ٢٩ : ١٥ - ٣٠ .

(٣) انظر الرد على الشبهة فى المهبوسة رقم ٤ ص ٧٩ .

وأما هذا الذي اعترضت به منكرا ، فجهل^(١) قد استولى عليك ،
والله يهديك ويرشدك •

ولو كان الله أمر — كما زعمت — بالافتداء بآدم في تزوجه بامرأة
واحدة ، فهل علم بذلك إبراهيم ؟ وما أراه الا تزوج وتسرى في وقت
واحدة^(٢) •

ولوط عليه السلام ، زعمت أنه فتك بابنتيه ، فحبلتا منه بموآب ،
وعمون • نستغفر الله من قولكم •

ثم إن إسرائيل ، قد كان عنده عدة أزواج ، جمع فيها بين الأختين •
وهذا كله منصوص في توراتكم • وكذلك من بعدهم من الأنبياء
عليهم السلام الى دواود ، وسليمان ، فقد علمتم مناكمهم^(٣) •

وهل اقتصر آدم على واحدة الا من ضرورة العدم عند بدء خلق
البشر ! ولهذه الضرورة زوج ابنه ابنته ، فيجب [بناء] على مذهبك
الافتداء به ، فينكح الرجل أخته ، فأنت القائل لذلك الهذيان ، تعيب به
من خالف توراة اليهود •

ثم انك — مع ادعائك الايمان بها حرفا حرفا — مخالف لها أشنع
الخلاف ، ماح لعقائدها ، مبدل لأحكامها ، فمن حلالها نكاح بنت الأخ
والأخت ، وأراكم تأنفون من ذلك مثل ما نحن قد أنفنا منه^(٤) •

ومن محرمااتها الخنزير ، والدم ، والجمل ، والشحم وغير ذلك مما
هو مشهور ، وأنت قد أرسلت عليها خرسك ، ونشرت لها بطنك ، الى
غير ذلك من مخالفتك اياها •

(١) هكذا في ج ، ع لها في ت : « فبخل » •

(٢) انظر تكوين ١٦ : ١ — ٣ •

(٣) انظر صموئيل ٢٥ : ٤٣ ، الملوك الأول ١١ : ٣١ •

(٤) يقصد بذلك التحريم •

[الرد على الشبهة الرابعة]

وعجبي من تعجبك ، اذا رأيت في كتابي آية القتال :

« وعدا عليه حقا في التوراة والانجيل » (١) .

وقولك لى : ان في التوراة نقيض ذلك في قوله :

لا يكون قتال بين بنى آدم ، فالقاتل والمقتول في النار (٢) .

فأخبرني ! كيف استجاز موسى عليه السلام — بعد ما أنزل الله عليه هذا — أن يحارب أعداءه من أهل مدين ، وولد عملاق ، ويطلبهم في ديارهم ، ويناوشهم مع أن مدين (٣) كانت تستحق منه جزاء جميلا على احسانها ، حيث كانت آوته عندها (٤) ؟

فلتعلم أيها المغرور أنك قد ذممت النبي موسى صلى الله عليه وسلم ، وجعلته غير مطيع لربه .

ولا محالة أن موسى عليه السلام لم يحارب مدين ، وولد عملاق ومن شاء الله أن يحارب — ولو كان فيهم أبواه وولده — الا ممثلا أمر ربه بذلك ، لا يمكنه خلافه ، من حيث هو نبيه المرتضى ، ورسوله المصطفى ، صلى الله عليه وسلم .



(١) التوبة : ١١١ . (٢) ارجع الى ص ٨٥ .

(٣) هكذا في ع ، أما في ج ، ت : « وأما مدين . » .

(٤) يشير بذلك الى ما جاء في القرآن الكريم ، من أن موسى خرج من مصر خائفا بعد أن قتل المصري ، فلجأ الى مدين ، حيث أقام مع شعيب ، برعى غنمه في مقابل أن يتزوج إحدى ابنتيه . (اقرأ سورة القصص : ١٥-٢٨) .

[النسخ في التوراة والانجيل]

ثم قلت في كتابك :

« لأن النسخ مقدمة من مقدمات شريعتنا ... » .

وهذه لهجة منكر للنسخ^(١) ، كأنه غير معروف في سبل الأنبياء عليهم السلام ، ولا معمول به^(٢) في نحلها ، ولا منصوص في التوراة ، وسائر الكتب التي بأيديكم !!!

ففى التوراة التى بأيديكم ، وأيدى اليهود ما فيها :

من ذكر السبت ، وتحريم العمل ، والحروب ، وغير ذلك من الأشتغال^(٣) والسبت أكد فروض التوراة ، وأهم لوازمها .

ثم قال فى آخر التوراة لهارون :

« ... وفى يوم السبت خروفان حوليان صحيحان وعشران من دقيق ملتوت بزيت مقدمة مع سكية ٥٥٥٥ »^(٤) .

وهذا عمل طويل ، وشغل ممتد من ذبح ، وسلخ ، وتفصيل ، وعجن السميد ، وتقريضه بعد اللت بالزيت .

(١) فى ت : « تعييه منكر للنسخ » ، وفى ع : « نفقه منكر للنسخ » ، وفى ج : « مسه منكر . النسخ » بدون نقط الكلمة الأولى .

(٢) كذا فى ع ، أما فى ج : « ولا معمول عليه » ، وفى ت : « ولا معمول عليه » .

(٣) ارجع الى : خروج ١٦ : ٢٩ ، ٢٠ : ٨ - ١٠ ، ٣٠ : ١٤ - ١٥ ، ٣٦ : ١ - ٣ ، والى العدد ١٥ : ٢٢ - ٣٦ .

(٤) العدد ٢٨ : ٩ .

وفي التوراة أيضا يأمرهم بطاعة « يشوع »^(١) ، ثم يأمر « يشوع »
بمحاربة أريحا في جميع الأيام المتصلة ، وأمره بتضعيف المحاربة ، يوم
السبت ، وأن يتسور فيه على أريحا مع الكهنة ، وسائر العسكر ،
[وأن يدور دائرة المدينة] سبع مرات بأشد المحاربة ، فقال في نص
التوراة : « قد دفعت بيدك أريحا وملكها جبابرة البأس • تدورون دائرة
المدينة جميع رجال الحرب • حول المدينة مرة واحدة • هكذا تفعلون ستة
أيام • وسبعة كهنة يحملون أبواق الهنأف السبعة أمام التابوت • وفي
اليوم السابع تدور دائرة المدينة سبع مرات والكهنة يضربون
بالأبواق ٠٠٠ » الخ^(٢) .

فاعتبر ، ففي التوراة الناسخ والمنسوخ أوضح من الصبح
لذى عينين!!

وأخبرني أن كان النسخ منكرا قبل نزول القرآن ، فكيف جاز
لكم أن تصرفوا الختان تغطيسا ، والسبت أحدا ، وهما من فروض التوراة ؟

وبم^(٣) حرمتم حلالها وحللتهم حرامها على ما تقدم شرحه ؟

ألم يقل المسيح في الانجيل الذي بأيديكم معرضا بما قالت التوراة :
« قد سمعتم أنه قيل للقديس ٠٠٠ من طلق امرأته فليعطها كتاب طلاق •
وأما أنا فأقول لكم : ان من طلق امرأته الا لعل الزنا يجعلها تزنى ،
ومن يتزوج مطلقة فإنه يزنى ٠٠٠٠ »^(٤) .

أما بلغكم أنه قيل للأولين كذا ، وأنا أقول لكم كذا ٠٠ [وذكر]

(١) راجع العدد : ٢٧ : ١٨ — ٢٣ .

(٢) يشوع ٦ : ٢ — ٤ .

(٣) يريد المؤلف أن يقول : على أي أساس آخر حرمتم حلالها وحللتهم
حرامها ، إذا لم يكن ذلك على أساس النسخ ؟

(٤) متى ٥ : ٣١ .

جملة من الأوامر والنواهي — وقد ذكرتها فيما تقدم من هذه الرسالة —
ينسخ فيها حكم التوراة^(١) .

أخبرني أيها المخدوع !

كيف جاز لكم مع هذا أن تقولوا :

ان شريعة الانجيل ليست ناسخة لما شرعته التوراة ، وانما متممة
لها ؟ هذا تنكيس بالألفاظ عن موضوعها ، أن تسموا التبديل تكميلا !
وهل التتميم الا استيفاء الشيء واحكامه مع اقراره على ما كان عليه ؟
وأما الانجيل فقد أذهب حكم التوراة ونسخها كما نسخ القرآن
ما قبله .

[حقيقة ما يظهر في الكنائس من خوارق العادات]

وأما قولك لى :

« ان في ملتكم صلحاء يظهرون براهين وقت الحاجة ... »

فنعم هي البراهين الساطعة !!! قد علمتها سرا وجها ، ولقد كنت
عزمت على أن أضرب صفحا ، عن التكلم في هذا البحث المخجل ، ولكن
تسلسل بي القول الى ذلك ...

فلأذكر لك الآن بعض ما تيسر منها ، لأضحك عليكم التكللى فأقول :

ان حذاقكم ، وعقلاءكم لما علموا أن دينهم ليست له قاعدة ينبني
عليها ، ولا أصل يرجع اليه ، جمعوا عقول العامة بتخيلات موهمة ،
وأباطيل مزخرفة ، وضعوها في الكنائس والمزارات :

(١) راجع متى ٥ : ٢١ — ٤٨ .

فمنها ما وصف لى عن بعض مشاهدكم المعظمة عندكم ، أن يد الله
تخرج لكم فيها ، فى يوم واحد ، معلوم من السنة من وراء ستر ، وسرها
خاف عنكم ، وأنا أكشفه لك^(١) ، فقد حكى لى من أثق بصدقه
وقريحتة ، أن رجلا من اليهود كان قد حظى عند أحد رؤسائكم بالأندلس
بوصلة ، كانت بينهما ، يرعاها الرئيس له .

فكان قد رغبه^(٢) فى الخروج عن دين اليهودية ، الى دينه ، وقال له :
ألا ترى هذه الأعجوبة ، ظهور يد الله لنا فى يوم معلوم من السنة ؟

فقال له اليهودى : يامولاي ! أنا قد رضيت فى هذا الأمر بشهادتك ،
وصدقتك فيما سوف تروى لى ، فابحث عنه ! فان كان ما يزعم هؤلاء
القسيسون حقا ، صبوت الى دينك .

فخالط الرئيس حينئذ الشك ، فلما دنا ذلك اليوم الذى تظهر فيه
اليد ، سافر بحملته نحو المشهد ، وأخذ معه مالا^(٣) ، يهديه هناك ، فبرز
اليه الأساقفة ، وقربوه لتقبيل اليد ، فلما ظهرت اليد له من وراء الستر ،
وضع يده فيها ، ومسكها مسكا شديدا ، وقال :

والله لا أترك هذه اليد حتى أرى وجه صاحبها .

فصاحوا به يقولون : اتق الله ! الآن تخسف بك الأرض ! !

الآن تنقع عليك السماء ! !

الآن ترسل عليك الصواعق ! ! !

(١) فى ع : « ولا خفاء لديكم بهذا » ، وفى ج : « ولا حقا لديكم بهذا » ،
وفى ت : « ولا يخفى لديكم فيها شيء » .

(٢) كذا فى ع ، أما فى ج ، ت : « رame » .

(٣) فى ج ، ت ، ع : « وقرب مالا » .

فقال : دعوا عنكم هذا كله ! فان هذه اليد ، لا أحل يدي عنها ،
حتى أعلم ، أحقا ما تصفون أم باطلا ! !

فلما رأوا الحاحه ، لم يبق معه منهم الا اثنان ، أسرا اليه القول ،
وقالا : ما تبغى في ذلك ؟ أرجعت عن دين آبائك ؟

قال : لا •

قالا : أتريد أن تحل ربطا ربط منذ ألف سنة أو نحوها ؟

قال : لا ! ومعاذ الله !! ولكني أحب الوقوف على سر هذه اليد •

قالا : هي يد أسقف ، واقف دون هذا الستر •

قال : أحب أن أراه !

قالا : أنت وذاك •

فلتسفوا له عن قس مجرود الخدين ، واقف وراء الستر ، فلما عاينه
الرئيس أرسل يده ، وخرج الى عسكره •

فقال اليهودي : يا مولاي ! ما تأمرني به في ديني ؟

قال له : أنت ورأيك ، خرجت منه أو بقيت عليه ، فأنت الخير !!

ففهم اليهودي ، وسكت • ومن ذلك الوقت بطلت هذه الحيلة •

ومن ذلك أنهم وضعوا صورا من الحجارة ، اذا قرىء الانجيل عندها
تبكى ، وتجرى دموعها ، يشاهدها الخاص والعام ، فيعتقدون أن ذلك
لما علمته من أمر الانجيل •

وحقيقة الأمر ، أن لها مجارى دقاق في أجوافها ، متصلة من ورائها
بزق مملوء ماء ، يعصره بعض الشماسة ، فيندفع الماء في تلك المجارى ،
وتخرج من عيون تلك الأصنام على هيئة الدموع •

وكذلك ما وصف لى من قناديل ، وصلبان عظام معلقة ، بين السماء

والأرض ، ولا تلمس شيئاً منها ، ولا يمسها شيء ، يمشى الناس إليها ، ويتعجبون من ذلك ، ويفسرون هذه الظاهرة بأنها من بركة هذا المكان ، وأنه برهان على عظمة هذا الدين ، إذ لم يوجد مثل ذلك عند غيرهم •

وليس في ذلك معجزة ، ولا برهان على عظمة ملئكم ، لأن سبب وقوف الصليب في الهواء وضع حجارة مغناطيسية في ست جهات ، فوق الصنم ، وتحتة ويمينه ، ويساره ، وخلفه ، وأمامه ، وقد ظهر ذلك عندما سأل أحد رؤسائكم يهوديا - كان يعمل كاتباً عنده - سؤالاً حول هذه المعجزة ، فأعلمه اليهودي أنها حيلة - بعدما استوثق منه - فاستكشفه أياها •

فقال اليهودي : ان ذلك تمسكه أحجار المغناطيس من جهاته الست •
فأمر الرئيس أن يخلى له يوماً ذلك المشهد ، فدخله وحده وأمر بحفر جانب واحد من الحائط ، فاستخرج منه حجراً من المغناطيس ، موازياً للصليب ، فمال إلى جهة واحدة ، واستخرج مثله من الجانب الثاني ، فاضطرب الصليب ، ففهم الرئيس الأمر ، وانصرف ، فما رثى فيه بعد ذلك •

ومن ذلك كنيسة بالأندلس ، كان فيها ثريا^(١) تقف على نحو وقوف الصليب المتقدم ذكره ، وينزل فيها نور يوقد فتيلها في يوم من السنة • فذكر ذلك لأحد أمراء بني أمية بالأندلس ، فتعجب من ذلك ، وسأل عنه فأخبره رجل من أهل إفريقية ، أنهم مدوا مع الحائط قصبه من حديد ، ضيق جوفها ، وبرزوا لها أنبوباً كسم الخياط ، موضعه موزون مع ظرف فتيل الثريا •

ثم انهم في ذلك اليوم يرسلون نار النفط في القصبه متراكماً ، حتى يخرج في غاية القوة إلى فتيل الثريا الذي هو في زنة واحدة معه •

(١) كذا في ع ، وفي ت و ج : « وكذلك وصف لى عن كنيسة الغراب بغرب الأندلس أنه كان فيها ثريا » •

ووصف الافريقى مع ذلك حيلًا ودهاء ، وذكر ما ذكر فى وقوف الصليب • فاجتاز الأمير على تلك الكنيسة فى احدى غزواته — وقد دنا يومها فتذكر ذلك ، فدعا الافريقى ، فعابن معه ما يفعلون ، فأعجبه ، وسأل الافريقى كسفه ، فعمد الى الحائط ، فاستخرج منها قناة من النحاس الأصفر ، على نحو ما كان ذكر •

ثم عمد الى سماء الثريا ، فأخرج منها حجرا كبيرا من المغناطيس ، فسقطت وأمر الأمير عند ذلك بأن يعاقب القسيسون •

وكمثل ما تصفون لنا عن نزول مريم من السماء على «دون اقريس»^(١) المطران بكنيسة «طليطلة» ، وأنها كست رأسه بتحلية ، وجسمه بثياب مزينة ، وكان ذلك فى ليلة النصف من شهر أغسطس ، فتعظمون تلك الليلة تعظيما بليغا الى اليوم •

أخبرنى أيها المعرور عن نزولها التى تصفه !

هل كان باذن زوجها أم بغير اذنه ؟

فان قلت : باذنه ، فكيف يجوز عليه أن ينزلها الى ملائكته وعبيده ، فيمتهن زوجته ، وأم ولده — كما تقولون — بارسالها ؟

وان كان نزولها باختيارها هى ، لا باذن زوجها ، فكيف ينبغي أن يكون الله قد اصطفاه ، واختارها زوجة له ، وأم ولده من بين نساء بنى آدم ، فتخونه ، وتنزل بغير اذنه الى رجل من جنسها بكسوة ، وتحلية وثياب مزينة ؟

ما ذاك الا لأنها تعشقه !!! سبحانه الله عما يصفون ، سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا •

وكمثل ما تدعون فى زيتونة وادى آس ، وترعمون فى توقف فى

(١) كذا فى ج ، وقى ت : « دنقوش » والفترة كلها ساقطة من ع •

«أوجاسانت دى مينقوا» (*) ، وكنيسة مكناسة ، ووادى بسطة ، والنور الجديد الذى فى عيدكم ، والنور الذى ينزل ببيت المقدس ، الى غير ذلك من الهذيانات ، التى لا تجوز الا عليكم ، ولا يتعد بها من جهال العالم غيركم .

* * *

[مكان البيت الحرام فى الكتب المقدسة]^(١)

فالحمد لله الذى طهر الاسلام من هذه الأوصاف ، وأغنى المسلمين عن مثل هذه النقائص ، بما هو أوضح دليلا من النهار ، ولا [يقع الا] بفعل الله تعالى ، [ومن أمثلة ذلك ما فعله] بأبرهة الأشرم ملك الحبشة^(٢) وفيله المسمى محمودا^(٣) ، وذلك فى العام الذى ولد فيه سيد المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم ، وكان أبرهة النجاشى قد قدم نحو مكة فى جيوثه من الحبشة ، ليهدم البيت الحرام ، فعرض الله عليهم قدرته ، بأنه أرسل عليه وعلى جنوده — يوم أطل على البيت — طيرا من البحر أمثال الخطاطيف ، مع كل طائر منها ثلاثة أحجار ، يحملها فى منقاره ورجليه ، أمثال الحمص والعدس ، لا تصيب واحدا منهم الا هلك^(٤) وأصيب أبرهة النجاشى فى جسده ، فسار وهو يسقط أنمله أنملة ، كلما سقطت أنملة أتبعها قيح ، وصديد حتى لحق بصنعاء اليمن فمات فيها .

(*) كذا فى ت ، وفى ج : « ارحى ست دفيقه والفقرة ساقطة من ع .

(١) سقط هذا الفصل من ع .

(٢) لم يكن أبرهة ملك الحبشة ، بل كان عاملا له على اليمن .

(٣) انظر ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ٢ ص ١٧٣ .

(٤) هذا هو رأى الجمهور ، ويرى بعض الباحثين أن الذى أصاب جيش

=

أبرهة إنما هو وباء الجدري ، تفشى بالجيش ، وبدأ يفتك به ، وكان فتكه ذريعا لم يعمد من قبل قط ، واعتدوا في ذلك على رواية لابن اسحاق حيث يقول :

حدثني يعقوب بن عتبة أنه حدث : أن أول ما رؤيت الحصبة والجدري بأرض العرب ذلك العام (أى عام الفيل) .

ويفسر أصحاب هذا الرأي ظاهرة الفتك بجيش أبرهة بأن جراثيم الجدري جاءت مع الريح من ناحية البحر ، وأصابت العدوى أبرهة نفسه فأخذه الروع وأمر قومه بالعودة الى اليمن ، وغر الذين كانوا يدلونه على الطريق ، ومات منهم من مات ، وكان الوباء يزداد كل يوم شدة ، ورجال الجيش يموت منهم من يموت كل يوم بغير حساب ، وبلغ أبرهة صنعاء وقد تناثر جسمه من المرض ، فلم يبق الا قليلا ، حتى لحق بمن مات من جيشه ! وهذه الدعوى تشتمل على عنصرين :

١ — أن ما نزل بجيش أبرهة هو وباء الجدري .

٢ — أن الريح حملت هذا الوباء من ناحية البحر .

والعنصر الثانى ليس مقبولا .

نقلا ، لأن القرآن الكريم أخبرنا بأن الطير رمتهم بحجارة من سجيل ، فوقع لهم ما وقع : « **وَأَرْسَلْ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۖ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّن سَجِيلٍ ۖ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّا كُولَ** » . (الفيل : ٣ — ٥)

ولا واقعا ، لأن الريح اذا كانت قد هبت على المنطقة حاملة الوباء ، فلم أصاب جيش أبرهة ، ولم يصب قريشا مع أنهم كانوا في مهب هذه الريح أيضا ؟

وما قيل من أن الأعراض التى ظهرت في جيش أبرهة — من تساقط الجسم وظهور القيح والدم — هى أعراض الجدري ، لا يصح دليلا على أن الرياح هى التى حملت الوباء ، وليس الطير ، لأن مرض الجدري — اذا سلطنا بأنه هو الذى أصاب جيش أبرهة — ينتقل الى الشخص باللامسة ، فالطير رمت الأحجار التى تحمل الوباء على الجيش ، فانتقلت العدوى الى الشخص بمجرد أن مس الحجر جسمه ، ولما كانت قريش بعيدة عن رمى أحجار الطير ، ولم تقترب من جيش أبرهة ، فقد سلمت من الوباء .

(قارن : ابن هشام ج ١ ص ٣٥ المودودى : تفهيم القرآن ج ٦ ص ٤٦٧ ، وهيكل ص ١٠٢) .

وذكرت الحبشة أنه ما مات حتى انصدع قلبه عن صدره ، وأنزل
الله في ذلك قرآنا باقيا الى اليوم ، قوله سبحانه :

« ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل • ألم يجعل كيدهم في
ضلّيل • وأرسل عليهم طيرا أبابيل • ترميهم بحجارة من سجيل • فجعلهم
كعصف مأكول » (١) •

وفي ذلك يقول نفيل بن حبيب^(٢) — وكان أسيرا في أيدي الحبشة ،
فأفلت منهم في ذلك اليوم ، وجعل ينظر الى ما نزل بهم — يقول شعرا :
أين المفر والاله الطالب والأشريم المغلوب ليس الغالب^(٣)
أخبرني أيها المخدوع المغرور !

لم فعل الله ذلك ، وقد كان النجاشي وجيشه — يومئذ — نصارى ،
أقرب الى أمر الله من أهل مكة ، لأنهم كانوا عبدة الأوثان ، وكانت
المكعبة — حينئذ — مقر الأصنام ؟

أما انك ، ان عدت الى الحق ، لترين أن ذلك ، انما فعله الله آية
لمحمد صلى الله عليه وسلم ، ولكعبة الله ، البيت الحرام ، مقام ابراهيم
وحجة لمن عبد الله تعالى ، بتعظيم ذلك البيت^(٤) ، واقامة فرض الحج اليه •

(١) سورة الفيل .

(٢) هو نفيل بن حبيب الخثعمي ، شاعر جاهلي يلقب بذي اليمين ،
جمع قومه من قبيلتي شهران وناهس ، ليقف في طريق أبرهة ، حينما كان
متوجها الى مكة ، ووقعت بينهما معركة ، انهزم فيها نفيل وأخذ أسيرا ،
فأجبره أبرهة على أن يكون دليلا له في زحفه على مكة .

(٣) روى أنه اتشد أيضا في ذلك اليوم :

ردينة لو رأيت ولا تريه لدى جنب المحصب ما رأينا
حمدت الله اذ أبصرت طيرا وخفت حجارة تلقى علينا
وكل القوم يسأل عن نفيل كأن على للحبشان دينا

(٤) كذا في ج ، وفي ت : « وحجة اذ جعل الله تعالى لها لتعظيم ذلك
البيت » ..

قال أشعيا النبي^(١) : « ابشرى ، واهتدى أيتها العاقر التى لم تلدى ، وانطقى بالتسبيح ، وافرحى اذا لم تحبلى ، فان أهلك سيكونون أكثر من أهلى »^(٢) .

فعنى فى مخاطبته : « مكة »

فهو يشبهها بالعاقر من النساء التى لم تلد ، اذ^(٣) لم يبعث من مكة — من بعد ز من اسماعيل — نبي الا محمدا صلى الله عليه وسلم ، ولا يجوز أن تكون العاقر القدس ، لأنها كانت مقر الأنبياء .

وقوله : « فان أهلك سيكونون أكثر من أهلى » .

يعنى بأهله : أهل بيت المقدس .

وقال أشعيا أيضا فى صحفه التى بأيديكم : « وأرفع علما لجميع^(٤) الأمم من بعيد ، فيصرفهم من أقاصى الأرض »^(٥) .

وقال أشعيا أيضا : « سأبعث من الصبا قوما ، فيأتون من الشرق أفواجا ، كالصعيد كثرة ، ومثل الطيان الذى يدوس الطين برجله »^(٦) .

يصف بذلك اسراعهم من أقاصى الأرض الى حج البيت ، ويصف الهرولة .

(١) استشهد المؤلف فى هذا الفصل بفقرات متعددة من سفر أشعيا ، غير أنه لم يلتزم النص الحرفى لها ، بل عبر عن مضمونها باختصار ، ولم نثبت النص الأسمى فى المهبوشة — بل اكتفينا بالتخريج فقط — لطوله ، فالفقرات التى أوردتها المؤلف هى تلخيص لجزء كبير جدا من هذا السفر .

(٢) أشعيا ٥٤ : ١ — ٢ .

(٣) فى ج ، ت : « وكذلك نم . . . » .

(٤) كذا فى ت ، وفى ج : « بجميع » .

(٥) كذا فى ج ، وفى ت : « فيبقى به من أقاصى الأرض » والنص مختلف فى اللفظ عما فى سفر أشعيا ٤٩ : ٢٢ .

(٦) قارن أشعيا ٤١ : ٢٥ !

وقال أشعيا عن الله تعالى : « قد أقسمت بنفسى — كقسمى أيام نوح ، أن أغرق الأرض بالطوفان — كذلك أقسمت أن لا أسخط عليك ، ولا أرفضك * وان الجبال تزول ، والآكام تتزعزع^(١) ، ورحمتى عليك لا تزول » .

ثم قال : « يامسكينة ، يامضطهدة ! ها أنذا أبنى بالأثمد حجارتك^(٢) ، ومزينك بالجواهر ، ومكل بالؤلؤ سقفك ، وبالزبرجد أبوابك ، وتبعدين من الظلم فلا تخافى ، ومن الضعف فلا تضعفى ، وكل سلاح يصنعه صانع لا يعمل فيك ، وكل لسان ذلق يقوم معك بالخصومة تغلجين^(٣) ، ويسميك الله اسما جديدا »^(٤) .

وكل ذلك كان : كان اسمها الكعبة ، فسمها الله المسجد الحرام .
[ثم يقول أشعيا] : فقومى ، فاشربى ، فإنه قد ورى زندك^(٥) ، ووقار الله عليك ، انظرى بعينيك حولك فانهم يجتمعون ، يأتوك بنوك وبناتك عدوا ، فحينئذ تسرين ، وتزهرين ، ويقرع عدوك ، ويتسع قلبك ، فكل غنم قيذار تجتمع اليك ، وسادات « نبايوت » تخدمك ، وتفتح أبوابك دائما [فى] الليل والنهار ، فلا تغلق ، ويتخذونك قبلة ، وتدعين بعد ذلك مدينة الرب »^(٦) .

(١) فى ج : « وان الجبال تزول ، والبلاع تنحط » ، قارن النص الحرفى فى سفر أشعيا : ٥٤ : ٩ — ١٠ .

(٢) فى ج : « هانذا بان بالجص حجارتك » ، وفى ت : « ها انا بان بالجص حجارتك » .

(٣) فلج فلوجا من باب قعد : ظفر بما طلب ، وفلج بحجته : أثبتها .
وافلج الله حجته : أظهرها .

(٤) قارن أشعيا : ٥٤ : ١١ — ١٧ !

(٥) كذا فى ج ، وفى ت : « عضدك » .

(٦) أشعيا : ٦ : ٤ — ١٣ .

فقيدار ولد اسماعيل ، « ونبايوت » ولد اسماعيل أيضا !!
فأخبرني !

متى كان ولد اسماعيل خدمة بيت المقدس ؟

وهل اتخذت مكة قبلة ، الا على عهد محمد صلى الله عليه وسلم ؟
فاعتبر قول أشعيا يومئذ : « ستتخذ قبلة » وكفى بهذا دليلا .

وقال أشعيا أيضا : « أرفعى الى [من] حولك بصرك فستبهجين ،
وتفرحين^(١) من أجل أنه تميل اليك عساكر الأمم حتى تغمرق قطر^(٢)
الابل الموابلة^(٣) ، وتضيق أرضك عن القطرات التى تجتمع اليك ، وتساق
اليك كباش مدين ، ويأتى اليك أهل سبأ ، وتسير اليك أعلام قيدار ،
ويخدمك رجال نبايوت »^(٤) .

يعنى يخدمونك : [أن] سدنة البيت يكونون من أولاد « نبايوت » .
فاعتبر هذا الاطراد المتصل !

وقال أشعيا عن الله : « أعطى البادية كرامة لبنان ، وبهاء جبال
الكرمال »^(٥) .

فالبادية : مكة ، ولبنان : الشام وبيت المقدس .

وقال أشعيا أيضا عن الله اثر ذلك : « وتنشق فى مكة وسط البادية

(١) كذا فى ج ، وفى ت : « وتبهجين » :

(٢) قطر : مضارع يقطر ، والمصدر : قطرا : قرب بعضها الى بعض
على نسق ، يقال : قطر البعير الى البعير .

(٣) فى ج ، ت : « الموبلة » :

(٤) قارن الاصحاح رقم ٦٠ من سفر أشعيا .

(٥) فى النص الاصلى « بهاء كرمل وشارون » راجع أشعيا ٣٥ : ٢

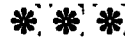
قناة^(١) ، وسواق في أرض الفلاة ، وتكون الفيافي والأماكن العطاش
ينابيع ، ومياها ، وتكون هناك محجة • وطريق الحرم لا تمر به أنجاس
الأمم • والجاهل لا يضل^(٢) هناك ، ولا يكون به سباع ولا أسود ،
• يكون هناك ممر المخلصين^(٣) •

وقال أشعيا عن الله تعالى في مكة ، ويذكر الحجر الأسود :
« ها أنذا مؤسس [في] صهيون [حجرا] ، وهو بيت الله ، حجرا مقره
في زاوية مكرمة ، فمن كان مؤمنا فلا يستعجل »^(٤) •

وتمادى في ذكره في كلام كثير هو بأيديكم الى اليوم •
وقال أشعيا عن الله تعالى أيضا : « لتفرح البادية العطشى ، ولتبتهج
البراري والفلوات »^(٥) •

لأنها ستعطي بأحمد محاسن لبنان و [هو] كمثل حسن الدساكر^(٦) ،
والرياض •

وقال أشعيا أيضا — وقد وصفها — : « ان الذئب والحمل
يرتعان معا بها »^(٧) •



(١) كذا في ت ، وفي ج : « وينشق في البادية قناه » .

(٢) كذا في ت : وفي ج : « ولا يمر » والأصح ما في ت ، لأن النص في
سفر أشعيا هو : « من سلك في الطريق حتى الجهال لا يضل » ..

(٣) قارن أشعيا : ٣٥ : ٦ — ٩ •

(٤) قارن أشعيا : ٢٨ : ١٦ •

(٥) قارن أشعيا : ٣٥ : ١ •

(٦) مفردة : دسكرة ، وهي كلمة فارسية معربة : القرية العظيمة
أو بيوت يكون فيها الشراب والملاهي •

(٧) قارن أشعيا : ١١ : ٦ •

[الرد على الشبهة الثامنة]

وأما اعتراضك [على ما نعتقد ، من أن في الجنة] أكلًا وشربًا وغير ذلك من لذات الأجسام ، فإن كان نفيك قولًا واحدًا (*) ، فإنما ذلك منكم عتوا على الله تبارك وتعالى ، وعلى أنبيائه وكتبه ، بغير علم لكم ، ولا برهان .

ولكن [يجب علينا] الآن [أن] نبين — ان شاء الله تعالى — خلال ما ذهبنا إليه بمقتضى سنن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام .

أما التوراة التي بأيديكم وأيدي اليهود الى اليوم ، فلا ذكر فيها للأخرة ولا لبعث ، ولا لحشر الأجساد ، ولا لشيء من أحوال القيامة .

وفي كتبكم : أن موسى عليه السلام لم يخبر بذلك ^(١) مخافة أن يكذبه بنو إسرائيل جملة واحدة ، فيرجموه ، لأنهم كانوا ينقضون أفعاله من

« (١) في ج : » فأما اعتراضك قولنا من الأكل والشرب وغير ذلك من التذات الأجسام في الجنة ، ونفيك أن يكون ذلك جملة واحدة . . » وفي ت : « وأما قولك واعتراضك قولنا بالأكل والشرب وغير ذلك من لذات الأجسام في الجنة ، ونفيك أن يكون ذلك جملة واحدة . . » وفي ع : « وأما اعتراضك قولنا بالأكل أن يكون جملة واحدة » .

« (١) ذكر الفاسخ على هامش الصفحة في ت : « قولهم : لم يخبر ، يقتضى أن موسى عليه السلام أوحى إليه بذلك ، وأمر باخفائه ، لقول الله سبحانه في كتابه العزيز :

« والأخرة خير وأبقى . ان هذا لفى الصحف الأولى » .

« (الأعلى : ١٧ — الى آخر السورة) .

وليس عندنا دليل يؤيد هذا الرأي ، ولذا نقول : يحتمل أن اخبار موسى عليه السلام بالبعث سقط من كاتب التوراة ، ويدعم هذا الرأي ما أثبتناه سابقا من أن موسى لم يكتب التوراة ، الموجودة بين أيدينا ، بل كتبها شخص جاء بعده بزمان طويل .

المعجزات ، ويختبرون أقواله^(١) ويسيتئون القول بكل ما يأتيهم به عتوا منهم على الله سبحانه وتعالى •

الا أن موسى بن عمران ومن قبله من الأنبياء عليهم السلام كلهم ، أخبروا العالم : أن الله خلق الأشياء ، وابتدعها مخترعا لها ، لا من شيء ، ولا على أصل متقدم •

وهذا مما اتفقنا جميعا عليه ، فاذن [مما] لا شك فيه [أن] البعث وحشر الأجساد لا يتعذر ، لكونه من قدرة القادر ، الخالق ، فيبقى أبدا في حكم الممكن ، لا في حد الممتنع ... الى أن أخبرنا الذين قامت البراهين الضرورية على صدقهم ، وهم الأنبياء •

أخبروا العالم — من بعد موسى — بالبعث ، وحشر الأجساد ، وأحوال القيامة ، فتحققنا من ذلك • فاذن لا شك في وقوع البعث وفي التنازع الأجسام التي ستحشر مع نفوسها الأول ، وذلك ما أخبرنا به الذي قامت البراهين الضرورية على صدقه ، وأن الله بعثه نبيا من عنده ، فتحققناه ، لأنه كان قبل أن يخبرنا به الصادق في حد الممكن عندنا ، وعند غيرنا من أجل المقدمة الأولى •

بل [هو] في حد الواجب ، لأن الله تعالى خلق أنفسنا ، ورتب جواهرها ، وطبائعها الذاتية ترتيبا ، لا يستحيل [معها] البتة [أن] تتلذذ بالمطاعم والمشارب ، وسائر اللذات على حسب موافقة تلك الجواهر [وهي] أنفسنا •

وهذا مما لا يدفع فيه أحد ، ولا شك في أن النفوس هي المتلذذة بالمطاعم والمشارب ، وسائر اللذات [من] الروائح الطيبة ، والمناظر الحسنة ، والأصوات المطلوبة •

وكذلك هي المتألمة أيضا بضد ذلك من المكروه •

(١) كذا في ت ، وفي ج : « ويتخبرون أقواله » والجملة ساقطة من ع •

وأن الحواس الجسدية هي المنافذ لموصول هذه اللذات الى النفوس ،
وأما الجسد فلا حس له البتة •

فإذا اجتمعنا باتفاق على أن الله سيجمع يوم القيامة في عالم الجزاء ،
أنفسنا والأجساد المركبة لها ، ويعيدها كما كان [الحال] أول مرة [يلزمنا
أن نصدق أنها ستذوق] هنا لك من اللذات والآلام بما تستدعيه طبائعها
التي لم توجد الا كذلك •

ألا أنه كما أن الأجسام أعيدت بعد الفناء بغير فساد ، ولا استحالة
بقدره القدير ، فكذلك ... ذلك الطعام الذي هناك ، لم يعد بنار ، ولا
يلحقه فساد ، ولا يتحلل الى قذر ، ولا الى دم •

ولا يطرأ هناك تغير ، ولا موت • ولا شبه ذلك بقدره القدير ، كما
أخبرنا الخالق تبارك وتعالى بقوله :

« لا يصدعون عنها ولا ينزفون » (١) •

وكذلك تلك الثياب غير منخرقة بالنسيج (٢) ولا تبلى ، ولا تنفى ،
ولا تتغير •

وكما أن تلك الأجسام لا كدر فيها ، ولا خلط ، ولا دم ، ولا أذى ،
فكذلك تلك النفوس لا رذيلة فيها من غل ولا من حسد ، ولا من حرص ،
ولا غير ذلك من أمراض نفوس (٣) هذا الدار الفانية ، كما أخبرنا الخالق
سبحانه بقوله :

(١) الواقعة : ١٩ •

(٢) في ج : « منخرقة بنسيج » ، وفي ت : « منخرقات بالنسيج » والجملة
سقطت من ع •

(٣) في ج ، ت : « من جبلات نفوس » وفي ع : « من متبجات نفوس » •

- « وتزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين » (١) .
- ثم أقول [بالإضافة الى ذلك] (٢) : ان قدماء الهند ذكروا في كتبهم [أن] في الأفلاك ، والبروج ، ووجوه المطالع صورا وصفوها ، وذكروا أنه ليس في العالم الأدنى صورة الا وهى في العالم الأعلى (٣) .
- وهذا ايجاب من تلك الطائفة بأن هناك ملابس ، وأكلا وشربا (٤) ، وأنهارا وأشجارا ، وغير ذلك .
- وأیضا ، فان في التوراة – التي بأيدي اليهود الى اليوم – [حديث] عن أكل آدم وزوجته من الشجرة التي في الجنة ، وطردهما منها بسبب ذلك (٥) .
- وقال في التوراة عن آدم : « ان الله نفاه من الجنة ليعمر الأرض التي خلق منها » (٦) .
- وتلك الجنة لم تكن بناء على ذلك في الأرض .
- وفي الانجيل الذي بأيديكم : أن المسيح قال لتلاميذه ليلة أكل معهم الفصح – وقد سقاهم كأسا من خمر – قال : « اني لا أشربها معكم أبدا حتى تشربوها معي في الملكوت عن يمين الله » (٧) .
-
- (١) الحجر : ٤٧ .
- (٢) في ع : « خلاف ذلك » وهى ساقطة من ج ، ت .
- (٣) هى فكرة افلاطون المعروفة بعالم المثل .
- (٤) في ج ، ت : « ملابس ومشارب ، ووطأ » ، وفي ع : « ملابس ومشارب ومأكلا » .
- (٥) كذا في ع ، وفي ج : « فان التوراة انتى في الجنة ، وطردهما عنها بسبب ذلك » ، وفي ت : « فان في التوراة التي بأيدي اليهود انى اليوم النهى عن أكل آدم وزوجه من الشجرة التي في الجنة ، وطردهما عنها بسبب ذلك » .
- (٦) نص التوراة : « فأخرجه الرب الاله من جنة عدن ليعمل الأرض التي أخذ منها » .
- (تكوين ٣ : ٢٣)
- (٧) والنص في الانجيل يقول : « وأقول لكم انى من الآن لا اشرب من نتاج الكرمة هذا الى ذلك اليوم حينما اشربه معكم جديدا في ملكوت ابي » .
- (متى ٢٦ : ٢٩ ، مرقس ١٤ : ٢٥)

وقال أيضا في قصة الفقير الذي اسمه « لعازر » ، الذي كان مطروحا على باب الغنى ، والكلاب تلحس قروحه ، وان ذلك الغنى نظر اليه في الجنة منكئا على حجر ابراهيم الخليل ، فناداه الغنى وهو في النار :

ياأبى ابراهيم ! ابعث « لعازر » الى بشىء من ماء أبل به لسانى ^(١) .

وفي الانجيل أيضا ^(٢) :

« ولما وجدوه في عبر البحر قالوا له يا معلم متى صرت هنا ؟ أجابهم يسوع وقال الحق الحق أقول لكم ، أنتم تطلبوننى ليس لأنكم

(١) كذا في ج ، ت والفترة سقطت من ع ، واليك القصة كما جاءت في الانجيل : « كان انسان غنى وكان يلبس الأرجوان والبز وهو يتشم كل يوم مترفها . وكان مسكين اسمه لعازر الذى طرح عند بابه مضروبا بالقروح . ويشتهى أن يشبع من القذات الساقط من مائدة الغنى . بل كانت الكلاب تأتي وتلحس قروحه . فمات المسكين وحملته الملائكة الى حضن ابراهيم ومات الغنى أيضا ودفن . فرفع عينيه في الهاوية وهو في العذاب ورأى ابراهيم من بعيد ولعازر في حضنه ، فنادى وقال يا أبى ابراهيم ارحمنى وأرسل لعازر ليبل طرف أصبعه بماء ويبرد لسانى لأنى معذب في هذا الألهيب . فقال ابراهيم يا ابنى اذكر أنك استوفيت خيراتك في حياتك وكذلك لعازر البلى . والآن هو يتعزى وانت تتعذب . وفوق هذا كله بيننا وبينكم هوة عظيمة قد أثبتت حتى أن الذين يريدون العبور من ههنا اليكم لا يقدرول ولا الذين من هناك يجتازون إلينا . فقال أسالك الآن يا أبت أن ترسله الى بيت أبى . لأن لى خمسة أخوة . حتى يشهد لهم لكيلا يأتوا هم أيضا الى هوضع العذاب هذا . قال له ابراهيم : عندهم موسى والأنبياء ليسمعوا منهم . فقال : لا ياأبى ابراهيم ، بل اذا مضى اليهم واحد من الأهوات يتوبون . فقال له ان كانوا لا يسمعون من موسى والأنبياء ولا ان قام واحد من الأهوات يصدقون » . (لوقا ١٦ : ١٩ — ٢١)

(٢) جاء النص في ج ، ت كما يلي :

« أم الجماعة قالت للمسيح بقفر ناوى : منى جئت الى ها هنا يا معلم ؟ فقال لهم : آمين آمين اقول لكم لا وكلتكم الخبز وليس لما رأيتم من العجايب ، فارغبوا فى طعام لا يفنى فى الحياة الدائمة » .

لذا أثبتناه فى الهامش ، ووضعنا مكانه نص الانجيل .

رأيتكم آيات ، بل لأنكم أكلتم من الخبز فشبعتم • اعملوا لا للطعام البائد بل للطعام الباقي للحياة الأبدية» (١) •

وفي الانجيل أيضا أنه قال لتلاميذه في وصية وصاهم بها :

« لتأكلوا» (٢) وتشربوا على مائدتي في ملاكوتي (٣) وتجلسوا على كراسي (٤) تدينون أسباط اسرائيل الاثني عشر» (٥) •

وقال أيضا لليهود : « ان كان موسى أطعمكم خبزا في المفاوز ، فأنا أطعمكم خبزا سماويا » يريد بذلك نعيم الجنة •

وقال أشعيا (٦) :

« أيها العطاش جميعا هلموا الى المياه والذي ليس له فضة تعالوا اشتروا ، وكلوا ، هلموا اشتروا بلا فضة وبلا ثمن خمرا ولبنا» (٧) •

وهذا كله يبين ما كفرت به ، ويوجب ما أنكرته في كتابك •

(١) يوحنا : ٦ : ٢٥ — ٢٧ •

(٢) في ج ، ت : « لتطعموا » •

(٣) في ج ، ت : « في ملك الله » •

(٤) في ج ، ت : « على عروش حاكمين على اثني عشر سبطا من بني اسرائيل » • والفقرة سلطنة من ع •

(٥) لوقا : ٢٢ : ٣٠ •

(٦) ورد النص في ت ، ج : « يامعشر العطاش ، توجهوا الى الماء الراوية ، فمن له غضة فليذهب ويأكل ويشرب ويأخذ من الجبن واللبن ، بلا فضة ولا ثمن » • وسقط النص من ع •

(٧) أشعيا : ٥٥ : ١ •

[الرد على الشبهة التاسعة]

وأما قولك :

« ان دين الاسلام فشا بالسيف والقهر ، ودين الصليب لم ينتشر بسيف ولا قهر » *

فكأنك قد غفلت عما كتبه مؤرخوكم وغيرهم من أن ابتداء دينكم ، انما كان بأسباب القتال مع اليهود ، وكنتم تحرقونهم بالنيران ، وتغرقونهم في البحار ، وتعملون فيهم جميع أنواع الذل والهوان *

ولولا ذلك لم تبق لكم اليهود أثرا ، فان الدولة كانت لهم ، قد قتلوا الحكم على زعمكم ! ولم يترك بعده أكثر من اثني عشر حواريا ، وسبعين مبشرا هاربين خائفين * ولو ظهر منهم واحد لقتل شر قتلة *

فلو التزمت ما أوجبه عليكم شريعتكم بالمسالة !!! لا قامت اكم قائمة ، وما بقى منكم باقية *

ولكنكم أقمتم دينكم برفض معالنه ، ونصرتموه بمحو آثاره والتزمت القتل والقتال ، فعصيتم في الأول ، ومازلتم الى الآن على خلاف ما أمركم به انجيلكم تعملون^(١) *

ثم بصرف النظر عن هذا^(٢) *

فان كنت قلت ذلك لتعيب به الاسلام ، فانك عبت موسى بن عمران ويوشع بن نون ، ومن قبلهما ، ومن بعدهما من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام * فانهم حاربوا الأمم الطاغية ببلادهم ، وسبوا الذراري وناوشوا الأعداء في ديارهم كما هو مكتوب في التوراة - وفي سائر الكتب

(١) راجع المهبوثة في ص ٩٥ .

(٢) الفقرة : « فكأنك قد غفلت ... - بصرف النظر عن هذا » . سقطت

من ج ، ت .

لديكم — وبينته في قتال داود عليه السلام مع جالوت ، وسليمان عليه السلام مع طوائف الكفر ، ولم يقدح ذلك في صحة أديانهم^(١) .

وإذا كان القتال سنة الله تعالى لأهل الحق مع أهل الضلال ، فنحن على تلك السنة سالكون ، وبها عاملون . فيكون من مناقبنا ، لا من مثالبنا ، ومن حسناتنا ، لا من سيئاتنا .

ومن هنا نعلم أن تعيينك لنا قد انعكس عليك ، فياليتك لم تقله .
وأما أن كنت تريد بذلك اظهار محاسن حالة الصلح التي أمركم بها الانجيل ، على حالة الجهاد التي أمر بها سيد النبيين ، فانك قد ظلمت ولم تدر ، وكفرت ولم تعلم ، ها هوذا انجيلكم — بين أيديكم — ناطق مصرح — كما قلت :

بالمسألة ، والتزام التواضع والمذلة :

« لا تقاوموا الشر ، بل من لطمك على خدك الأيمن فحول له الآخر أيضا »^(٢) .

وأن تبعدوا عن القتال والمنازعة غاية البعد الى أن تقوم الساعة :

« ومن أراد أن يخاصمك ويأخذ ثوبك فاترك له الرداء أيضا . ومن سخرك ميلا واحدا فاذهب معه اثنين . ومن سألك فأعطه . ومن أراد أن يقترض منك فلا تردده أحبوا أعداءكم ، باركوا لاعنيكم ، أحسنوا الى مبغضيك . وصلوا لأجل الذين يسيئون اليكم ويطردونكم »^(٣) .

ومع ذلك كله ، فاننا نراكم أشد الناس تكالبا ، وحرصا على القتل والقتال ، وبسبب الأيدي بالاعتساف في أقطار الأرض ، تقتلون النفوس ،

(١) أي أديان الأنبياء الذين حاربوا الكفار .

(٢) متى : ٥ : ٣٩ . (٣) متى : ٥ : ٤٠ — ٤٤ .

وَيَسْلُبُونَ الْأَمْوَالَ ، وَتَعْتَقِدُونَ [أَنْ] ذَلِكَ مِنْ أَوْثَقِ سَبَابِ السَّعَادَاتِ ،
وَأَعْظَمِ الْمُقَرَّبَاتِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ، مَعَ تَحْرِيمِ أَنْجِيلِكُمْ ذَلِكَ عَلَيْكُمْ ، وَاجِبَابِهِ
الْإِسْتِسْلَامِ لِأَعْدَائِكُمْ ، وَمَنْ اسْتَحْلَ حُرْمَاتِ اللَّهِ تَعَالَى ، فَهُوَ أَشَدُّ النَّاسِ
كُفْرًا بِاللَّهِ ، وَكُتِبَ ، وَأَحْكَامُهُ •

وَأَمَّا نَحْنُ فَكُتَابُنَا قَدْ أَوْجِبَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ ، فَامْتَثِلْنَا أَمْرَ خَالِقِنَا جَلَّ
شَأْنُهُ ، فَكُنَّا أَوْلِيَاءَهُ ، نَاصِرِينَ لِدِينِهِ ، قَائِمِينَ بِحَقِّهِ فِي أَرْضِهِ عَلَى خَلْقِهِ ،
سَعْدَاءَ ، شُهَدَاءَ ، أَوْلِيَاءَ ، أَعْزَاءَ ، نَنَظُرُ بِالْمُعْجَزَاتِ الْبَاهِرَةِ ، وَالْبِرَاهِينِ
الْقَاطِعَةِ فَتَدْعُو إِلَى مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ ، وَنَنْهَى عَنْ لُثَامِهَا ، فَمَنْ اهْتَدَى إِلَيْنَا
ظَفَرَ بِالسَّعَادَةِ ، وَأَسْبَابِ السِّيَادَةِ ، وَمَنْ أَعْرَضَ عَنَّا ، كَانَ جَدِيرًا بِالصَّغَارِ •
وَالذَّلِّ ، وَالْعَارِ •

لَا نَدْعُو إِلَى عِبَادَةِ الرِّجَالِ ، وَلَا رَبَاتِ الْحِجَالِ ، وَلَا نَعْبُدُ مِنْ أَشْبَعَتِهِ
الْيَهُودَ — عَلَى زَعْمِكُمْ — أَنْوَاعَ الْعَذَابِ !

فَأَيُّ السَّمَاءِ مِنَ الْوَهْدَانِ ؟

وَأَيُّ الدِّخَانِ مِنَ الْعَسْجَدِ ؟

لَقَدْ أَشْرَقَ الْحَقُّ فِي دِينِنَا ، كَمَا غَابَ عَنْكُمْ إِلَى الْمَوْعِدِ (١) •

وَلَا يَخْفَى عَلَيْكَ (٢) أَنَّ سَيِّدَ النَّبِيِّينَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،
لَمْ يَكُنْ قَبْلَ ذَلِكَ مُلْكًا ، فَيُقَالُ : حَمَلَ رَعِيَّتَهُ عَلَى دِينِهِ •

وَلَا صَاحِبَ مَالٍ ، فَيُقَالُ : اسْتَعَانَ بِمَالِهِ ، لِيَجْمَعَ الْقَوْمُ عَلَى دِينِهِ (٣) •

(١) سَتَطَلَّتِ الْفَقْرَةُ « وَبَيَّنَّتْهُ فِي قِتَالِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ .. كَمَا غَابَ
عَنْكُمْ إِلَى الْمَوْعِدِ » . مِنْ ج ، ت .

(٢) كَذَا فِي ع ، وَفِي ج ، ت : « وَلَا خَفَاءَ » .

(٣) فِي ج ، ت : « بِذَلِكَ مَالُهُ مَصْنَعَةُ دِينِهِ » ، وَفِي ع : « اسْتَعَانَ
بِمَالِهِ ... » .

وانما أتى قومه بخلع الأوثان ، وكسر الأصنام ، وعبادة الله وحده ،
والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر •

و [أيده الله] بآيات ومعجزات ، خارقة للعادات تدل على صدق
رسالته ، ونبوته •

ثم خصه الله تعالى بآية باقية الى اليوم ، وهي :

القرآن المجيد ! !

وانما جميع آيات الأنبياء قد ذهبت بذهابهم ، لم يختصوا ببقاء
واحدة منها •

ولما بعثه الله ليدعو العالم اليه ، اتبعه جماعة من الناس ، سبقوا
الى الخير ، ورغبوا عن الشرك والشر ، فعمد قومه اليه ، وعتوا على من
اتبعه ، وعليه ، فأذوهم بالضرب الموجه^(١) والنفي ، والعذاب ، والفتنة
عن دينهم •

ومازال صلى الله عليه وسلم كذلك زهاء عشر سنين تقريبا يجهد نفسه
في اظهار أمر الله ، صابرا على أذى قومه ، لا يخفى نفسه ، ولا يستتر ،
ولا يجزع وقد عمد اليه نفر منهم بالكعبة — ومعه صاحبه أبو بكر الصديق
رضي الله عنه — فقالوا له : أنت الذي تسب آلهمتنا وتسفه ديننا » •

ووضع أحدهم يده في ردائه ، وضمه اليه ، وتحاملوا عليه : وهو
يقول لهم : « نعم أنا الذي أقول ذلك » •

حتى أن صاحبه أبو بكر قام دونه وقال لهم صائحا^(٢) : « أتقتلون
رجلا أن يقول : ربي الله »^(٣) •

(١) في ج : « وأذوهم بالوجع والضرب » ، وفي ت : « وأذوهم بالرجم
والبغي والضرب » .. وفي ع : « وأذوهم بالرجم والضرب » •

(٢) في ج ، ت ، ع : « حتى أن صاحبه ترامي عليه ويصيح » •

(٣) انظر ابن هشام ج ١ ص ١٨٧ — ١٨٨ •

ولم يكن صلى الله عليه وسلم بالذى يضعف ويجزع من شىء حتى
أفشا دين الله فى الأرض ، وجعل أصحابه نجوم الهدى ومصابيح الدجى •
وكان قومه حين اتبعوه ليؤذوه ، ودخل فى المغار قال له صاحبه :
« لو أن أحدا يبصر ما تحت قدمه لأبصرنا » •

قال له : « يا أبا بكر ، ما ظنك باثنين الله ثالثهما » (١) •

لا كما كتبتم فى الانجيل عن المسيح عليه السلام ، أنه حين استشعر
بوثوب اليهود عليه صاح : « جزعت نفسى الآن ، فماذا تقول يا أبتاه ،
فسلمنى من هذا الوقت » (٢) •

وأنه حين أخذ — بزعمكم — كان القواد يقولون له : « هل أنت
المسيح ابن الله ؟ » •

فيقول لهم « أنتم تقولون : أنى هو ! » (٣) •

وفيككم من يوافق اليهود فى قولهم ، أنهم حين بحثوا عنه ، أخفاه
بستانى فى جنته تحت وعاء الزبل ... الى آخر هذه الحكاية المفاجرة
والكاذبة [وهى] حديث المبغضين •

وبعد ، فان بشارات الأنبياء فى كتبهم تنطق أن سيد النبیین محمدا
صلى الله عليه وسلم ، يأتى بالسيف فى جملة أوصافهم له ، وقد ذكروا
من ذلك ما تأتى ذكره ، حتى أن أشعياء أخبر عن هزيمة العرب ، وقتل
أشرافهم فى بدر وغيرها ، فقال : « يدوسون الأمم كدوس البيادر ، وينزل
البلاء بمشركى العرب وينهزمون من أيديها [بها] سيوف مسلولة ، وقسى
موتورة من شدة الملحمة » (٤) •

(١) الطبرى : جامع البيان ج ١٠ ص ٩٦ •

(٢) قارن متى : ٢٦ : ٣٨ — ٣٩ •

(٣) قارن متى : ٢٦ : ٦٣ ، لوقا ٢٢ : ٧٠ •

(٤) قارن أشعياء : ٤١ : ١ — ٤ ، ٢١ : ١٠ — ٤ •

وكذلك قال المسيح في الانجيل لتلاميذه :

« حين أرسلتكم بلا كيس ولا مزود ، ولا أحذية ، هل أعوزكم شيء ؟
فقالوا : لا . فقال لهم : لكن الآن من له كيس فليأخذه ومزود كذلك ،
ومن ليس له فليبيع ثوبه ويشتري سيفا » (١) .

فأمرهم بشراء السيوف بعد أن كان [قد] نهاهم عن القتال ، لعلمه
أن محمدا صلى الله عليه وسلم سيبيع ثوبه بالسيف .

ومثل ذلك من ذكر السيف في مواضع كثيرة !

وأما دين الصليب الذي أنتم عليه ، فانما أفشاه « قسطنطين بن
هالانة » بالقهر والرياسة .

والدين الذي جاء به المسيح عليه السلام ، لم يلبث بعده سوى
أربعين سنة ، وأهله مستضعفون ، ثم اختل كما قدمت ذكره .

وكان سيد النبيين محمد عليه الصلاة والسلام حين خلص المشركون
اليه في يوم أحد ، أشرع اليه رمحه ، فجاء أحد أصحابه ، فأدخل جسمه
بين سنان الرمح وبينه ، فمات رحمه الله ، واستمر الأعداء يرسلون اليه
سهامهم ، وسماك بن خرشة (٢) انحنى عليه يقى جسمه الكريم من
السهام بجسمه ، واندفع بعض الصحابة يشرب الدم الذي سال منه صلى
الله عليه وسلم .

كل ذلك تعظيما له ، ايمانا به ، وشفقة عليه .

لا كما كتبتكم في الانجيل :

أن أصحاب المسيح عليه السلام حين أحيط به — كظنكم — جزعوا

(١) لوقا : ٢٢ : ٣٥ — ٣٦ .

(٢) هو أبو دجانة سماك بن خرشة ترس بنفسه يوم أحد دون رسول
الله صلى الله عليه وسلم ، فتلقى النبل في ظهره وهو منحن عليه .

فتفرقوا عنه ، وأن « بطرس » الذى كان [قد] حلف ألا ينكره ، أنكره
قبل صراخ الديك ثلاثا ، وحلف أنه ما يعرفه^(١) ، وهو الذى كان المسيح
قال له — بزعمكم — : ما حلت فى الأرض فهو محلول فى السماء ،
وما عقدت فيها فهو معقود فى السماء^(٢) .

زعمتم أنه أفرد بهذه المقالة ، ثم قالها لسائر التلاميذ فى جملتهم ،
ثم لم يكن الا قليل حتى هربوا عنه ، وأسلموه لأعدائه — كما زعمتم .
[وليس بصحيح] ما زعمتم أن « بطرس » استل فى ذلك اليوم
سيفا ، وقطع به أذنا^(٣) .

فما أبين ضلالكم ، وأهون على الله تعالى نكالكم !



(١) راجع متى ٢٦ : ٦٩ — ٧٤ ، مرقس ٢٤ : ٦٦ — ٧٢ ، لوقا ٢٢ :
٥٥ — ٦١ ، يوحنا ١٨ : ٢٥ — ٢٧ .

(٢) متى : ١٦ : ١٩ .

(٣) لم تذكر الأناجيل الثلاثة أن الذى استل السيف هو « بطرس »
بل قالت :

« وإذا واحد من الذين مع يسوع مد يده ، واستل سيفه وضرب عبد
رئيس الكهنة فقطع أذنه » .

(قارن متى ٢٦ : ٥١ ، مرقس ٢٤ : ٤٧ ، لوقا ٢٢ : ٥٠)

أما يوحنا فينسب هذا الفعل الى « بطرس » .
(قارن يوحنا ١٨ : ١٠)

[خاتمتين^(١)]

الأولى :

وبعد .. أيها المغرور ؟ فعلى كثرة اختلاف أقوالكم في المسيح ،
وتنازعكم ، فكلكم يقول :

— انه انسان تام ، حمل به تسعة أشهر ، وولد ، وختن ، وأرضع ،
وكان صغيرا فكبر ، وناقصا فزاد ، ونما ، ومشى ، وأكل ، وجاع ،
وشبع ، وعطش ، وغط ، وبال ونام .

وطلب فهرب ، وأخذ فزبط ، وصلب ، ودفن .

— وانه أتى شجرة من التين ، فلم يجد فيها ما يأكله فدعا عليها^(٢) .

— ولم يدر أيضا — [مكان] قبر صديقه « لعازر » وقال :

أين دفنتموه ؟^(٣) .

ولم يعلم ، متى تقوم الساعة !

— ولا قدر أن يجعل أولاد زبدى عن يمينه وشماله ، وترك ذلك
الى الله ان شاء فعله !^(٤) .

(١) اختلفت خاتمة ت ، ج عنها في ع في النسبة والمضمون . فقد نسبت
في ت ، ج الى المراجع ، لها في ع ، فلم يشر الى ذلك .

ولذا رأينا أن نثبت أولا خاتمة ت ، ج ثم خاتمة ع .

(٢) متى ٢١ : ١٨ — ١٩ ، ومرقس ١١ : ١٣ — ١٤ .

(٣) يوحنا ١١ : ٣٤ .

(٤) متى ٢٠ : ٢ — ٢٣ .

وقلتم :

— ان يحيى غطسه •

— وانه صاح عند الموت جزعا منه !

وهذه كلها صفات انسان مهين ، لا اله قوى متين •

ونحن نسأل الله سبحانه أن يكشف ما بكم من بشع الضلالة ،
ويثقل بكم بالهداية ، فهو فعال لما يريد •

قال المراجع لهذه الرسالة : ليعلم كل ذى بصيرة : أن ما على الأرض
عقيدة دين • أعدى على حقيقة الايمان من عقيدة ملة النصارى ! ولا يعبد
حي بمقول من الآراء أبلغ في السخافة من قواعدهم في عبادتهم ! •

ولم أتعرض في هذه الرسالة لكثير منها ، لأن عرض حكاية الكفر
أثم نفسه ، وإن كنت قد اضطررت الى حكاية شئ من ذلك ، فما أضربت
صفحا عنه أبشع وأشنع مما اضطررت الى حكايته •

وقد كان يجب [على] ألا ألتفت الى شئ من مقالتهم ، فان
[مناقشتها] اخلال في العقل ، وفي صحة الدين •

فأما ، وقد ندبنا الله سبحانه وتعالى الى اقامة الحجة واسطاع
البراهين ، وأكد ذلك علينا في محكم كتابه من مكالمة اليهود في ذلك أولا !
ورجاء ثواب الله تعالى ثانيا • فالملة النصرانية خارجة عن اليهودية ،
وفرع من أصلها • [فالمسيحيون] يؤمنون بكل ما في أيدي اليهود حرفا
حرفا ، وانما يخالفونهم في تأويلات وخيمة تأولوها ، وبدع من ضلالتهم
تناقلوها ، وليس ذلك الفرع الذي هو النصرانية من ذلك الأصل الذي
هو اليهودية كسائر فروع وفرقه ، من العنانية ، والعيسوية ، واليوزعانية ،
والسامرة ، وغيرها من فرق اليهود على اختلاف مذاهبها ، وانما ذلك فرع
ذهب من الضلالة كل مذهب •

وقد أوردت في هذه الرسالة من الأدلة ما فيه الكفاية على سوء ما انتحلوه ، ولم أنقل من التوراة ، والانجيل ، والزبور : وصحف الأنبياء ، الا ما هو بأيديهم في وقتنا هذا •

فاذا رأى القارئ نصا من نصوصهم ، وقد أضافوا فيه الأفعال ، والحول ، والقوة ، الى عيسى بن مريم من دون الله تعالى . فليعلم أن ذلك تحريف منهم •

وقد قدمت في صدر هذه الرسالة دلائل من كتبهم على أنه ما ادعى الألوهية ، وانما نقلت من أنجيلهم حرفا حرفا — على ما فيها من اضافة الفعل ، والقوة ، والحول الى غير الله تعالى ، لأن من شأنهم وشأن اليهود ، اذا قيدوا بشيء [ليس] مكتوبا عندهم أنكروه — ، فلم أورد من ذلك الا ما قرأته في كتبهم العبرانية ، ووقفت عليها بنفسى وطالعت فيها بعض تفاسيرهم وشافهتهم بها •

ومن جرى [في المناظرة] هذا المجرى ، ثم طرح الهوى ، فنظر بعين الانصاف ، كان الحق له أبين من فلق الصبح ، والهدى هدى الله — لا اله الا هو — يهدى به من يشاء ، والحمد لله على ما خصنا به ، وهو ذو المن ، والطول لا اله هو تعالى عن قول الكافرين علوا كبيرا •

وصلوات الله وسلامه على نبيه المصطفى ، ورسوله المرتضى ، محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ، وعلى آله الطاهرين ، وأزواجه أمهات المؤمنين ، وصحابته الأبرار ، من المهاجرين والأنصار ، والذين اتبعوهم باحسان وسلم تسليما كثيرا الى يوم الدين ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين •

الناحية :

ومع ذلك أيها المغرور ، فعلى كثرة اختلاف أقوالكم في المسيح ، وتنازعكم فيه فكلكم زعمتم :

أن المسيح عليه السلام ، هو الله تعالى • وانما نزل الى الأرض ليخلص العالم من خطيئة آدم ، فتصير نفوس أهله زكية ، راضية مرضية • وينصركم على اليهود • ويشرق في سماء مجدكم شمس العود ، مع أن الأبلغ في أبهة الجلالة الصمدية ، وحرمة العظمة الالهية ، أن يفعل ذلك على أيدي رسله المرضيين ، وخاصته المقربين •

فما الذي أوجب نزوله عن مجده الرفيع وعزه المنيع ، الى حضيض الآفات ، مقر اللومات ؟ ، فولج بطون النساء ، واغتذى بالدماء ، ولبت في الأرحام ، منغمسا في المشيمة ، والأحوال الوخيمة ، الى أن ولدته أمه ، وأرضعته ، وفطمته ، وأدبته ، وأمرته بحقوقها ، ونهته عن عقوقها ، وترددت به الى المواسم ، وأرته الشعائر والمعالج ، حتى شب ، وترعرع ، وتشوق الى شرف الرجولية ، وتطلع •

فلما شرع فيما أنزل اليه ، عارضته اليهود ، فنكدوه ، وطرده ، وعزموا أن يقتلوه •

فلما أعياه أمرهم تحصن بالاستتار خلف الجدار ، وأمر أصحابه بكتمانه ، وأن يبالحوا في اخفاء مكانه •

وأقام على ذلك مدة واليهود تطلبه ، حتى دل عليه « يهوذا » صاحبه ، فأسلمه لإعدائه ، وأوقعه في شبكة بلائه ، فسحبوه على الشوك حزينا • وبقي هذا الاله المسكين في أيدي اليهود بالعذاب رهينا ، يرون أفتح ما يفعلونه [به] حسنا ، وأشد ما يهينونه به مستحسنا ، فلما بلغوا من اهانتته المراد ، ومضوا به الى بقعة من الأرض ، ترعمون أنه دحاها ، وحملوه خشبته التي تقولون : أنه أنبت لحاها ، وألبسوه ثيابا حمرا للشهرة ، قد كان خلق — على رأيكم — درسها ، وأوقفوه بحر الشمس الذي هو أسخن مسها • وسألهم شربة من الماء — الذي فجره — ، حين وصلت روحه للحنجرة •

ولما صالت عليه الأمم الدواهي ، نادى فوق جذعه ، الهى ! الهى !
وقد صار بين اللصوص مصلوبا •

ثم زهقت نفسه ، وحضر رسمه وصار فى بطن اللحد سرا مكتوما ،
وعاد الاله الأزلى — بزعمكم — معدوما •

ثم خرج بعد الثلاث من ذلك المكان ، وعاد كما كان ، بعدما اتصف
بالأحوال الموبيلة ، وبقيت حسرتكم عليه طويلة ، وتضاعفت الخطيئة
بالجناية على رب البرية ، وعظم تسلط اليهود ، وكفر أهل الجحود •

ولم يعظمه ، ويؤمن به الا النفر القليل ، والعدد اليسير ، فكيف
الرأى السقيم ، والتصرف الذميم ، الذى لا يصدر الا من معتوه ، أو فاسد
الرأى ، ناقص المهمة ، مظلم الفكرة ، يعرض نفسه الى المحن ، ويثير بين
العبادة الاحن • ان هذا لمن أعظم الشين لهذه الربوبية ، وازالة بهجتها ،
وطمس نورها • واطلاق ألسنة الأعداء بابطالها •

وآين هذا من قولنا نحن معشر المسلمين الذى نجل الله تعالى عن
الاتصاف بصفات الأجسام ، ونحيل على جنبه الكريم أن تناله الآفات
والآلام •

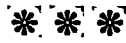
بعث عيسى عليه السلام ، نبيا مكرما ، ورفع له مجيدا معظما ،
لم يهنه بأيدي الأعداء ، ولا سلط عليه أسباب البلاء •

ولو أن انسانا نشأ ببعض الجزائر لا يعرف الأديان ، ولا يخالط
نوع الانسان فقيل له :

ان لك ربا ، خلقك وأبدعك ، وهو رجل مثلك ، يغوط ، ويبول ،
ويمخط ، وييصق ، ويجوع ، ويعطش ، ويعرى • ويكسى ، ويسهر ،
وينام ، ويتنازع مع الآنام الكلام •

وان رجلا مثلك ومثله ، بغضه فضربه ، وسجنه ، ثم صلبه ، وقتله
بعد أن حطم شعره ، ولطم نحره ، فجاور الأموات ، وتعذت عليه روح
الحياة ، لاستنكف العقل السليم • والطبع المستقيم ، الاعتراف بوجود
هذا الاله فضلا عن الاعتراف بربوبيته ، وأنف أن يكون عبدا له ،
ويرى نفسه أفضل من هذا الاله ، لسلامته عن هذه الآفات ! •

اللهم اهدنا الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعمت عليهم غير
المغضوب عليهم ولا الضالين • آمين •



الكشاف

- الأعلام
- الأماكن والبلدان
- القبائل والأقوام
- الآيات القرآنية
- فقرات من الكتاب المقدس
- أهم المراجع العربية
- المراجع الأجنبية
- محتويات الكتاب

الأعلام

أبو جاد : ١٥٠.
 أبو جعفر العقيلي : ٢٠٢
 أبو جهل بن هشام : ٢٠٤
 أبو الحسن علي : ٣٠.
 أبو داود المازني : ٢٠٢
 أبو سعيد الخدري : ١٨٨
 أبو الذهب : ٤١
 أبو عبد الله محمد (الزغل) : ٣٠.
 ٣٣ ، ٣٢ ، ٣١
 أبو عبد الله محمد بن علي : ١٧
 أبو عبد الله بن منده : ٢٠٢
 أبو عبيدة الخرجي : ٣٤ ، ٣٦ ،
 ٣٧ ، ٤٢ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٥٤ ،
 ٧٣ ، ٧٦ ، ١١٩ ، ١٢٠ ، ١٢٦ ،
 ١٣٤ ، ١٣٨ ، ١٦٢ ، ٢٠٠ ، ٢٠١ ،
 ٢٥٤
 أبو الفرج بن الجوزي : ٢٠٢
 أبولون : ٥٤
 أبو نضرة : ١٨٨
 أبو هريرة : ٢٠٥
 أبيهود : ٢٦٠
 آتيل : ١٠٠
 أحاز : ٢٦٠
 أحمد بن داود : ٢٠٢
 أحمد بن عمر : ٣٦
 أحمد (الامام) : ٢٤٧
 أحمد الثالث : ٧ ، ٤٠
 أخنوخ : ١٥٩ ، ١٦٠ ، ١٦١
 أخيم : ١٤٨ ، ٢٦٠
 ادريس : ١٦١ ، ١٩١
 آدم (عليه السلام) : ٥٩ ، ٦٠ ،
 ٧٢ ، ٧٩ ، ٨٥ ، ٨٩ ، ٩٤ ، ١٠٠

(١)

إبراهيم (عليه السلام) : ٨٨ ،
 ١٠٠ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١٣ ،
 ١٢٢ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٤٠ ، ١٤٨ ،
 ١٦٤ ، ١٦٦ ، ١٧٤ ، ١٨٥ ، ١٨٦ ،
 ٢١٥ ، ٢١٧ ، ٢٢٨ ، ٢٣٧ ، ٢٤٤ ،
 ٢٤٥ ، ٢٤٧ ، ٢٥١ ، ٢٥٨ ، ٢٦٠ ،
 ٢٦٣ ، ٢٧٤ ، ٢٨٣
 إبراهيم باشا : ٤١
 أبرهة الأشرم : ٢٧٢ ، ٢٧٣
 أبشالوم : ٢٥٧
 إبليس : ٤٦ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ٩١
 ابن أبي عامر : ١٧
 ابن الأثير : ٧
 ابن اسحاق : ٩٢
 ابن باديس : ٢٢
 ابن خلدون : ٧
 ابن رشد : ٥٣
 ابن زيد : ٨٦
 ابن عباد : ٢٢ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦
 ابن عباس : ٨٨ ، ٩٣ ، ٩٥ ، ١٦٠ ،
 ٢٤٨
 ابن عبد البر : ٣٦
 ابن سوريا : ٩٦
 ابن عزرا : ٩٧ ، ٩٩
 ابن العسال : ٤٤
 ابن عمار : ٢٢
 أبو بكر الصديق : ١٨٨ ، ١٩٠ ،
 ٢٨٨ ، ٢٨٩ ، ٢٠٥

أغبانوش : ١٥٦
 أفرايم : ١٧٥ ، ١٧٦
 أفلاطون : ٦٢ ، ١٢٤ ، ١٢٥
 ٢٨٢
 أفلوطين المصري : ٦٢
 الاريك : ٩
 البراء بن عازب : ٢٠٦
 الدارقطني : ٢٠٢
 الفونس : ٦ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٥
 ٢٦
 الياس : ١٣٧ ، ١٣٨ ، ١٥٦
 ٢٢٣
 اليقيم : ٢٦٠
 اليان : ٥٦ ، ٢٢٣
 اليسع : ١٣٨
 اليعازر : ١٤٧
 اليود : ١٤٧ ، ٢٦٠
 امرؤ القيس : ٧٤
 أم عمرو بنت رواحة : ٢٠٥
 أم معبد : ١٨٨ ، ١٩٧
 آمنون : ٢٥٦ ، ٢٥٧
 آمون : ٩٨ ، ٢٦٠
 أندراوس : ٢٥٨
 أنوش : ١٥٩ ، ١٦٠
 أوباس : ١٣
 أوريا : ٢٥٥ ، ٢٥٦
 أوجستين : ١٤٦ ، ١٥٠
 أونان : ٢٤٣
 ايزابيلا : ٣١ ، ٣٢ ، ٣٣
 ايفا : ١٢
 ايكليزيا ستيكس : ٣٨ ، ٤٠
 ايليا : ٢٢٣
 اينوسان : ٣٠
 أيوب : ٣٧ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ٢١٥

١٠٩ ، ١٢٦ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٣٦ ،
 ١٤١ ، ١٤٩ ، ١٥٠ ، ١٥٩ ، ١٦٠ ،
 ١٧٣ ، ١٧٤ ، ١٧٥ ، ١٧٧ ، ١٧٩ ،
 ١٨٢ ، ٢١٠ ، ٢٣٢ ، ٢٣٩ ، ٢٥٠ ،
 ٢٦٣ ، ٢٧١ ، ٢٨٢ ، ٢٩٦ .
 ادوارد جيبون : ٢٠
 ادوارد كيربزي : ٢٠
 أرسطو : ٧١
 أرمانيويس : ١٢٥
 أرمياء : ٣٧ ، ٤٠ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤
 أريوس : ٥٦
 أرينتوس : ٦٦
 استادلين : ٦٧
 استير : ٣٧ ، ٣٨ ، ٣٩
 اسحاق : ٨٨ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ،
 ١٦٤ ، ١٧٥ ، ١٧٦ ، ٢١٨ ، ٢٤٧ ،
 ٢٥١ ، ٢٦٠
 اسرائيل (بنو) : ٥٥ ، ٦٣ ، ٦٤ ،
 ٧٤ ، ٨٦ ، ٨٨ ، ٩٢ ، ٩٩ ، ١٠٠ ،
 ١٠١ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١٠ ، ١٣٦ ،
 ١٨٦ ، ١٨٩ ، ٢٠١ ، ٢١٠ ، ٢١٤ ،
 ٢١٥ ، ٢١٨ ، ٢٢٣ ، ٢٢٦ ، ٢٢٨ ،
 ٢٤١ ، ٢٤٦ ، ٢٤٩ ، ٢٥١ ، ٢٥٢ ،
 ٢٥٣ ، ٢٥٤ ، ٢٥٥ ، ٢٥٧ ، ٢٦٢ ،
 ٢٦٣ ، ٢٧٩ ، ٢٨٤
 اسكندر سيفوروس : ٩
 اسماعيل : ١٣٨ ، ١٧٦ ، ١٨٤ ،
 ١٨٥ ، ٢١٥ ، ٢١٧ ، ٢١٨ ، ٢٢٥ ،
 ٢٢٩ ، ٢٤٧ ، ٢٧٥ ، ٢٧٧
 أشبان : ٨
 أشعيا : ٣٧ ، ٧٠ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦ ،
 ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٧٥ ، ٢٧٦ ، ٢٧٧ ،
 ٢٧٨ ، ٢٨٤ ، ٢٨٩

(ب)

البابا : ٤٧ ، ٧٧ ، ٧٨
باروخ : ٣٨ ، ٤٠
بختنصر : ٢٢٩
بدر : ١٦
برثولماوس : ٢٥٨
برنابا : ٣٨ ، ١٥٦
بطرس : ٣٩ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٧٠ ،
١٤٥ ، ١٥٥ ، ١٦٦ ، ١٦٧ ، ٢٩١
بطليموس : ٧
البركى : ٨ ، ٤٢
بكنيا : ٢٦٠
بلهة : ٢٤١
بولس : ٣٩ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٥٧ ،
٥٩ ، ٦٤ ، ٦٨ ، ٨١ ، ٨٣ ، ١١١ ،
١١٢ ، ٢٤٠
بيلاطس النبطى : ٥٧ ، ١٤٣

(ت)

تاسيتوس : ٩
تيئودوسيوس : ٥٧
توما : ٢٥٨
تيطس : ١٩
تيموثاوس : ٣٩ ، ٥٨ ، ١١١
تيودريك : ٩ ، ١٠

(ث)

ثامار : ٢٤٢ ، ٢٤٣ ، ٢٥٦
الثريا : ٣٩
الثعالبي : ١٣٧

(ج)

جابر بن عبد الله : ٢٥٦ ، ٢٣١
جالوت : ٢٨٦
جاينجوس : ١٤
جبرائيل : ٧٠ ، ٩٦ ، ١٤٣ ، ٢٠٤
جرجيس : ١٥٦
جمال الدين الأفغانى : ١٢٦
جييون : ٨

(ح)

الحارث بن الحكم : ٢٢
حام : ٢٥٣
حبقوق : ٣٨ ، ٢٢٧
الحجاج بن يوسف : ٢٤٧ ، ٢٤٨
حجى : ٣٨
حزقيا : ٢٦٠
حزقيال : ٢٧ ، ٢١٠ ، ٢٢٥ ،
٢٢٨
الحكم المستنصر : ١٧
حنان مكار العيسوى : ٤٢ ، ٤٣ ،
٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٥٤
حنة : ٢١٣
حواء : ٦٠ ، ٨٩ ، ١٢٦ ، ٢٤٨

(د)

دانيال : ٣٧ ، ٢٢٩ ، ٢٥٥
داود : ٧٠ ، ٧٤ ، ٨٨ ، ٩٩ ،
١٧٦ ، ٢١٠ ، ٢١٩ ، ٢٥٥ ، ٢٥٦ ،
٢٥٧ ، ٢٦٣ ، ٢٨٦ ، ٢٨٧
داود بن عائشة : ٢٦
دوزى : ١٣
دون أقريس : ٢٧١
ديسيوس : ٩
دينة : ٢٤٤

(ذ)

ذو الكفل : ١٣٨

(ر)

راحيل : ٨٠

راعوث : ٣٧

راوبين : ٢٤١

الربيع بن أنس : ٩٢

رودريك : ١٠ ، ١١ ، ١٢ ، ١٣

الرشيد : ٢٦

(ز)

زرادشت : ٩٠ ، ١١٠

زربابل : ٢٦٠

زكريا : ٣٨ ، ١٣٧ ، ٢٢١

زياد : ٨

(س)

سام : ٢٥٣

السامري : ٢٤٧

سباريون : ٥٦

سبينوزا : ٧٣ ، ٧٤ ، ٩٥

سعد بن عبادة : ٣٤

سعید بن البطريق : ٥٦

سفيان : ٢٤٧ ، ٢٤٨

السلطان الايسر : ٣٠

سليمان : ٣٧ ، ٨٨ ، ١٣٤ ، ٢٥٧ ، ٢٦٣ ، ٢٨٦

سماك بن خرشة : ٢٩٠

سمعان : ١٥٦ ، ٢١٣ ، ٢٥٨

سيزون : ١٢

٣٠٤

(ش)

شائثيل : ٢٦٠

شعيب : ٢٦٤

شكيم بن حمور : ٢٤٤

شمعون : ١٥٥ ، ٢٥٨

شيث : ١٥٩ ، ١٦٠

الشیطان : ٦٠ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ١٣٤ ، ١٥٥ ، ١٦٤ ، ١٦٩ ، ١٧٢

شيلة : ٢٤٢ ، ٢٤٣

(ص)

صادوق : ٢٦٠

صالح : ٢١٢

صفية بنت شيبه : ٢٤٧

صفنيا : ٣٨

صلة : ٧٩

صموئيل : ٣٧ ، ٩٩ ، ٢٥٥

صهيون : ٢١٨ ، ٢١٩

(ط)

طارق بن زياد : ٨ ، ١٠ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٨ ، ٢٠

طوبيا : ٤٠

(ع)

عائشة : ٣٠ ، ٣٣

عادة : ٧٩

عازور : ٢٦٠

عامر بن فهيرة : ١٨٨

عاموس (أو عاموص) : ٣٨ ، ١٣٦

٤٤ ، ٥٩ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٧٢ ،
 ٧٥ ، ٧٦ ، ٨٢ ، ١٠٤ ، ١١٦ ،
 ١١٧ ، ١٢٧ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٣٢ ،
 ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٣٧ ،
 ١٣٨ ، ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٤٤ ،
 ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ،
 ١٥٠ ، ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٥٦ ، ١٥٧ ،
 ١٥٨ ، ١٥٩ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٦٤ ،
 ١٦٥ ، ١٦٦ ، ١٦٧ ، ١٦٨ ، ١٧٠ ،
 ١٧٣ ، ١٧٤ ، ١٧٨ ، ١٧٩ ،
 ١٩٠ ، ٢١٣ ، ٢١٧ ، ٢١٩ ، ٢٢١ ،
 ٢٢٣ ، ٢٢٧ ، ٢٣٢ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ ،
 ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، ٢٥٨ ، ٢٩٥ ، ٢٩٧

(ف)

فالنس : ٩
 فاليا : ٩
 فرديتاند : ٢٢ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٣
 فرعون : ٩٦ ، ٢٤٩
 فضيل بن مرزوق : ٢٠٢
 فليمون : ٣٩ ، ٥٥
 فيثاعورس : ٥٤
 فيليبس : ٢٥٨

(ق)

قبايل : ١٠٧
 القادر بن ذي النون : ٢٢
 القادر بن يحيى : ٢٢ ، ٢٣
 القاسم بن الفضل الحمداني : ١٨٨
 قاهت : ٨٨ ، ٢٦٠
 قتادة : ٨٨ ، ٩٣ ، ١٠١ ، ٢٠٦
 قتان : ١٤٧

٣٠٥٠

(٢٠ - بين الاسلام والمسيحية)

عباس (الخديوى) : ٤٢
 عبد الرحمن بن حسن : ٣٥
 عبد الرحمن الغافقى : ١٨ ، ١٩
 عبد الرحمن الداخل : ١٦
 عبد الرحمن بن معاوية : ١٦
 عبد الرحمن الناصر : ١٦
 عبد العزيز بن موسى بن نصير : ١٦
 عبد الله اسماعيل الهاشمى : ٤٢
 عبد الله : ٨
 عبد الله بن أبى بن سلول : ١٩٩
 عبد الله بن أريقط : ١٨٨
 عبد الله بن الزبير : ٢٤٧
 عبد الله بن مندة : ٢٠٢
 عبد المسيح بن اسحاق الكندى : ٤٢
 عبد الوهاب بن محمد : ٣٥
 عثمان بن طلحة : ٢٤٧
 عز الدين الحمدي : ٤٢ ، ٤٣ ،
 ٤٥ ، ٤٦ ، ٥٤
 عزرا : ٣٧
 عكاشة بن محصن : ٢٣٢
 على بن أبى طالب : ٩٠ ، ٢٠١
 عمار بن مطر : ٢٠٢
 عمانوئيل : ٧٠
 عمرام : ٨٧
 عمران : ٨٧ ، ٨٨ ، ١٣٩ ، ١٧٤ ،
 ١٩١ ، ٢٢٣ ، ٢٦٠ ، ٢٦٢ ، ٢٨٠ ،
 ٢٨٥
 عمرو بن العاص : ٤٦
 عملاق : ٢٦٤
 عمون : ٢٤٠ ، ٢٦٣
 عوبديا : ٣٨ ، ١٨٩
 عوج ملك باثنان : ٩٨
 عيسى (عليه السلام) : ٣٦ ، ٣٧ ،

٦٧ ، ٧٠ ، ٧٥ ، ١١٢ ، ١٤٤ ،
١٤٥ ، ١٤٧ ، ١٥١ ، ١٥٥ ، ١٥٩ ،
٢٤٠ ، ٢٥٨

مجاهد : ٩٣ ، ٢٠٣

محمد (صلى الله عليه وسلم) :
٢٠ ، ٤٥ ، ٥٣ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ٩٤ ،
٩٦ ، ١٠٣ ، ١١٦ ، ١١٧ ، ١٢١ ،
١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٤١ ، ١٤٢ ،
١٥٢ ، ١٥٧ ، ١٧٦ ، ١٨٤ ، ١٨٥ ،
١٨٦ ، ١٨٨ ، ١٨٩ ، ١٩٦ ، ١٩٧ ،
١٩٨ ، ١٩٩ ، ٢٠٠ ، ٢٠١ ، ٢٠٢ ،
٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢١٠ ، ٢١٣ ،
٢١٤ ، ٢١٥ ، ٢١٧ ، ٢١٨ ، ٢١٩ ،
٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦ ،
٢٢٧ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، ٢٣١ ، ٢٣٢ ،
٢٣٧ ، ٢٤٠ ، ٢٤٧ ، ٢٤٩ ، ٢٦٤ ،
٢٧٢ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ٢٧٧ ، ٢٨٧ ،
٢٨٨ ، ٢٨٩ ، ٢٩٠ ، ٢٩٥

محمد (أبو عبد الله) : ٣٠ ، ٣١ ،
٣٢ ، ٣٣

محمد بن أحمد : ٣٥

محمد عبده : ١٢٦

محمد علي : ٤٥

محمد بن علي عمار : ٤١

محمد بن يوسف (ابن الأحمر) :
٢٩ ، ٣٠

مرقس : ٣٨ ، ٥٩ ، ٦٥ ، ٦٦ ،
٦٧ ، ٦٨ ، ١٣١ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ،
١٥٩

مريقيون : ٥٧

مريم : ٤٤ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٥٩ ،
٦٢ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٧٥ ، ٨٧ ، ٨٨ ، ١١٨ ،
١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٤٣ ، ١٥٨ ، ١٦٦ ،

القرطبي : ٣٥ ، ٥٣
قسطنطين : ٩ ، ٣٩ ، ٥٥ ، ٥٦ ،
٥٧ ، ٧٦ ، ١٧٠ ، ١٧١ ، ١٧٢ ،
١٨٨ ، ٢٥٨ ، ٢٦٠
قصي بن كلاب : ٢١٢
قينان : ١٥٩ ، ١٦٠

(ك)

كارل مارتن : ١٨ ، ٢٠
كعب : ٨٨ ، ١٦١
الكندي : ٤١ ، ٤٣

(ل)

لابن بول : ١٤
لامك : ٧٩
لاوي : ٨٧ ، ٨٨ ، ٢٦٠
لباوس : ٢٥٨
لعازر : ١١٣ ، ٢٨٣ ، ٢٩٣
اللقبي (اللورد) : ١١٧
لوط : ٢٤٠ ، ٢٤١ ، ٢٦٣
لوكيوس : ١٥٦
لوقا : ٣٨ ، ٥٩ ، ٦٣ ، ٦٥ ، ٦٦ ،
٦٧ ، ٦٨ ، ٧٠ ، ٨٢ ، ١٣١ ، ١٣٢ ،
١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٤٨ ، ١٥٠ ، ١٥١ ،
١٥٩ ، ١٦٠ ، ٢٤٠
ليثا : ٨٠ ، ٢٤٤

(م)

ماتان : ٨٨
المأمون : ٢٢ ، ٤٢ ، ١٨٠
مقان : ١٤٨ ، ٢٦٠
مقي : ٣٨ ، ٥٥ ، ٥٨ ، ٦٣ ، ٦٤ ،

المنصور : ٢٣
المنخما : ٢٢١
مهللثيل : ١٥٩ : ١٦٠
مؤاب : ٢٤٠ ، ٢٤١ ، ٢٦٣
موريا : ٩٨
موسى (عليه السلام) : ٢٨ ، ٥٥ :
٧٢ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ٨٧ ، ٨٨ : ٩٢
٩٣ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ٩٨ :
٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٦ :
١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١٠ ، ١٢٧ : ١٣٩
١٦٤ ، ١٦٦ ، ١٧٤ ، ١٩١ : ٢٠١
٢١٤ ، ٢١٥ ، ٢١٧ ، ٢٢٣ : ٢٣٤
٢٤٤ ، ٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧ : ٢٤٩
٢٥٢ ، ٢٥٣ ، ٢٥٤ ، ٢٥٨ : ٢٦٠
٢٦٢ ، ٢٦٤ ، ٢٧٩ ، ٢٨٠ : ٢٨٤
٢٨٥
موسى بن نصير : ٨ ، ١١ ، ١٢ ،
١٤ ، ١٨ ، ٢٠ :
ميخا : ٢٨
ميخائيل : ٩٠

(ن)

ناحوم : ٢٨
نافع : ٢٤٧
نابوت : ٢٧٧
النجاشي : ٢٧٢ ، ٢٧٤
نحميا : ٣٧
نسطور الحكيم : ١٨٠
نسى : ٨٨
نفيل بن حبيب الخنعمي : ٢٧٤
نوح : ١٠٧ ، ٢٥٣ ، ٢٧٦
نيقوديموس : ١٣٥

١٨٠ ، ١٩٠ ، ٢١٣ ، ٢١٩ ، ٢٣٥ :
٢٣٦ ، ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩ :
٢٦٠ ، ٢٦١ ، ٢٧١ ، ٢٩٥ :
مريم المجدلية : ١٤٥ ، ١٦٢ :
١٦٣ ، ١٦٩ ، ١٧٨ :
مريم أم يعقوب : ١٧٨
المسيح (عليه السلام) : ٣٦ :
٣٨ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٦ :
٥٧ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٦٢ :
٦٣ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٧٠ :
٧١ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٧ :
٧٩ ، ٨١ ، ٨٢ ، ٨٧ ، ١٠٢ ، ١٠٤ :
١١١ ، ١١٢ ، ١١٣ ، ١١٧ ، ١١٨ :
١٢٠ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٣١ :
١٣٢ ، ١٣٤ ، ١٣٦ ، ١٤٣ ، ١٤٤ :
١٤٥ ، ١٥١ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٥٦ :
١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٦٠ ، ١٦٤ ، ١٦٦ :
١٦٧ ، ١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٧٣ :
١٧٦ ، ١٧٩ ، ١٨١ ، ١٨٢ ، ١٩١ :
٢١٣ ، ٢١٩ ، ٢٢٠ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣ :
٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٢٣٥ ، ٢٣٨ :
٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠ :
٢٦١ ، ٢٦٦ ، ٢٨٢ ، ٢٨٣ ، ٢٨٩ :
٢٩٠ ، ٢٩١ ، ٢٩٣ ، ٢٩٦ :
مسيلمة الكذاب : ١٨٩ ، ١٩١ :
١٩٣
المغيرة بن شعبة : ٨٨
المفضل : ٢٣
مكونيوس : ٥٧ ، ٥٨ :
ملاخي : ٢٨
منابن : ١٥٦
منسى : ١٧٥ ، ١٧٦ ، ٢٦٠ :
منصور : ٢٤٧

٢٦٠ ، ٢٥٩ ، ٢٥٨ ، ٢٥٠ .

يعقوب البراذعي : ١٨٠ .

يعقوب بن عتبة : ٢٧٣ .

يعقوب : ٢٥٩ .

يكنيا : ٢٦٠ .

يهوديت : ٣٨ ، ٣٩ .

يهوذا : ٣٩ ، ٨٨ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ،

١٦٠ ، ١٦١ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٦٦ ،

١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٧٤ ، ٢٤٢ ، ٢٤٣ ،

٢٥٨ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠ ، ٢٩٦ .

يوآب : ٢٥٥ .

يؤاخيم : ٨٧ ، ٢٦٠ .

يوثيل : ٣٧ .

يوحنا : ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٦ ، ٥٨ ،

٥٩ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٧٠ ، ٧٨ ،

٩٠ ، ١١١ ، ١١٣ ، ١١٤ ، ١٣٢ ،

١٣٣ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٥٥ ،

١٥٩ ، ٢٢٠ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣ ، ٢٤٠ ،

٢٥٨ ، ٢٩١ .

يوسف : ١٤٨ .

يوسف بن تاشفين : ٢٤ ، ٢٥ ،

٢٦ ، ٢٧ .

يوسف بن عبد العزيز الفهرى : ١٦ .

يوسف (عليه السلام) : ٧٤ ، ١٧٥ .

يوسف (الفجار) : ١٤٨ ، ١٦٦ ،

٢٣٦ ، ٢٣٧ ، ٢٥٩ .

يوسف بن نصر : ١٧ .

يوشع بن نون : ٣٧ ، ٣٨ .

يوشع بن يوحنا : ٢٣٦ .

يوشيا : ٢٦٠ .

يوكابد : ٨٧ ، ٢٦٢ .

يوليان : ١١ ، ١٢ ، ١٣ .

يونان : ٣٨ ، ٢٣٤ .

يونس : ١٣٨ ، ٢٣١ .

(ه)

هابيل : ١٠٧ ، ٢٢١ .

هاجر : ١٨٥ ، ٢١٧ .

هارون : ٨٧ ، ٨٨ ، ١٦٤ ، ٢٤٦ ،

٢٤٧ ، ٢٥٨ ، ٢٦٠ ، ٢٦١ ، ٢٦٥ ،

هارون بن الأشير : ٢٣٨ .

هالي : ١٤٨ ، ٢٣٧ .

هشام بن الحكم : ١٧ .

هوشع : ٣٧ .

هونوريوس : ٩ .

هيلانة : ١٧٠ ، ٢٦٠ .

(و)

وتيزا : ١١ .

وزدم : ٣٨ ، ٤٠ .

الوليد بن المغيرة : ١٩٥ ، ١٩٦ .

وهب بن منبه : ٢١٥ .

(ي)

يارد : ١٥٩ ، ١٦٠ .

يحيى : ١٣٧ ، ١٥٠ ، ١٥٥ ،

٢٢٢ ، ٢٥٨ ، ٢٩٤ .

يرويم : ٢٢٣ ، ٢٢٤ .

يزيد بن رومان : ٢٠٠ .

يسوع : ٥٥ ، ٥٧ ، ٥٩ ، ٦٤ ،

٧٥ ، ٧٧ ، ١١٣ ، ١٣١ ، ١٣٣ ،

١٣٥ ، ١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٥٨ ،

١٥٩ ، ١٦٧ ، ٢٣٤ ، ٢٨٣ ، ٢٩١ .

يشوع (يوشع) : ٣٧ ، ٨٦ .

١٠٢ ، ٢٠١ ، ٢٠٢ ، ٢١٤ ، ٢٦٦ ،

٢٨٥ .

يصهر : ٨٨ ، ٢٦٠ .

يعقوب : ٣٩ ، ٨٠ ، ٨٨ ، ١٠٧ ،

١٤٣ ، ١٤٧ ، ١٦٤ ، ١٧٥ ، ١٧٦ ،

١٨٦ ، ٢٣٧ ، ٢٤١ ، ٢٤٢ ، ٢٤٤ ،

الأماكن والبلدان

أنطاكية : ١٥٦ ، ٦٦
أوروبا : ١٥٠ ، ١٨٠ ، ٢٠ ، ٣٠ ، ٨٤ ، ١٢٤
أورشليم : ٢٢١
إيبيريا : ٧
أيرلندا : ٤٧
إيطاليا : ١١٧ ، ٦٦ ، ٩
إينوسان : ٣٠

(ب)

بابل : ٧٣ ، ٩٠ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٥١
بجاية : ٣٥
البحرين : ٢٠٧
بخارى : ٤٨ ، ٤٩
بدر : ٢٠٢
البرتغال : ٧
بسطة : ٢٨
بسكونية : ١٣
بطليموس : ٢٣ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨
بلش : ٣١
البلطيق : ٩
بلغاريا : ٩
البلقان : ٩ ، ٤٩
بلنسية : ١٧ ، ٢٣ ، ٢٧ ، ٢٨
بلوطات ميرا : ٢٤٥
بواتيه : ١٨ ، ٢٠
بياسة : ٢٧ ، ٢٦١ ، ٢٧٢ ، ٢٧٥ ، ٢٧٧
بيت المقدس : ٧٦ ، ١٥٠ ، ١٥٦

(١)

أبدة : ٢٧
أديبا : ١٠٠
أرجوان : ٣١
الأردن : ٩٧ ، ٩٨ ، ١٤٤
أريتريا : ٤٨
أريولة : ٢٧
أسبانيا : ٧ ، ٩ ، ١٠ ، ١١ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٨ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٥٣
استانبول : ٦ ، ٤٠
استجة : ٢٧
استراليا : ٨٣
اسكندناوة : ٩
أشبيلية : ٧ ، ١٧ ، ٢٢ ، ٢٤ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨
أفريقيا : ٨ ، ١١ ، ١٦ ، ٢١ ، ٢٧ ، ٢٩ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٨٤ ، ٢٧٠
أفسس : ٣٩
أكسفورد : ٢٠
الباثيا : ٤٨
المرية : ٢٨
أمريكا : ٨٣ ، ١١٧
انجلترا : ١١٧
الاندلس : ٦ ، ٧ ، ٨ ، ١١ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٧ ، ١٨ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٣ ، ٤٩ ، ٢٦٨ ، ٢٧٠

الحديبية : ٢٠٦

حلب : ٢٣٨

حوران : ٢١٥

(خ)

الخنق : ٢٠٥ ، ٢٣١

خير : ٢٠٨

خيخون : ١٣

(د)

داسيا : ٩

دان : ١٠٠٠

الدانوب : ٩

دانية : ٢٧

دمشق : ١٥ ، ١٦ ، ١٨ ، ٢٠

ديسيوس : ٩

(ر)

رندة : ٣١

روسيا : ٤٧ ، ٤٨ ، ٧٦

روما : ٩ ، ٢٠ ، ٧٧

رومانيا : ٩٠ ، ١١١

رومية : ٣٩

(ز)

الزلافة : ٢١ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٧

(س)

سبته : ١١ ، ١٢ ، ٢٤

سرقسطة : ١٧ ، ٢٤

سعر : ٢١٦

السويد : ٩

(ت)

التاجة : ٢٣

تبوك : ١٩٩

تراقية : ٩

تركيا : ٤٨

ترلو : ٤٠

ترنت : ٤٠

تسالونيكي : ٣٩

تور : ١٨

تولوز : ٩

توتس : ٢٤ ، ٤١

تيمن : ٢٢٧

(ج)

الجارون : ٩

جبال اشتوريش : ١٣ ، ١٨ ، ٢٠

جبال البرنية : ٧

جبال البشرات : ٢٨

جبل ابي قبيس : ١٩٨

جبل شلير : ٣٢

جبل طارق : ٨ ، ١٢ ، ١٦

جبل غاران : ٢١٧ ، ٢١٨ ، ٢٢٧

جبل موريا : ٩٨

الجزيرة الاسبانية : ١١

جزيرة الاندلس : ٨

جليقة : ٧ ، ١٠ ، ١٨ ، ٢٢ ، ٢٣

الجليل : ٧٠ ، ١٣١ ، ١٣٥ ، ١٤٤ ، ١٧٨

جيان : ٢٨

(ح)

الحبشة : ٢٧٤

الحجاز : ٢٣١

(ف)

فاران : ٢١٧ ، ٢٢٣
فاس : ٣٥
فدك : ٩٦
الفرنثيرة : ١٢
فرنسا : ٩ ، ١٠ ، ١٨ ، ١٩ ،
١١٧
فلسطين : ١٥٦ ، ٢١٥ ، ٢٢٦ ،
٢٥١
فلورنس : ٤٠
فليبى : ٣٩
الفلبين : ٤٨
فنيثيل : ٢٥٠
فبين : ١٨

(ق)

قادس : ٢٧ ، ٢٩
القدس : ٧٦ ، ٧٧ ، ٢٧٥
قرطاجنة : ٢٧
قرطبة : ٨ ، ١٤ ، ١٧ ، ٢١ ،
٢٢ ، ٢٤ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٣٤ ، ٣٥ ،
٣٦ ، ٥٣
القرم : ٤٨ ، ٤٩
قسطنطينية : ٩ ، ١٥ ، ٢٠ ، ٣٠ ،
٤١ ، ٥٧
قشنة : ٦ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٩ ،
٣١
قورية : ٢٤

(ك)

كانتابريا : ١٨
كفر ناحوم : ١٣١
كلكتة : ٢٢١

سيناء : ٧٤ ، ٢١٦ ، ٢١٨ ،
٢٢٣ ، ٢٤٤ ، ٢٤٥ ، ٢٦١

(ش)

الشام : ١٥ ، ١٩٦ ، ٢٥٢ ، ٢٧٧
شاطبة : ٢٧
شالون : ٩
شريش : ٢٨
شلب : ٢٨
شنقى : ٣٢
شنتمرية : ٢٨
شنيل : ٢٨

(ص)

صنعاء : ٢٧٢ ، ٢٧٣
صوغر : ٢٤٠

(ط)

طشقند : ٤٨ ، ٤٩
طليطلة : ٦ ، ١٠ ، ١٣ ، ١٤ ،
١٧ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٧ ،
٣٤ ، ٣٥ ، ٤٥ ، ٥٣ ، ٢٧١
طنجة : ١١
طور سيناء : ٢٤٤

(ع)

العراق : ١٦ ، ٢٣١
عيناييم : ٨١

(غ)

غرناطة : ١٧ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٨ ،
٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٥ ، ٩٧
غلاطية : ٣٩
غالبا (أوغالييس) : ٩

منى : ٢٤٧

ميزيا : ٩

ميورقة : ٢٧

(ن)

نانس : ٣٩

ناصره : ٧٠

نائين : ١٣٢

نجد : ٢٣١

نيقية : ٥٢ ، ٥٦ ، ٥٨ ، ٧٦

(هـ)

الهند : ٤٧ ، ٢٣٠ ، ٢٨٢

(و)

وادي آش : ٣٠ ، ٣١ ، ٢٧١

وادي بيطس : ٨

وادي لكه (أو وادي بكه) : ١٢

ولبة : ٢٨

(ى)

يثرب (المدينة المنورة) : ١١٨ :

٢٠٩

اليوكرين : ٩

اليمامة : ٢٣١

اليين : ٢٣١ ، ٢٧٢

اليونان : ٩

كلين : ١٨

كورة البيرة : ٢٨

كورنثوس : ٣٩

كولوسى : ٣٩

(ل)

لاون : ٢٣

لبنان : ٢٧٧ ، ٢٧٨

لقنت : ٢٧

اللوار : ٩ ، ١٠ ، ١٨

لوديسيا : ٣٩

لوشة : ٢٨ ، ٣١ ، ٣٢

(م)

مادة : ٢٧

مالقة : ١٧ ، ٢٨ ، ٣١

المجر : ٩

المدور : ٢٧

مديان : ٨٦

المدينة (المنورة) : ٢٠٩

مدين : ٢٦٤ ، ٢٧٧

مرسية : ٧ ، ٢٨

المرية : ٢٨

مصر : ٤١ ، ٤٢ ، ٤٥ ، ٤٦ ،

٧٣ ، ٧٤ ، ٨٧ ، ١٠١ ، ١٠٨ ، ١٢٥ ،

٢٠١ ، ٢٤٦ ، ٢٤٩ ، ٢٥٤ ، ٢٦١

المغرب : ١٦ ، ٢٧ ، ٢٩

مكة : ١١٧ ، ١١٨ ، ٢١٢ ، ٢١٧ ،

٢٤٩ ، ٢٧٢ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ٢٧٧ ،

٢٧٨



القبائل والأقوام

السودان : ٢٣٠	الآلان : ٩
الصقالبة : ١٧	آل قيدار : ٢٢٥
العامريون : ١٧	الأدوميون : ١٠١
العرب : ١٢ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٥	الأشبان : ٩
١٧ ، ٢٠ ، ٢١ ، ١٩١ ، ١٩٤	الأشوريون : ٢٥١
١٩٧ ، ٢١٥ ، ٢١٦ ، ٢٣٠ ، ٢٥١	الأكراد : ٢٣٠
٢٧٣ ، ٢٨٩	الأموريون : ٨٥
العمالقة : ٨٦ ، ١٠١	أندلوس : ٧
الفرزيون : ٨٦	البربر : ٨ ، ١٢ ، ١٥ ، ١٧ ، ١٩ ، ٢١
الفرس : ٢٠٧ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠	بنو الأنطس : ٢٤
الفريسيون : ٨١ ، ٩٧ ، ١٥٩	بنو أمية : ١٦ ، ١٧
٢٣٤	بنو جهور : ١٧
القبط : ٢٣٠	بنو حمود : ١٧
قريش : ٢٠٤ ، ٢١٠ ، ٢٧٣	بنو ذى النون : ١٧
القوط : ٩ ، ١٠ ، ١٢ ، ١٣	بنو زيرى : ١٧
١٨ ، ٢٠ ، ٢٣	بنو عمون : ٢٤١
الكتعانيون : ٨٦ ، ٩٩ ، ١٠٨	بنو مرين : ٢٧ ، ٢٩
١٠٩	بنو نصر : ١٧
المديانيون : ٨٦	بنو هود : ١٧
المصرية : ١٦	الترك : ٢٣٠
المقابيون : ٣٨ ، ٤٠	الجبش : ٢٣٠
المؤابيون : ٢٤١	جوتارة : ٨
النبط : ٢٣٠	الحثيون : ٨٦ ، ١٠٨
نفزة : ٨	الحويون : ٨٦ ، ١٠٨
همدان : ٨ ، ٨٨	الديلم : ٢٣٠
الهون : ٩ ، ١٠	الروم : ٢٠٧ ، ٢١٤ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠
الوندال : ٨ ، ٩ ، ١٠	السامريون : ٣٨ ، ٦٤
البيوسيون : ٨٦	السوابيون : ٩ ، ١٠

٢٣٢ ، ٢٢١ ، ٢١٦ ، ٢١٥ ، ٢١٣	اليهود : ١١ ، ٢٥ ، ٣٨ ، ٥٧ ،
٢٣٧ ، ٢٣٦ ، ٢٣٥ ، ٢٣٤ ، ٢٣٣	٦٩. ، ٧٣ ، ٧٢ ، ٧٠ ، ٦٨ ، ٦٦
٢٥١ ، ٢٥٠ ، ٢٤٢ ، ٢٣٩ ، ٢٣٨	١٣٢ ، ١٠٤ ، ٩٧ ، ٩٦ ، ٩٥ ، ٩٣
٢٥٩ ، ٢٥٨ ، ٢٥٧ ، ٢٥٤ ، ٢٥٢	١٣٩ ، ١٣٦ ، ١٣٥ ، ١٣٤ ، ١٣٣
٢٧٩ ، ٢٦٥ ، ٢٦٣ ، ٢٦١ ، ٢٦٠	١٤٨ ، ١٤٧ ، ١٤٦ ، ١٤٤ ، ١٤٠
٢٩٤ ، ٢٨٩ ، ٢٨٥ ، ٢٨٤ ، ٢٨٢	١٥٨ ، ١٥٥ ، ١٥٣ ، ١٥٠ ، ١٤٩
٢٩٧ ، ٢٩٦ ، ٢٩٥	١٦٨ ، ١٦٧ ، ١٦٦ ، ١٦٤ ، ١٦٣ ، ١٦١
اليمنية : ١٦	١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٧١ ، ١٧٦ ، ٢٠٩ ،

* * *

الآيات القرآنية

الصفحة

- ١٩٢ « قل فأتوا بسورة من مثله » (البقرة : ٢٣)
- ١٩٥ . ١٩٢ « ولن تفعلوا » (البقرة : ٢٤)
- ٦٠ « نازلها الشيطان عنها فأخرجها مما كانا فيه » (البقرة : ٢٦)
- ١١٠ « وانتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل ولا هم ينصرون » (البقرة : ٤٨)
- ٩٢ « أفنتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم » الى : « ... وهم يعلمون » (البقرة : ٧٥)
- ١٢١ « ومنهم أجيون لا يعلمون الكتاب الا امانى وان هم الا يظنون » (البقرة : ٧٨)
- ٩٤ « غويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله » (البقرة : ٧٩)
- ١١٢ « أفنؤمنون ببعض الكتاب » الى : « ... وما الله بغافل عما تعملون » (البقرة : ٨٥)
- ١٢٢ « ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه » (البقرة : ١٣٠)
- ٩٢ « الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ؛ وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون » (البقرة : ١٤٦)
- ١١٢ « ومنهم من يقول ربنا آتانا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقتنا عذاب النار » (البقرة : ٢٠١)
- ٨٤ « الطلاق مرتان فامسك بمعروف أو تسريح بإحسان » الى : « ... وتلك حدود الله يبينها لقوم يعلمون » (البقرة : ٢٢٩ ، ٢٣٠)
- ١٨٣ « وان تعفوا أقرب للتقوى » (البقرة : ٢٢٧)
- ١١٦ « ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض » (البقرة : ٢٥١)
- ١١٥ « لا اكراه في الدين ، قد تبين الرشد من الغي » (البقرة : ٢٥٦)
- ١٢٠ « آمن الرسول بها أنزل اليه من ربه والمؤمنون ؛ كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله » (البقرة : ٢٨٥)
- ٦٠ « لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت » (البقرة : ٢٨٦)
- ١٢٧ « وما يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم » (آل عمران : ٧)
- ٢٠٩ « قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم وبئس المهاد » (آل عمران : ١٢)

الصفحة

- ١٢٢ « ان الدين عند الله الاسلام » (آل عمران : ١٩)
« فان حاجوك فقل أسلمت وجهي لله ومن اتبعن ، وقل للذين
أوتوا الكتاب والأميين أأسلمتم » الى : « . . . والله بصير بالعباد »
١٢١ (آل عمران : ٢٠)
٨٧ « اذ قالت امرأة فرعون » (آل عمران : ٣٥)
« اذ قالت الملائكة يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح
عيسى ابن مريم وجيها في الدنيا والآخرة ومن المقربين » (آل عمران : ٤٥)
٦٢ « ورسولا الى بنى اسرائيل انى قد جئكم بآية من ربكم » الى :
٦٣ « . . . ان في ذلك آية لكم ان كنتم مؤمنين » (آل عمران : ٤٩)
« ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم ، خلقه من تراب ثم قال له كن
فيكون » الى : « . . . فجعل لعنة الله على الكاذبين » (آل عمران : ٥٩ - ٦١)
١٤١ « ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما
وما كان من المشركين » (آل عمران : ٦٧)
١٢٢ « يا اهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وانتم
٩٣ تعلمون » (آل عمران : ٧١)
« ومن اهل الكتاب من ان تأمنه بقناطر يؤده اليك ومنهم من ان
تأمنه بدينار لا يؤده اليك الا ما نمت عليه قائما » الى : « . . . ويقولون
على الله الكذب وهم يعلمون » (آل عمران : ٧٥)
٢٥٠ ، ١٢١ « وان منهم فريقا يلوون السنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب
وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون
على الله الكذب وهم يعلمون » (آل عمران : ٧٨)
٩٣ « ما كان لبشر ان يؤنيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول
للناس كونوا عبادا لى من دون الله » (آل عمران : ٧٩)
١٤٢ « ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من
الخاسرين » (آل عمران : ٨٥)
١٢٢ « كنتم خير أمة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون
١٢٠ عن المنكر وتؤمنون بالله » (آل عمران : ١١٠)
« لن بضروكم الا اذى وان يقاتلوكم يولوكم الأدبار ثم لا ينصرون »
٢٠٩ (آل عمران : ١١١)
« ولقد نصركم الله ببدر وانتم اذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون .
اذ تقول للمؤمنين » الى : « . . . هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من
الملائكة مسومين » (آل عمران : ١٢٣ - ١٢٥)
٢٠٣

الصفحة

- « وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفئن مات أو قتل
انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا »
(آل عمران : ١٤٤) ١٨٩
- « فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع » (النساء : ٣) ٧٩
- « من الذين هادوا يحرفون انكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا
وعصينا وأسمع غير مسمع وراعنا ليا بالسنتهم وطعنا في الدين »
الى : « . . . فلا يؤمنون الا قليلا » (النساء : ٤٦) ٩٤
- « ان الله يأمركم ان تؤدوا الأمانات الى أهليها » (النساء : ٥٨) ٢٤٩
- « أفلا يتدبرون القرآن ، ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه
اختلفا كثيرا » (النساء : ٨٢) ١٠٣
- « ومن يكسب اثما فانما يكسبه على نفسه » (النساء : ١١١) ٦٠
- « وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه
وما صلبوه ولكن شبه لهم » انسى : « . . . وما قتلوه يقيننا »
(النساء : ١٥٧) ١٦٨ ، ١٥٨ ، ٧٣ ، ٥٨
- « وما قتلوه يقيننا . بل رفعه الله اليه » (النساء : ١٥٧ : ١٥٨) ١٦٧
- « وآتيناه داود زبوراً » (النساء : ١٦٣) ٧٤
- « يا أيها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم فآمنوا
خيرا لكم ، وان تكفروا فان الله ما فى السموات والأرض ، وكان
الله عليهما حكيما » (النساء : ١٧٠) ١٠٣
- « يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق ،
انما المسيح ابن مريم رسول الله وكلمته ألثاها الى مريم وروح منه »
(النساء : ١٧١) ٦٢
- « لن بسنتكف المسيح ان يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون ،
ومن يستكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم اليه جميعا » (النساء : ١٧٢) ١٢٨
- « فيها نقضهم مبناهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية ، يحرفون
الكلم عن مواضعه » (المائدة : ١٣) ٩٥
- « لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم ، قل فمن يملك
من الله شيئا ان أراد ان يهلك المسيح ابن مريم وأمه . . . » الى :
« والله على كل شىء قدير » (المائدة : ١٧) ١١٨ ، ١٠٢ ، ٧١
- « يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل
ان تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير ، فقد جاءكم بشير ونذير ، والله
على كل شىء قدير » (المائدة : ١٩) ١٢٢

الصفحة

- « يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم » الى : «... فاحذروا» (المائدة: ٤١) ٩٥
- « يحكم بها النبيون » (المائدة : ٤٤) ٢٣٩
- « لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة وما من اله الا اله واحد ، وان لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب اليم » (المائدة : ٧٣) ١٠٢
- « ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كنا يأكلان الطعام » (المائدة : ٧٥) ١٣٠
- « ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون . وإذا سمعوا ما أنزل الى الرسول » الى : «... فاكذبنا مع الشاهدين » (المائدة : ٨٢ ، ٨٣) ١٨٧
- « وإذا قيل لهم تعانوا الى ما أنزل الله والى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا أو لو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون » (المائدة : ١٠٤) ١٢٦
- « أنت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين من دون الله ، قال سبحانه ما يكون لى أن أقول ما ليس لى بحق » الى «... وأنت على كل شيء شهيد » (المائدة : ١١٦ ، ١١٧) ١٢٨
- « وزكريا ويحيى وعيسى والياس ، كل من الصالحين » (الأنعام: ٨٥) ١٣٧
- « واسماعيل واليسع ويونس ولوطا ، وكلا فضلنا على العالمين » (الأنعام : ٨٦) ١٣٨
- « وأنفسوا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها ، قل انما الآيات عند الله » الى : «... ونذره في طغيانهم يعمهون » (الأنعام : ١٠٩ ، ١١٠) ٢١٢
- « أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشى به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها » (الأنعام : ١٢٢) ٦٤
- « فوسوس لها الشيطان » (الأعراف : ٢٠) ٢٤٨
- « وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها ، قل ان الله لا يأمر بالفحشاء ، أتقولون على الله ما لا تعلمون » (الأعراف : ٢٨) ١٢٦
- « وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلا لكل شيء » (الأعراف : ١٤٥) ٢٤٦
- « واكتب لنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة انا هدنا إليك » (الأعراف : ١٥٦) ١١٠

الصفحة

- « قل ياأيها الناس انى رسول الله اليكم جميعا الذى له ملك السموات والأرض » الى: «... لعلكم تهتدون» (الأعراف : ١٥٨) ١٠٣-١٢١، ٢٢٤
- « واذا يعدكم الله احدى الطائفتين أنها نكم » (الأنفال : ٧) ٢٠٨
- « اذ يغشيكم النعاس أمنة منه وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان ... » الى : « ... فان الله شديد العقاب » (الأنفال : ١١-١٣) ٢٠٣
- « وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى » (الأنفال : ١٧) ٢٠٢
- « فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون » (الأنفال : ٣٦) ٢٠٩
- « ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون » (التوبة : ٣٣) ٢٠٨
- « استغفر لهم أو لا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم » (التوبة : ٨٠) ٧٨
- « ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ، يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون ، وعدا عليه حقا فى التوراة والانجيل والقرآن » (التوبة : ١١١) ٨٥ ، ٢٦٣
- « وعدا عليه حقا فى التوراة والانجيل » (التوبة : ١١١) ٢٦٤
- « قل فأتوا بسورة مثله » (يونس : ٢٨) ١٩٣
- « ولو شاء ربك لآمن من فى الأرض كلهم جميعا ، أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين » (يونس : ٩٩) ١١٥
- « قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات » (هود : ١٣) ١٩٣
- « رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت ، انه حميد مجيد » (هود : ٧٣) ٢٤٤
- « قال معاذ الله أن نأخذ الا من وجدنا متاعنا عنده انا اذن اظالمون » (يوسف : ٧٩) ٦١
- « وما كان لرسول أن يأتى بأية الا باذن الله » (الرعد : ٣٨) ١٠٤
- « قل كنى بالله شهيدا بنى وبينكم ومن عنده علم الكتاب » (الرعد : ٤٣) ١٨٧
- « ونزعنا ما فى صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين » (الحجر : ٤٧) ٢٨٢
- «والذين هاجروا فى الله من بعد ما ظلموا لنبئتهم فى الدنيا حسنة» (النحل : ٤١) ٢٠٩

الصفحة

- « وان عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما عوقبتهم به ، ولئن صبرتم لهو خير للصابرين . واصبر وما صبرك الا بالله » (النحل : ١٢٦ ، ١٢٧) ١٨٣
- « من اهتدى فانما يهتدى لنفسه ، ومن ضل فانما يضل عليها ، ولا تزر وازرة وزر اخرى » (الاسراء : ١٥) ٦٠
- « وما منعنا أن نرسل بالآيات الا أن كذب بها الاولون وآتيناهم ثمود ... » الى : « وما نرسل بالآيات الا تخويفا » (الاسراء : ٥٩) ٢١٢
- « ونخوفهم فما يزيدهم الا طغيانا كبيرا » (الاسراء : ٦٠) ٢١٢
- « قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ، ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا » (الاسراء : ٨٨) ١٩٣
- « قل سبحان ربي هل كنت الا بشرا رسولا » (الاسراء : ٩٣) ٢١٢
- « ان الذين أتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخرون للأذنقان سجدا ... » الى : « ويزيدهم خشوعا » (الاسراء : ١٠٧ — ١١٠) ١٨٧
- « فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر » (الكهف : ٢٩) ١١٥
- « أنى يكون لى غلام ولم يمسنى بشر ولم أك بغيا » (مريم : ٢٠) ٧٠
- « يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا » (مريم : ٢٨) ٢٦١ ، ٨٧
- « ورفعناه مكانا عليا » (مريم : ٥٧) ١٦٠
- « وان نجهر بالقول فانه يعلم السر وأخفى » (طه : ٧) ٢٥١
- « وما أعجلك عن قومك يا موسى . قال هم أولاء على أثري وعجلت اليك رب لترضى ... » الى : « وان ربكم الرحمن فاتبعونى وأطيعوا أمرى » (طه : ٨٣ — ٩٠) ٢٤٧
- « فوسوس اليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى فأكلا منها ... » الى : « وعصى آدم ربه فغوى » (طه : ١٢٠ ، ١٢١) ٦٠
- « ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى » (طه : ١٢٢) ٧٢
- « لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا » (الانبياء : ٢٢) ١٧٩
- « وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفئن مت فهم الخالدون » (الانبياء : ٣٤) ١٩٠
- « ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ، وليتصرن الله من ينصره ، ان الله لقوى عزيز » (الحج : ٤٠) ١١٦

الصفحة

- « ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله اذن لذهب كل اله
بما خلق ولعلا بعضهم على بعض ، سبحان الله عما يصفون »
١٧٩ (المؤمنون : ٩١)
- « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في
الأرض كما استخلف الذين من قبلهم . . . » الى : « يعبدونني لا يشركون بي
شيئا » (النور : ٥٥)
٢٠٨
- « وقال الذين كفروا ان هذا الا افك افتراه واعانه عليه قوم
آخرون ، فقد جاءوا ظلما وزورا . . . » الى : « انه كان غفورا
رحيما » (الفرقان : ٤ - ٦)
١٠٣
- « ولا تخزنن يوم يبعثون » (الشعراء : ٨٧)
١٠٩
- « وادخل يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء » (النمل : ١٢)
٢٤٦
- « الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون » (القصص : ٥٢)
١٨٧
- « وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا خطه بيمينك اذن لارتاب
المبطلون » (العنكبوت : ٤٨)
١٢٢
- « ألم . غلبت الروم . في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيفلبون .
في بضع سنين . . . » الى : « لا يخلف الله وعده » (الروم : ١ - ٦)
٢٠٧
- « لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا »
(لقمان : ٣٣)
٦١
- « يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءكم جنود
فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها » (الأحزاب : ٩)
٢٠٦
- « وأرضالم تطأوها » (الأحزاب : ٢٧)
٢٠٨
- « وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم
لا يبصرون » (يس : ٩)
٢٠٤
- « ان أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون . هم وأزواجهم في
ظلال على الأرائك متكئون . لهم فيها فاكهة ونهم ما يدعون » (يس : ٥٥ - ٥٧)
١٠٤
- « وان الياس لمن المرسلين . . اذ قال لقومه ألا تتقون . اتدعون
بعلا ونذرون احسن الخالقين . . » الى : « انه من عبادنا المؤمنين »
(الصافات : ١٢٣ - ١٣٢)
١٢٧
- « واذكر اسماعيل واليسع وذا الكفل ، وكل من الأخيار »
(سورة ص : ٤٨)
١٢٨
- ٣٣١
- (٢١ - بين الاسلام والمسيحية)

الصفحة

- « اذ قال ربك للملائكة انى خالق بشرا من طين . فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين . فسجد الملائكة كلهم أجمعون . الا ابليس . . . » الى : « وان عليك لعنتى انى يوم الدين » (سورة ص : ٧١ — ٧٨)
- ٩١ « ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى » (الزمر : ٣)
- ١٥٢ « انك ميت وانهم ميتون » (الزمر : ٣٠)
- ١٨٩ « اليوم تجزى كل نفس بما كسبت ، لا ظالم اليوم » (غافر : ١٧)
- ٦١ « وما كان لرسول أن يأتى بآية الا باذن الله » (غافر : ٧٨)
- ١٠٤ «سنريهم آياتنا فى الآفاق ، وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق» (فصلت : ٥٣)
- ٢٠٨ « ليس كمثله شيء ، وهو السميع البصير » (الشورى : ١١)
- ٢٥١ « ولكل درجات مما عملوا » (الاحقاف : ١٩)
- ٦١ « مثل الجنة التى وعد المتقون ، فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه . . . » الى : «ولهم فيها من كل الثمرات» (محمد : ١٥)
- ١٠٦ « سيقول لك المخلفون من الأعراب شغلنا أموالنا وأهلونا فاستغفر لنا » (الفتح : ١١)
- ٢٠٩ «سيقول المخلفون اذا انطلقتم الى مغانم لتأخذوها ذرونا نتبعكم» (الفتح : ١٥)
- ٢٠٩ « ومغانم كثيرة يأخذونها » (الفتح : ١٩)
- ٢٠٨ « وأخرى لم تقدروا عليها قد أحاط الله بها » (الفتح : ٢١)
- ٢٠٨ « لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق ، لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله . . . » الى : «فجعل من دون ذلك فتحا قريبا» (الفتح: ٢٧)
- ٢٠٧ « وأن ليس للانسان الا ما سعى » (النجم : ٣٩)
- ٦١ « اقتربت الساعة وانشق القمر . وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر . وكذبوا واتبعوا أهواءهم ، وكل أمر مستقر » (القمر : ١ — ٣)
- ١٩٨ « سيهزم الجمع ويولون الدبر » (القمر : ٤٥)
- ٢٠٩ « لا يصدعون عنها ولا ينزفون » (الواقعة : ١٩)
- ٢٨١ « فى جنات النعيم . ثلة من الأولين . وقليل من الآخرين . على سرر موضونة . متكئين عليها متقابلين . . . » الى : « جزاء بما كانوا يعملون » (الواقعة : ١٢ — ٢٤)
- ١٠٦

الصفحة

- ٢٠٨ «ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون» (الصف: ٩)
- «هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم...» الى: «...مبين»
(الجمعة: ٢) ١٢١
- «ومريم ابنة عمران اننى احصنت فرجها» (النحریم: ١٢) ٨٧
- «وانك لعلی خلق عظیم» (القلم: ٤) ١٢٢
- «قل اوحى الى أنه استمع نفر من الجن فقالوا انا سمعنا قرآنا عجبا . يهدى الى الرشـد فأمنّا به ولن نشرك بربنا احدا» (الجن: ١٠١) ١٢٠
- «وانّا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا» الى:
«... أم أراد بهم ربهم رشدا» (الجن: ٨ — ١٠) ٢٠٣
- «انه فكر وقدر . فقتل كيف قدر . ثم قتل كيف قدر...» الى:
«فقال ان هذا الا سحر يؤثر» (المدثر: ١٨ — ٢٤) ١٩٦
- «فذكر انما انت مذكر . لست عليهم بمسيطر» (الغاشية: ٢١: ٢٢) ١١٥
- «أرأيت الذي ينهى عبدا اذا صلى . أرأيت ان كان على الهدى»
الى: «... ألم يعلم بأن الله يرى» (العلق: ٩ — ١٤) ٢٠٤
- «ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل . ألم يجعل كيدهم في
فضليل» الى: «فجعلهم كعصف مأكول» (سورة الفيل) ٢٧٣ ، ٢٧٤
- «اذا جاء نصر الله والفتح . ورأيت الناس يدخلون في دين الله
أفواجا . فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا» (سورة النصر) ٢٠٩

فقرات من الكتاب المقدس

الصفحة

- « وأما ثمر الشجرة ،التي في وسط الجنة فقال الله : لا تأكلا منه
ولا تمساه ، لئلا تموتا » (التكوين : ٣ : ٣) ١٠٧
- « أكلت وأعطت رجلها أيضا معها فأكل » الى : « ... » فقال
آدم : المرأة التي جعلتها معي هي أعطتني ،الشجرة فأكلت » (التكوين
٣ : ٦ - ١٢) ٦٠
- « فأخرجه الرب الاله من جنة عدن ليعمل الأرض التي أخذ
منها » (التكوين : ٣ : ٢٣) ٢٨٢
- « فالآن ملعون أنت من الأرض التي فتحت فاهها ، لتقبل دم أخبك
من يدك . متى عملت الأرض لا تعود تعطيك قوتها » (التكوين : ٤ :
١١ ، ١٢) ١٠٧
- « وانخذ لامك لنفسه امرأتين ، اسم الواحد عادة واسم
الأخرى » الى : « ... وأصغيا لكلامى » (التكوين : ٤ : ١٩ - ٢٣) ٧٩
- « ورأى الرب ان شر الانسان قد كثر في الأرض » الى : « ... »
لأنى حزنتم أنى عملنهم » (التكوين : ٦ : ٥ - ٧) ٢٤٨
- « أثمروا واكثروا ، واملأوا الأرض » (التكوين : ٩ : ١) ١٠٧
- « ها أنت حبلى فتلدن ابنا وتدعين اسمه اسماعيل » الى :
« ... وأمام جميع أخوته يسكن » (التكوين : ١٦ : ١١ ، ١٢) ٢١٥ ، ٢١٥
- « وأما اسماعيل فقد سمعت لك فيه ، ها أنا أباركه وأثمره »
الى : « ... وأجعله أمة كبيرة » (التكوين : ١٧ : ٢٠) ٢١٧ ، ١٨٥
- « وظهر له الرب عند بلوطات مبرا ، وهو جالس في باب الخيمة »
الى : « فتسندون قلوبكم ، ثم تجتازون » (التكوين : ١٨ : ١ - ٥) ٢٤٥
- « وصعد لوط من صوغر وسكن في الجبل وابناه معه » الى :
« ... وهو أبو بنى عمون الى اليوم » (التكوين : ١٩ : ٣٨ - ٣٨) ٢٤١ ، ٢٤٠
- « لأنى سأجعله أمة عظيمة » (التكوين : ٢١ : ١٨) ٢١٧
- « ... أن الله امنحن ابراهيم فقال له يا ابراهيم ... » الى :
فقال خذ ابنتك وحيدك الذى تحبه اسحاق » (التكوين : ٢٢ : ١ ، ٢) ٢٤٧
- « بذاتى أقسمت ، يقول الرب : انى من أجل أنك فعلت هذا
الامر » الى : « ... ويرث نسلك باب أعدائه » (التكوين : ٢٢ :
١٦ ، ١٧) ١٠٧

الصفحة

- « فليعطك الله من ندى السماء . ومن دسم الأرض . وكثرة حنطة . ليستعبد لك شعوب ، وتسجد لك قبائل » (التكوين : ٢٧ : ٢٨ ، ٢٩)
- ١٠٧ « فبقى يعقوب وحده » الى : « لاني نظرت انله وجهها لوجه ونجيت نفسي » (التكوين : ٣٢ : ٢٤ — ٣٠)
- ٢٥٠ « وخرجت دينة ابنة ليئه التي ولدتها ليعقوب لتنظر بنات الارض » الى : « . . . واضطجع معها واذلها » (التكوين : ٣٤ : ١ ، ٢)
- ٢٤٤ « اثمر ، واكثر ، امة وجماعة اُم تكون منك » الى : « . . . ولنسلك من بعدك اعطى الارض » (التكوين : ٣٥ : ١١ ، ١٢)
- ١٠٨ « وحدث اذ كان اسرائيل سالكنا في تلك الارض » الى : « . . . وسمع اسرائيل » (التكوين : ٣٥ : ٢٢)
- ٢٤١ « واخذ يهوذا زوجة لعير بكره ، اسمها ثامار » الى : « . . . هي ابر منى ، لاني لم اعطها لشيخة ابني » (التكوين : ٣٨ : ٦ — ٢٦)
- ٢٤٣ « ودعا يعقوب بنيه وقال : اجتمعوا الانبئكم بما يصيكم في آخر الايام » الى : « . . . حينئذ دنسته » (التكوين : ٤٩ : ١ — ٤)
- ٢٤١ « وقال الله ايضا لموسى . . . » الى : « فتسلبون المصريين » (الخروج : ٣ : ١٥ — ٢٢)
- ٢٤٩ « ثم قال له الرب ايضا : ادخل يدك في عبك ، فادخل يده في عبه ، ثم اخرجها ، واذا يده برصاء مثل الثلج » (الخروج : ٤ : ٦)
- ٢٤٥ « واخذ عمرايم بوكابد عمة زوجة له ، فولدت نه هارون وموسى » (الخروج : ٦ : ٢٠)
- ٨٧ « ثم قال الرب لموسى . . . » الى : « المصريين » (الخروج : ١١ : ١ — ٣)
- ٢٤٩ « وفعل بنو اسرائيل بحسب قول موسى » الى : « . . . فغسلوا المصريين » (الخروج : ١٢ : ٣٥ ، ٣٦)
- ٢٤٩ « نرشد برأفتك الشعب الذي فديته ، تهديه بقوتك ، الى مسكن قدسك » (الخروج : ١٥ : ١٣)
- ١٠٩ « لماذا اصعدتنا من مصر » الى : « ليشرب الشعب » (الخروج : ١٧ : ٣ — ٦)
- ٢٠١ « فقال الرب لموسى : اكتب هذا تذكرا في الكتاب » الى : « . . . للرب حرب مع عماليق من دور الى دور » (الخروج : ١٧ : ١٤ — ١٦)
- ٨٦ « لا تقتل ، لا تزن ، لا تسرق ، لا تشهد على قريبك شهادة زور » (الخروج : ٢٠ : ١٣ — ١٦)
- ٢٥٠

الصفحة

- « وتعبدون الرب الهكم ، فبإبرك خبزك وماءك » الى : « الى أن
 ١٠٨ تثمر وتنبلك الأرض » (الخروج : ٢٣ ، ٢٥ — ٣٠)
 « ولما رأى الشعب أن موسى أبطأ في النزول من الجبل » الى :
 ٢٤٦ « ... ثم قاموا للعب » (الخروج : ٣٢ : ١ — ٦)
 « اذكر ابراهيم واسحاق واسرائيل عبيدك » الى : « ... فيملكونها
 ٢٥١ الى الأبد » (الخروج : ٣٢ : ١٣)
 « واللوحان هما صنعة الله والكتابة كتابة الله منقوشة على
 ٢٤٦ اللوحين » (الخروج : ٣٢ : ١٦)
 « احفظ ما انا موصيك اليوم ، ها انا طارد من قدامك » الى :
 ٨٦ « ... وتكسرون أنصابهم ، وتقطعون سواريتهم » (الخروج : ٣٤ : ١١ — ١٣)
 « واذا احدث انسان في قريبه عيبا فكما فعل كذلك يفعل به »
 الى : « ... كذلك يحدث فيه » (اللاويين : ٢٤ : ١٩ ، ٢٠)
 ٧٩ « اذا سلكتم في فرائضى ، وحفظتم وصاياى ، وعلمتم بها » الى :
 ١٠٨ « وتهربون وليس من يطردكم » (اللاويين : ٢٦ : ٣ — ١٧)
 « ونكلمت مريم وهارون » الى : « ... التى اتخذها »
 ٢٥٨ (العدد : ١٢ : ١)
 « واسم امرأة عيرام يوكابد بنت لاوى التى ولدت للاوى فى مصر
 ٨٧ فولدت لعيرام هارون وموسى ومريم اختهما » (العدد : ٢٦ ، ٥٩)
 « وفى يوم السبت خروفان حوليان صحيحان وعشران من دقيق
 ٢٦٥ ملوث بزيت تقدمه مع سكرية » (العدد : ٢٨ : ٩)
 « وكلم الرب موسى قائلا : انتقم نعمة لبنى اسرائيل من
 ٨٦ المديانيين » (العدد : ٣١ : ١)
 « لا تقتل ، ولا تزن ، ولا تسرق ، ولا تشهد على قريبك شهادة
 ٢٥٠ زور » (التثنية : ٥ : ١٧ — ٢٠)
 « ومن أجل أنكم نسمعون هذه الاحكام وتحفظون وتعملونها »
 الى : « ... يدفع اليك » (التثنية : ٧ : ١٢ — ١٦)
 ١٠٩ « بل المكان الذى يخاره الرب الهكم من جميع أسباطكم » الى :
 ١٠٩ « ... وأبكار بقركم وغنمكم » (التثنية : ١٢ : ٥ ، ٦)
 « أقيم لهم نبيا من وسط اخوتهم » الى : « ... أنا أطلبه »
 ٢١٤ (التثنية : ١٨ : ١٨ ، ١٩)
 « واذا كان على الانسان خطية حقها الموت ، فقتل وعلقتة
 على خشبة » الى : « ... لأن المعلق ملعون من الله » (التثنية :
 ٢١ : ٢٢ ، ٢٣)
 ١٧٧، ١٥٣

الصفحة

- « لا تعترض أخاك برى ، ربا فضة ربا طعام » الى : « ... »
 التى انت داخل لتمتلكها » (التثنية : ٢٣ : ١٩ ، ٢٠) ٢٥٠:٢٤٩
 « اذا أخذ رجل امرأة وتزوج بها ، فان لم تجد نعمة فى عينيه »
 ائى : « ... بعطيك الرب الهك نصيبا » (التثنية : ٢٤ : ١ - ٤) ٨٥:٨٤
 « ولكن ان لم تسمع لصوت الرب الهك » (التثنية : ٢٨ : ١٥) ٢٥٤
 « يضربك الرب بقرحة مصر ، وبالبواسير والجرب ، والحكة ،
 حتى لا تستطيع الشفاء » (التثنية : ٢٨ : ٢٧) ٢٥٤
 « تخطب امرأة ، ورجل آخر يضطجع معها » (التثنية : ٢٨ : ٣٠) ٢٥٤
 « جاء الرب من سيناء » الى : « ... من الصالحين »
 (التثنية : ٣٣ : ٢) ٢١٧:٢١٦
 « قد دفعت بيدك أريحا وملكتها جبابرة الناس » الى : « والكهنة
 يضربون بالأبواق » (يشوع : ٦ : ٢ - ٤) ٢٦٦
 « وكان ذات يوم انه جاء نوح الله ليمثلوا امام الرب وجاء الشيطان
 أيضا فى وسطهم ، فقال الرب للشيطان : من أين جئت ؟
 (ايوب : ١ : ٦ ، ٧) ٨٩
 « ويجعلون فى طعامى علقما ، وفى عطشى يسقوننى خلا »
 (مزامير : ٦٩ : ٢١) ١٧٦
 « هلوليا . غنوا للرب ترنية جديدة : تسبيحه فى جماعة
 الأتقياء . ليفرح اسرائيل بخالقه » (مزامير : ١٤٩ : ١ : ٢) ١٨٥
 « ها العذراء تحبل وتلد ابنا وتدعو اسمه عما نوثيل »
 (أشعيا : ١٧ : ١٤) ٧٠
 « لانه هكذا قال لى السيد : اذهب اقم حارسا » الى :
 « كسرهما الى الأرض » (أشعيا : ٢١ : ٦ - ٩) ٢٢٧
 « تنفخ البرية والأرض اليابسة ويبتهج القفر ويزهر كالترجس »
 (أشعيا : ٣٥ : ١) ٢٢٨
 « أيها العطاش جميعا هلموا الى المياه ، والذي ليس له فضة .. »
 الى : « ... وبلا من خمرا ولينا » (أشعيا : ٥٥ : ١) ٢٨٤
 « قبلها صورتك فى البطن عرفتك ، وقبلها خرجت من الرحم
 قدستك ، جعلتك نبيا للشعوب » (ارميا : ١ : ٥) ٢٢٣
 « أمك ككرمة مثلك غرست على المياه . كانت مثمرة » الى :
 « وليس لها الآن فرع قوى لقضيب تسلط » (حزقيال : ١٩ : ١٠ - ١٤) ٢٢٨
 « ان اناسا من شيوخ اسرائيل جاعوا ليسألوا ان رب .. » الى :
 « ... أنا الرب الهكم » (حزقيال : ٢٠ : ١ - ٥) ٢١٠

الصفحة

- « وكثير من الرافدين في تراب الأرض يستيقظون ، هؤلاء الى
الحياة الأبدية وهؤلاء الى العار للآزدرء الأبدى » (دانيال : ١٢ : ٢ ، ٣) ١١٠
- « قد أقسم الرب بفخر يعقوب أنى لن أنسى الى الأبد جميع
أعمالهم » (عاموس : ٨ : ٧) ١٨٦
- « عريت قوسك تعرية . سباعيات سهام كلمتك » (حبقوق:٩:٣) ٢٢٧
- « هو ذا انعذراء تحبل وتلد ابنا وتدعون اسمه عمانوئيل الذى
تفسيره الله معنا » (متى : ١ : ٢٣) ٧٠
- « حينئذ جاء يسوع من الجليل الى الأردن الى يوحنا ليعتمد
منه » . . . الى : « وأنت تأتى الى . . » (متى : ٣ : ١٣ ، ١٤) ١٤٥
- « لا تظنوا أنى جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء » الى : « . . . لن
تدخلوا ملكوت السموات . . » (متى : ٥ : ١٧ — ٢٠) ٨١
- « قد سمعتم أنه قيل للتقدماء . . . من طلق امرأته » الى :
« . . . ومن يتزوج مطلقة فإنه يزنى » (متى : ٥ : ٣١) ٢٦٦
- « سمعتم أنه قيل : عين بعين وسن بسن ، وأما أنا فأقول لكم
لا تقاوموا الشر ، بل من لطمك على خدك الأيمن فحول له الآخر أيضا »
(متى : ٥ : ٣٨ ، ٣٩) ٧٩
- « لا تقاوموا الشر ، بل من لطمك على خدك الأيمن فحول له
الآخر أيضا » (متى : ٥ : ٣٩) ٢٨٦
- « ومن أراد أن يخلصكم ويأخذ ثوبك فاترك له الرداء أيضا »
الى : « . . . وصلوا لأجل الذين يسيئون أنيكم ويطردونكم »
(متى : ٥ : ٤٠ — ٤٤) ٢٨٦
- « أحبوا أعداءكم ، باركوا لاعنيكم ، أحسنوا الى مبغضيك »
(متى : ٥ : ٤٤) ٨٦
- « أبانا الذى فى السموات ، ليتقدس اسمك ، ليأت ملكوتك » الى :
« . . . لأن لك الملك والقوة والمجد الى الأبد ، آمين » (متى : ٦ : ٩ — ١٣) ٧٥
- « هؤلاء الاثنا عشر أرسلهم يسوع وقال لهم . . . » الى :
« . . . أخرجوا شياطين » (متى : ١٠ : ٥ — ٨) ٦٤
- « ولا تخافوا من الذين يقتلون الجسد ، ولكن النفس لا يقدرون
أن يقتلوا » الى : « . . . يهلك النفس والجسد كليهما فى جهنم »
(متى : ١٠ : ٢٨) ١١٣
- « ما جئت لألقى سلاما بل سيفا » (متى : ١٠ : ٣٤) ٨٧ ، ١١٦
- « أما يوحنا فلما سمع فى السجن بأعمال المسيح أرسل اثنين من
تلاميذه » الى : « . . . أم ننتظر آخر » (متى : ١١ : ٢ ، ٣) ١٤٥

الصفحة

- «أما يوحنا فلما سمع في السجن بأعمال المسيح أرسل اثنين
من تلاميذه ... » الى : « ... من له اذان للسمع فليسمع »
(متى : ١١ : ٢ - ١٥) ٢٢٢ ، ٢٢٣
- « حينئذ اجاب قوم من الكتبة والفريسيين قائلين ... » الى :
« الا آية يونان النبي » (متى : ١٢ : ٣٨ ، ٣٩) ٢٣٤
- « يرسل ابن الانسان ملائكته فيجمعون من ملكوته » الى :
« ... هناك يكون البكاء وصريير الاسنان » (متى : ١٣ : ٤١ ، ٤٢) ١١٣
- « فالحق اقول لكم : لو كان لكم ايمان مثل حبة خردل » الى :
« ... ولا يكون شيء غير ممكن لديكم » (متى : ١٧ : ٢٠) ١٠٤
- « ايها المعلم الصالح اى صلاح اعمل لتكون لى الحياة الابدية »
الى : « ... اكرم اباك وامك » (متى : ١٩ : ١٦ - ١٩) ١٣١
- « ان اردت ان تكون كاملا فاذهب وبع املاكك واعط الفقراء
فبكون لك كنز في السماء ، وتعال اتبعنى » (متى : ١٩ : ٢١) ١١١
- « ولا تدعوا لكم ابا على الارض لان اباكم واحد الذى فى السموات »
الى : « ... لان معلمكم واحد : المسيح » (متى : ٢٣ : ٩ ، ١٠) ١٣٢
- « وتقولون لو كنا فى ايام آبائنا لما شاركناهم فى دم الانبياء » الى :
« ... باسم الرب » (متى : ٢٣ : ٣٣ - ٣٩) ٢٢٢ ، ٢٢١
- « فيمضى هؤلاء الى عذاب ابدى ، والابرار الى حياة ابدية »
(متى : ٢٥ : ٤٦) ١١٣
- « واقول لكم : انى من الآن . لا اشرب من نتاج الكرمة هذا الى
ذلك اليوم » الى : « ... فى ملكوت ابنى » (متى : ٢٦ : ٢٩) ٢٨٢ ، ١١٤
- « فقال للتلاميذ : اجلسوا ههنا حتى امضى اصى هناك » الى :
« ... فقال لهم : نفسى حزينة جدا حتى الموت » (متى : ٢٦ : ٣٦ - ٣٨) ٧٠
- « فقال لهم : نفسى حزينة جدا حتى الموت » الى : « الا ان اشربها
فلتكن مشيئتكم » (متى : ٢٦ : ٣٨ - ٤٦) ١٤٧
- « والذى اسلمه اعطاهم علامة قائلا : الذى اقبله هو امسكوه »
(متى : ٢٦ : ٤٨) ١٥٨
- « فتكلم يسوع وكلهم قائلا : دفع الى كل سلطان » الى :
« ... والروح القدس » (متى : ٢٨ : ١٨ - ١٩) ٦٤
- « فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم ، وعمدوهم باسم الآب والابن
والروح القدس » (متى : ٢٨ : ١٩) ٥٥
- « من اراد ان يأتى ورأى فليترك نفسه ، ويحمل صليبه » الى :
« ... فهو يخلصها » (مرقس : ٨ : ٣٤ ، ٣٥) ١٤٧

- « الى النار التى لا تطفأ » الى : « حيث دودهم لا يموت والنار لا تطفأ » (مرقس : ٩ : ٤٣ — ٤٤ ، ٤٨) ١١٣
- « وقتيما هو خارج الى الطريق ركض واحد وجثا له وسأله . . . » الى : « . . . اكرم اباك وامك » (مرقس : ١٠ : ١٧ — ١٩) ١٣١
- « اذهب بع كل مالك وأعط الفقراء » الى : « . . . ونعال انبغى » (مرقس : ١٠ : ٣٤) ١١١
- « ومن أراد أن يصير فيكم أولا يكون للجميع عبدا » الى : « . . . وليبذل نفسه فدية عن كثيرين » (مرقس : ١٠ : ٤٤ ، ٤٥) ٥٩
- « لأنى الحق أقول لكم : ان من قال لهذا الجبل انتقل » الى : « . . . فمهما قال يكون له » (مرقس : ١١ : ٢٣) ١٠٤
- « وجاء اليه قوم من الصدوقيين الذين يقولون ليس قيامة » الى : « . . . بل يكونون كملائكة فى السموات » (مرقس : ١٢ : ١٨ — ٢٥) ١٠٦
- « ويل لذلك الرجل الذى به يسلم ابن الانسان ، كان خيرا لذلك الرجل لو لم يولد » (مرقس : ١٤ : ٢١) ١٦٣
- « الحق قول لكم : انى لا اشرب من نتاج الكرمة الى ذلك اليوم حينما اشربه جديدا فى ملكوك أبى » (مرقس : ١٤ : ٢٥) ٢٨٢ ، ١١٤
- « وقال لهم : اذهبوا . . . » الى : « . . . للخلقة كلها » (مرقس : ١٦ : ١٥) ٦٥
- « وقال لهم : اذهبوا الى العالم أجمع » الى : « . . . ويضعون أيديهم على المرضى فيبرأون » (مرقس : ١٦ : ١٥ — ١٨) ٦٣
- « وفى الشهر السادس أرسل جبرائيل الملاك من الله الى مدينة من الجليل » الى : « . . . واسم العذراء مريم » (لوقا : ١ : ٢٦ ، ٢٧) ٧٠
- « وفى الشهر السادس » الى : « . . . ولا يكون للملك نهاية » (لوقا : ١ : ٢٦ : ٣٠) ١٤٣
- « فقال لهم : على كل حال تقولون لى هذا المثل : أيها الطبيب اشف نفسك » الى : « . . . ليس نبى مقبولا فى وطنه » (لوقا : ٤ : ٢٣ ، ٢٤) ١٣١
- « فأخذ الجميع خوف ومجدوا الله قائلين : قد قام فينا نبى عظيم واقتد الله شعبه » (لوقا : ٧ : ١٦) ١٣٢
- « ها أنا أعطيك سلطان لتدوسوا الحيات والعقارب وكل قوة العدو ، ولا يضركم شيء » (لوقا : ١٠ : ١٩) ٦٣
- « وقال له واحد من الجمع : يا معلم قل لأخى أن يقاسمنى الميراث ، فقال له : يا انسان . . . من أقامنى عليكما قاضيا أو مقسما » (لوقا : ١٢ : ١٣ ، ١٤) ٨٢

الصفحة

- « فلا تطلبوا أنتم ما تأكلون وما تشربون ، ولا تملقوا » الى :
- ١١١ « ... هناك يكون قلبكم أيضا » (لوقا : ١٢ : ٢٩ — ٣٤)
- « اذا صنعت غداء فلا تدع اصدقائك ولا اخوتك » الى :
- ١١٤ « ... لأنك تكافى في قيامة الأبرار » (لوقا : ١٤ : ١٢ ، ١٣)
- « كان انسان غنى وكان يلبس الأرجوان والبز وهو يتنعم »
- التي ؟ « ... ولا ان قام واحد من الأموات يصدقون » (لوقا : ١٦ :
- ٢٨٣ (٣١ — ١٩)
- « ياأبى ابراهيم ارحمنى وارسل لعازر ليبل طرف اصبعه بماء
- ١١٣ وبيرد لسانى لأنى معذب فى هذا اللهيى » (لوقا : ١٦ : ٢٤)
- « اذهبا الى القرية التى امامكما وحين تدخلانها تجدان جحشا
- ١٥٠ مربوطا » الى : « ... انتيا به » (لوقا : ١٩ : ٣٠)
- « لأنى اقول لكم انى لا اشرب من نتاج الكرمة حتى يأتى ملكوت
- ١١٤ الله » (لوقا : ٢٢ : ١٨)
- « وأنا أجعل لكم كما جعل لى أبى ملكونا » الى : « ... تدينون
- ١١٤ اسباط اسرائيل الاثنا عشر » (لوقا : ٢٢ : ٢٩ ، ٣٠)
- « نأكلوا وتشربوا على مائدتى فى ملكوتى وتجلسوا على كراسى
- ٢٨٣ تدينون اسباط اسرائيل الاثنا عشر » (لوقا : ٢٢ : ٣٠)
- « حين أرسلتكم بلاكيس ولا مزود ولا أحذية ، هل اعوزكم
- ٢٩٠ شىء » الى : « ... غليبع ثوبه ، ويشتر سيفا » (لوقا : ٢٢ : ٣٥ ، ٣٦)
- « وسأله بكلام كثير فلم يجبه بشىء ، ووقف رؤساء الكهنة والكهنة
- ١٤٣ يشتمون عليه باشتداد » (لوقا : ٢٣ : ٩ ، ١٠)
- « وقال لهم : هذا هو مكتوب ، وهكذا كان ينبغى » الى :
- ٦٥ « ... لجميع الأمم » (لوقا : ٢٤ : ٤٦ ، ٤٧)
- « فى انبدء كان الكلمة ، والكلمة كان عند الله ، وكان الكلمة الله »
- ٧١ الى : « ... والكلمة صار جسدا وحل بيننا » (يوحنا : ١ : ١ — ١٤)
- « وفى الغد نظر يوحنا يسوع مقبلا اليه فقال : هو ذا حمل الله
- الذى يرفع خطية العالم » الى : « ... فهذا هو الذى يعمد بالروح
- ١٤٥ القدس » (يوحنا : ١ : ٢٩ — ٣٣)
- « آية آية ترينا » الى : « ... بنى هذا الهيكل » (يوحنا : ٢ :
- ١٤٩ (٢٠ — ١٨)
- « لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد » الى :
- ٥٩ « ... بل تكون له الحياة الأبدية » (يوحنا : ٣ : ١٦)
- ١٥٠ « ينبغى ان ذلك يزيد وأنى أنا أنقص » (يوحنا : ٣ : ٣٠)

الصفحة

- « وبعد اليومين خرج من هناك الى الجليل لأن يسوع نفسه
 ١٣١ شهد أن ليس لنبي كرامة في وطنه » (يوحنا : ٤ : ٤٣ ، ٤٤)
 « انا لا اتدبر أن أفعل من نفسى شيئا ، كما أسمع أذنين » الى :
 ١٣٢ « ... بل مشيئة الآب الذى أرسلنى » (يوحنا : ٥ : ٣٠)
 « ولما وجدوه في عبر البحر قالوا له : يا معلم . متى صرت
 هنا » الى : « ... بل للطعام انباقى للحياة الأبدية » (يوحنا : ٦ : ٢٥ — ٢٧) ٢٨٤ ، ٢٨٣
 « ففانوا له : ماذا نفعل حتى نعمل أعمال الله » الى :
 ٢٣٤ « ... ومن يؤمن بى فلا يعطش ابدا » (يوحنا : ٦ : ٢٨ — ٣٥)
 « فنادى يسوع وهو يعلم في الهيكل قائلا : تعرفوننى وتعرفون
 من أين انا ومن نفسى لم آت ، بل الذى أرسلنى هو حق ، الذى أنتم
 ١٣٣ لستم تعرفونه » (يوحنا : ٧ : ٢٨)
 « لأننى خرجت من قبل الله وأتيت ، لأنى لم آت من نفسى بل ذاك
 ١٣٤ أرسلنى » (يوحنا : ٨ : ٤٢)
 « الى متى تعلق أنفسنا » (يوحنا : ١٠ : ٢٤) ١٣٤
 « فنناول اليهود أيضا حجارة ليرجموه ، أجابهم يسوع » الى :
 ١٣٥ « ... فانك وانت انسان تجعل نفسك الها » (يوحنا : ١٠ : ٣١ — ٣٣)
 ٧٠ « الآن نفسى قد اضطربت » (يوحنا : ١٢ : ٢٧)
 « فأخذ يهوذا الجند وخدما من عند رؤساء الكهنة » الى :
 ١٥٩ « ... قبضوا على يسوع وأوثقوه ومضوا به » (يوحنا : ١٨ : ٣ — ١٢)
 « من غفرتم له خطاياه تغفر له ، ومن أمسكتم خطاياه أمسكت »
 ٧٨ (يوحنا : ٢٠ : ٢٣)
 « فقام بطرس وجاء معهما » الى : « ... ثم نادى القديسين
 ٦٤ والأرامل وأحضرها حية » (أعمال الرسل : ٩ : ٣٩ — ٤١)
 « بر الله بالايمان بيسوع المسيح الى كل وعلى كل الذين يؤمنون »
 الى : « ... من أجل الصفح عن الخطايا السالفة » (رسالة بولس الى
 ٥٩ أهل رومية : ٣ : ٢٢ — ٢٥)
 « فأننى سلمت انيكم في الأول ما قبلته انا أيضا ان المسيح مات
 من أجل خطايانا حسب الكتب » (رسالة بولس الاولى الى أهل
 ٦٠ كورنثوس : ١٥ : ٣)
 « أوص الأغنياء في الدهر الحاضر الا يتكبروا » الى : « لكي
 يمسكوا بالحياة الأبدية » (رسالة بولس الاولى الى أهل تيموثاوس :
 ١١١ ٦ : ١٧ — ١٩)

الصفحة

- « لا تحبوا انعام ولا الأشياء التى فى العالم » الى : « ... وهذا هو الوعد الذى وعدنا هو به : الحياة الأبدية » (رسالة يوحنا الاولى : ١١١ : ٢ - ١٥ - ٢٥)
- « فالتفت لأنظر الصوت الذى تكلم معى ولما التفت رايت سبع منابر » الى : « ... الأول والآخر والحي » (رؤيا يوحنا اللاهوتى : ٢٥٢ : ١ - ١٢ - ١٨)
- « من يغلب فسأعطيه أن يأكل من شجرة الحياة التى فى وسط فردوسى الله » (رؤيا يوحنا اللاهوتى : ١١٤ : ٢ - ٧)
- « من يغلب فذلك سيلبس ثيابا بيضا » (رؤيا يوحنا اللاهوتى : ١١٤ : ٣ - ٥)
- « لأنك تقول : انى أنا غنى وقد استغنيت ولا حاجة لى » الى : « ... وثيابا بيضا لكى تلبس » (رؤيا يوحنا اللاهوتى : ٢٥٢ : ٣ - ١٧ - ١٨)
- « لن يجوعوا بعد ، ولن يعطشوا بعد ، ولا تقع عليهم الشمس ولا شئ من الحر » (رؤيا يوحنا اللاهوتى : ١١٤ : ٧ - ١٦)
- « وظهت آية عظيمة فى السماء امرأة متسربة بالشمس والقمر تحت رجلها » الى : « ... نهارا وليلا » (رؤيا يوحنا اللاهوتى : ٩٠ : ١٢ - ١ - ١٠)
- « وأما الخائفون وغير المؤمنين » الى : « ... بنار وكبريت » (رؤيا يوحنا اللاهوتى : ١١٤ : ٢١ - ٨)

* * *

أهم المراجع العربية

- القرآن الكريم
- العهد القديم القاهرة ١٩٦٢
- العهد الجديد القاهرة ١٩٦٣
- ابن الأثير : الكامل في التاريخ تحقيق : عبد الوهاب النجار القاهرة ١٣٤٩ هـ
- أبو الأعلى المودودي : تفهيم القرآن لاهور ١٩٧٣
- البخارى : صحيح البخارى — طبعة الشعب القاهرة —
- البستاني : دائرة المعارف - بيروت ١٩٥٦
- بطرس البستاني : معارك العرب في الأندلس بيروت ١٩٥٠
- الثعالبي : قصص الأنبياء القاهرة —
- جرجى زيدان : تاريخ النمدن الاسلامى بيروت ١٩٦٧
- ابن حجر العسقلانى : فتح البارى بشرح البخارى —
- ابن حزم : الفصل فى الملل والنحل القاهرة ١٩٦٤
- ابن حيان : المقتبس فى تاريخ بلاد الأندلس تحقيق :
- عبد الرحمن على الحجى بيروت ١٩٦٥
- رحمة الله الهندي : اظهر الحق تحقيق : عمر الدسوقي الدار البيضاء ١٩٦٤
- الزركلى : الاعلام بيروت ١٩٦٩
- سبينوزا : رسالة فى اللاهوت والسياسة ترجمة : حسن حنفى القاهرة ١٩٧١
- الطبرى : جامع البيان عن تأويل القرآن تحقيق : محمود ، وأحمد شاکر القاهرة ١٩٧٤
- وطبعة بولاق —
- الطبرى : تاريخ الطبرى تحقيق : محمد أبو الفضل القاهرة ١٩٦٠
- ابراهيم

- ظفر الدين خان : الاسلام يتحدى القاهرة ١٩٧٣
- عباس العقاد : الله القاهرة ١٩٦٩
- عبد انكريم الخطيب : المسيح في القرآن والتوراة القاهرة ١٩٦٦
- عبد الوهاب النجار : قصص الانبياء القاهرة ١٩٦٦
- على عبد الواحد واغى : قصة الزواج والعزوبة القاهرة ١٩٦٦
- في العالم القاهرة —
- الفخر الرازى : ائتفسير الكبير القاهرة —
- ابن كثير : البداية والنهاية بيروت والرياض ١٩٦٦
- ابن كثير : قصص الانبياء تحقيق : مصطفى القاهرة ١٩٦٨
- عبد الواحد القاهرة ١٩٦٨
- ابن كثير : السيرة النبوية تحقيق : مصطفى القاهرة ١٩٦٦
- عبد الواحد القاهرة ١٩٦٦
- ابن كثير : شمائل الرسول تحقيق : مصطفى القاهرة ١٩٦٧
- عبد الواحد القاهرة ١٩٦٧
- لسان الدين الخطيب : تاريخ أسبانيا المسلمة بيروت ١٩٥٦
- تحقيق : ليفى بروفنسال بيروت ١٩٥٦
- ليفى بروفنسال : الاسلام في المغرب والاندلس القاهرة ١٩٥٦
- ترجمة : عبد العزيز سالم القاهرة ١٩٥٦
- مالك بن نبي : مشكلة الثقافة ترجمة : عبد الصبور شاهين القاهرة ١٩٧١
- محمد البهى : الجانب الالهى من التفكير الاسلامى القاهرة ١٩٤٥
- محمد حسين هيكل : حياة محمد القاهرة ١٩٦٢
- محمد عبد الله دراز : الأخلاق في القرآن القاهرة ١٩٦٠
- محمد عبد الله عنان : دولة الاسلام في الاندلس من الفتح الى بداية عهد الناصر القاهرة ١٩٦٠
- محمد عبد الله عنان : دولة الاسلام في الاندلس القاهرة ١٩٦٠
- الخلافة الأموية والدولة العامرية القاهرة ١٩٦٠
- محمد عبد الله عنان : الدولة العامرية وسقوط الخلافة الأندلسية القاهرة ١٩٥٨

- محمد عبد الله عنان : دول الطوائف منذ قيامها
حتى الفتح المراتبي القاهرة ١٩٦٠.
- محمد عبد الله عنان : نهاية الأندلس وتاريخ العرب
المقتصرين القاهرة ١٩٥٨
- مسلم : صحيح مسلم تحقيق : محمد فؤاد
عبد الباقي القاهرة ١٩٥٥
- ابن هشام : السيرة النبوية القاهرة —
— ابن هشام : السيرة النبوية تحقيق : مصطفى
السقا وآخرون القاهرة ١٩٥٥
- ابن هشام : السيرة النبوية تحقيق : محمد
محيي الدين عبد الحميد القاهرة ١٩٦٣
- الهيتمي : مجمع الزوائد ومنبع الفوائد القاهرة ١٩٥٣
- هـ . ج . ويلز : موجز تاريخ العالم ترجمة :
عبد العزيز توفيق جاويد القاهرة ١٩٥٨
- ياقوت : معجم البلدان القاهرة ١٢٢٥ هـ

المراجع الأجنبية

- Anwander, Anton Wörterbuch der Religionen Würzburg 1962.
- Bouëssé, Humbert : Le sauveur de monde, Le mystère de l'incarnation Paris 1953
- Mensching, Gustav : Leben und Legende der Religionsstifter. Folle-Verlag : Darmstadt, Baden-Baden, Genf o. D.
- Nölle, Wilfried : Wörterbuch der Religionen München 1960.
- Stahlin Rudolf u. a. : Christliche Religion. Fischer Bücherei 1961.
- Staufer : Botschaft.
- Theologisches Wörterbuch zum neuen Testament:herausgegeben von Gerhard Friedrich Stuttgart 1954.

محتويات الكتاب

الصفحة

مقدمة الطبعة الأولى	٥ - ٦
مقدمة الطبعة الثانية	٧ - ٤٩
١ - فتح الأندلس	٧
أسباب ضعف المسلمين في الأندلس	١٨
سقوط طليطلة	٢١
معركة الزلاقة	٢٤
سقوط غرناطة	٢٨
٢ - المعارك الكلامية حول الاسلام والمسيحية في الأندلس	٣٤
أسفار العهد القديم	٣٧
أسفار العهد الجديد	٣٨
مخطوطات الكتاب	٤٠
٣ - الدعوة الى عدم التعصب في العالم الاسلامي	٤٧
معركة المسلمين المعاصرة	٥٠
مقدمة المخطوطة	٥٣

رسالة القسيس الى أبي عبيدة

(٥٤ - ١١٩)

قصة التثليث	٥٤
صلب المسيح	٥٩
دعوته الى الايمان بالوهمية المسيح	٦١
معجزات عيسى في القرآن	٦٣
معجزات الحواريين	٦٣
رسالة المسيح بين المحلية والعالمية	٦٤
كيفية الحلول وتعليله	٦٩
ان الصلب كما يراه المسيحيون	٧٢
دعوة القسيس ابا عبيدة الى الايمان بعقيدة المسيحيين في المسيح	٧٢

الصفحة

٧٤	• • • • •	صيغة الصلاة عند المسيحيين
٧٥	• • • • •	نزول النور في بيت المقدس
٧٧	• • • • •	مكانة المطران عند المسيحيين
٧٨	• • • • •	ما أورده من شبهات
٧٨	• • • • •	الشبهة الأولى : (احكام التوراة والانجيل)
٨٩	• • • • •	الشبهة الثانية : (تعدد الزوجات)
٨٤	• • • • •	الشبهة الثالثة : (الطلاق)
٨٥	• • • • •	الشبهة الرابعة : (القتال في التوراة والانجيل)
٨٧	• • • • •	الشبهة الخامسة : (من هو هارون)
٨٩	• • • • •	الشبهة السادسة : (حقيقة ما ورد عن ابليس في الكتاب المقدس)
٩١	• • • • •	الشبهة السابعة : (تحريف التوراة)
١٠٣	• • • • •	حقيقة ما يظهر على يد رهبانهم من خوارق العادات
١٠٥	• • • • •	الشبهة الثامنة : (نعيم الجنة)
١١٥	• • • • •	الشبهة التاسعة : (انتشار الاسلام بالسيف)

رسالة أبي عبيدة الى القسيس

(١٢٠ - ٢٩١)

١٢٣	• • • • •	رأى أحد ملوك الهند في المسيحية
١٢٤	• • • • •	رأى رئيس سدنة الهيكله بمصر
		ابطال دعوى ألوهية عيسى عليه السلام واثبات نبوته من نصوص
١٢٧	• • • • •	انجيلهم
		بيان اضطراب الأناجيل وتناقضها (وهو الجزء الأول من الرد على
١٤٢	• • • • •	الشبهة السابعة)
١٥٨	• • • • •	ابطال دعوى صلب المسيح من الانجيل
١٦٩	• • • • •	ابطال دعوى الصلب بدليل تاريخي
١٧٢	• • • • •	ابطال دعوى صلب المسيح بالأدلة العقلية
١٧٨	• • • • •	ابطال دعوى ألوهية عيسى بدليل عقلى
١٨١	• • • • •	الرد على الشبهة الأولى
١٨٣	• • • • •	الرد على مطاعن الأساقفة
١٩٣	• • • • •	الكلام في اعجاز القرآن الكريم
١٩٨	• • • • •	بعض ما فى القرآن من المعجزات
١٩٩	• • • • •	بعض ما ورد من معجزات النبى صلى الله عليه وسلم

الصفحة

٢٠٧	بعض ما فى القرآن من الاخبار بالغيب
٢١٤	بعض ما ورد فى التوراة والانجيل من التبشير به صلى الله عليه وسلم
٢٣٠	صفات محمد صلى الله عليه وسلم
٢٣٢	اخبار اليهود عن عيسى بن مريم عليه السلام
	تحريف التوراة ، وبعض ما فيها من المغريات على الله تعالى وانبيائه
٢٣٨	الكرام (وهو الجزء الثانى من الرد على الشبهة السابعة)
٢٥٩	الرد على الشبهة الخامسة
٢٦٢	الرد على الشبهة الثانية
٢٦٤	الرد على الشبهة الرابعة
٢٦٥	النسخ فى التوراة والانجيل
٢٦٧	حقيقة ما يظهر فى الكنائس من خوارق العادات
٢٧٢	مكانة البيت الحرام فى الكتب المقدسة
٢٧٩	الرد على الشبهة الثامنة
٢٨٥	الرد على الشبهة التاسعة

خاتمتين (٢٩٣ - ٢٩٨)

٢٩٣	الخاتمة الأولى
٢٩٥	الخاتمة الثانية

الكشاف (٢٩٩ - ٣٤١)

٣٠١	الإعلام
٣٠٩	الأمكان والبلدان
٣١٣	القبائل والأقوام
٣١٥	الآيات القرآنية
٣٢٤	فقرات من الكتاب المقدس
٣٣٥	أهم المراجع العربية
٣٣٨	المراجع الأجنبية
٣٣٩	محتويات الكتاب

كتب للمحقق

- ١ — الاسلام قوة الغد العالمية
— باول شمتز — مترجم
- ٢ — الاسلام في الفكر الاوروبى
— هربرت جوتشالك — مترجم
- ٣ — حقائق عن النظام الشيوعى
— فو لفجانج ليونهارد — مترجم
- ٤ — بين الاسلام والمسيحية
— ابو عبيدة الخزرجى — تحقيق
- ٥ — أثر البيئة في ظهور القاديانية
— تأليف
- ٦ — الخطر الشيوعى في بلاد الاسلام
— تأليف

تحت الطبع

- ١ — الاسلام كما ينبغي ان نعرفه
- ٢ — بحوث في علم الاديان

تطلب من مكتبة وهبة — ١٤ ش الجمهورية — عابدين ت ٩٣٧٤٧٠

رقم الايداع بدار الكتب المصرية
١٩٧٩ / ٢٨٨٨

دار التوثيق النسخية
للطباعة والمطبوعات
الأنقرة ٣ صحنه المرسلة
مجله مائة الف

BETWEEN

ISLAM AND CHRISTIANITY

KITAB ABI ABIDA AL-KHAZRAJI

EDITION, EXPLANATORY NOTES AND INTRODUCTION

BY

DR. M. A. SHAMA

WAHBA BOOK SHOP
14, AL GOMHORYA STREET - CAIRO